



الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة عباس لغرور خنشلة



كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

العنوان

السيبائية في النقد المفاربي المعاصر
المصطلح، الاجراء

أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراه

في النقد المعاصر

إشراف الدكتور:

رشيد بلعيفة

إعداد الطالبة:

حنان شرفي

2024/2023

مقدمة

عرف النقد العربي الحديث والمعاصر توافد العديد من المناهج والنظريات، بفضل المثاقفة والاحتكاك مع الغرب الذي شهد بدوره ثورة معرفية، وانفجاراً منهجياً لا مثيل لهما، والفضل يرجع إلى الإرث اللساني وما خلفه من مكتسبات، استثمارها الدراسات النصية على أكمل وجه، وتمخض عن هذا الاستثمار ظهور مناهج نقدية كثيرة، ونظريات متفاوتة الرؤى والأدوات والإجراءات، وكلها تسعى إلى توفير الضوابط العلمية والموضوعية التي تؤطر عملية التحليل. ولعل أهم هذه النظريات نجد النظرية السيميائية أو المنهج السيميائي الذي حقق نجاعة تحليلية، وكفاءة تحليلية في شتى التخصصات والمعارف الإنسانية، مساهماً بذلك في فتح آفاق جديدة أمام الفكرة خاصة ما تعلق بالظاهرة الأدبية.

لم يقنع البحث السيميائي بما هو سطحي، بل تطلع إلى كشف دلالات السمات الكامنة في مجاهل اللغة الطبيعية والاصطلاحية معاً، وهدف إلى استكشاف نظام البناء والعلاقات في مختلف أشكال التواصل، وفق منطلقات منهجية ومرتكزات نظرية، ليشمل مختلف الأنظمة السيميوطيقية؛ إنه علم لجميع أنساق العلامات يرمي إلى تناول مختلف مجالات الوقائع الثقافية، حتى أن البعض أطلق عليه المنهج المطاطي الذي يتسع ليشمل كل مظاهر السلوك الإنساني؛ فهو باختصار يُعنى بدراسة حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية.

أمام هذا الوافد الجديد، وما جلبه من أدوات إجرائية ورؤى معرفية وفكرية، وما حمله من مصطلحات نقدية، لم يكن للساحة العربية عموماً والمغربية خصوصاً إلا أن تتخرط في هذا المسار وضمن هذا التوجه، رغبة منها في مسانيرة الجديد وتجديد الرؤية والمنهج معاً.

ركوحاً إلى ما سلف، كانت الحاجة إلى بحث يتقصى جوانب التلقي النقدي المغربي للمنهج السيميائي وتحديد المنهج السيميائي السردي، ضمن مشاريع

نقدية بعينها هي مشاريع النقاء المغاربة الذين اخترتهم كعينات ونماذج: رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، محمد الناصر العجيمي وسعيد بوطاجين.

وانتقاء هؤلاء النقاد دون سواهم كان لأسباب نذكر منها:

- أن منجزهم النقدي الثري يستحق الفحص والدراسة.

- أنهم جمعوا بين التنظير والترجمة والممارسة.

- أنهم نقلوا المصطلحات السيميائية بدقة وموضوعية.

- أن منجزهم شكل باقة علمية معرفية، أثارت الساحة النقدية المغربية وحتى العربية.

- أن ثمارهم التطبيقية أبانت عن حسن تمثّل وتمكن واقتدار من التحكم في الأدوات الإجرائية وتطويرها حسب مقتضيات وخصوصيات النص العربي.

وعليه يسعى البحث إلى فحص ودراسة ما انتهت إليه منجزات هؤلاء النقاد، لتسليط الضوء على تلقي المنهج السيميائي -خاصة السيميائي السردى- من حيث المصطلح والإجراء، وكذا من ناحية الرؤية والتمثّل المنهجي؛ أي كيفية التعامل مع المنهج بآلياته وأدواته ومصطلحاته وحمولته المعرفية.

انطوت إشكالية دراستنا على جملة من التساؤلات المتشابكة والمتداخلة أهمها: هل نجحت الساحة النقدية المغربية في تقليص المسافة بين مفاهيم ومصطلحات مستمدة من سياقات ثقافية مغايرة للثقافة العربية عموماً والمغربية خصوصاً، وبين معطيات النصوص الأدبية بحمولتها اللغوية والثقافية؟ هل التزمت الدراسة السيميائية التطبيقية شروط وأدوات التحليل السيميائي أم اختزلت النظرية وجزأتها حسب ما يخدم أهدافها؟ هل الاعتماد في المقاربة على التركيب المنهجي توفيق من الباحث أم خلط وتلفيق؟ هل راعى الناقد المغربي خصوصية

النص العربي الفنية والمرجعية أم أنه وقع في فخ الآلية والميكانيكية التي شوهت وحرفت النص؟ كيف تعامل مع إشكالية المصطلح؟ وهل تحرى الدقة والموضوعية في استعمال المصطلح ونقله؟ ما مدى حضور الحوار والتنسيق الجماعي في عملية الترجمة؟

سعيًا للإجابة عن هذه الأسئلة من خلال مفاصل البحث، وقد حاولنا أن نكون موضوعيين قدر المستطاع، خاصة ونحن نعالج موضوعًا يتسم بالاتساع والعمق.

وبما أن دراستنا تابعة لنقد النقد، الذي هو في الأساس نشاطًا معرفيًا، يُخضع النصوص النقدية للفحص والمساءلة، من خلال قراءته من أبعاد تختلف باختلاف المناهج المعتمدة، فإن المنهج الذي اعتمدهنا أساسًا هو المنهج الاستقرائي الوصفي؛ إذ أن طبيعة البحث تقتضي استقراء المدونة النقدية، وتوصيف طبيعة الممارسة المنهجية، غير أننا استعنا بالمنهج التاريخي في رصد ارتحالات الرؤية والمنهج السيميائي -السردي خاصة- في النقد المغربي، واحتجنا في آخر الفصول إلى المقارنة كإجراء منهجي.

انبتت الدراسة على أربعة فصول مصدرة بمقدمة، ومردفة بخاتمة؛ حيث كان الفصل الأول بمثابة مسح نظري بسيط للنظرية السيميائية في مضانها الأصلية (الغربية)، وكذا في تلقي النقد المغربي لها.

أما الفصل الثاني فعنوانه: المشروع السيميائي السردي عند رشيد بن مالك، وقفنا من خلاله على مراحل الخطاب النقدي عند الباحث واستراتيجيته النقدية في نقل المعرفة السيميائية، تأسيسًا وتأطيرًا وترجمة وتأليفًا وممارسة، وقد ركزنا على أحادية المنهج عنده والمصطلح والإجراء.

وخصصنا الفصل الثالث للناقد الباحث سعيد بنكراد، وتحدثنا عن خروج بنكراد عن سطوة المنهج الأوحد، وتطعيمه وتفعيله بالأبعاد الإيديولوجية والسياق والثقافة، مما جعلنا نقسم السيميائيات عند بنكراد إلى ما أسميناه سيميائيات المحايشة - السيميائيات السردية - وسيميائيات الانفتاح - التأويل - التي تطرقنا من خلالها إلى: سيميائيات الأنساق الثقافية، وسيميائيات الأنساق البصرية، وتعرفنا إلى خصوصية التحليل عند بنكراد، وكيفية تطويعه للأدوات المنهجية ومراعاة خصوصية النص المدروس.

أما الفصل الرابع، فجعلناه مخصصا للباحث لتونسي محمد الناصر العجيمي وعنوانه بالجهاز المفاهيمي للنظرية السيميائية السردية عند عبد الناصر العجيمي، وقد أشرنا إلى إشكالية المصطلح عند العجيمي وأسباب هذه الإشكالات، كما أفردنا الحديث عن الجانب الإجرائي عند العجيمي والوفاء لمفاهيم نظرية غريماس، وتساءلنا عما إذا كان هذا الوفاء قد أدخل الباحث في فخ الآلية والتكرارية، أم أدخله في مطبات التعليمية والتلقينية. وقد استقصينا في الأخير عقد مقارنة بين العجيمي وسعيد بوطاجين حتى نثبت أن الأخير قد كان أكثر توفيقا وموضوعية في ترجمة المصطلح وأكثر دقة ووضوحا في التحليل والتمثل والممارسة.

وكانت الخاتمة حوصلة لما انتهى إليه البحث من نتائج.

إن صعوبة هذه الدراسة متأنية من سعة المدونة النقدية التي اشتغلنا عليها، والمتعلقة بـ(رشيد بن مالك، سعيد بنكراد، محمد الناصر العجيمي وسعيد بوطاجين)، إذ بلغت كتبهم التي اعتمدنا عليها في البحث زهاء أربعين كتابا، بالإضافة إلى تشعب مشاريعهم النقدية ووفرة المصطلحات وصعوبتها، والحق أن

كل هذا من صميم البحث العلمي؛ إذ الصعوبة حافز للمضي قدما نحو الهدف المراد.

وختاما فإني أتوجه بجزيل الشكر والعرفان لكل من قدم لي العون ولو بالكلمة الطيبة، وأخص بالذكر الأستاذين رشيد بلعيفة وعبد القادر نويوة، حيث كان لهما الفضل الكبير في اكمال هذه الدراسة.

وأخيرا، فهذه دراسة بذلت فيها كل الجهد بغية الوصول إلى المبتغى، فإن وفقت فبفضل من الله تعالى، وإن كنت ممن سار ولم يصل فحسبي المحاولة.

مدخل

إنّ العلامةية أو السيميائية أو السيميولوجيا أو السيميوطيقا أو علم الإشارة أو علم العلامات أو علم الأدلة، كلها ترجمات لعلم واحد يعنى بدراسة حياة العلامات في كنف الحياة الاجتماعية، واللسانيات تعتبر جزء منه لأن السيميائية تدرس العلامة اللغوية وغير اللغوية واللسانيات تدرس العلامة اللغوية فقط.

اختلف كثير من الباحثين العرب في الأصل الذي تولدت منه لفظة (سيميائية)، هذه اللفظة، بين منتصر للنشأة العربية وآخر للنشأة الغربية، فالذين انتصروا للأصل العربي ربطوا نشأتها بالدراسات التي بدأت عند الفارابي والحامّي وابن سينا وابن خلدون والغزالي والجرجاني والقرطاجني وغيرهم. أما الذين تشبثوا بالنشأة الغربية ربطوها بالدراسات التي بدأت عند أفلاطون عندما أكد أن للأشياء جوهرًا ثابتًا، وأنّ الكلمة أداة للتوصيل، وبذلك يكون بين الكلمة ومعناها أي الدالّ والمدلول تلازمًا طبيعيًا. ثم يأتي أرسطو في كتابه (العبارة) ليحدد العلاقة بين الألفاظ وبين العلامات، وبين أشياء العالم الخارجي.

ويبدو أنّ السيميوطيقا اليونانية لم يكن هدفها إلاّ تطبيق علامات الفكر لتوجيهها في منطق فلسفي شامل. ظهر مصطلح السيميوطيقا في دراسة قام بها الفيلسوف الإنجليزي جون لوك باسم sémiotiké وبدلالة جد متشابهة لتلك التي قدمتها الفلسفة اليونانية الأفلاطونية.

وتعد بداية الستينات من القرن العشرين البداية الفعلية لعلم العلامات في كل أنحاء العالم من خلال مصطلحين (سيميولوجيا/ سيميوتيك/ Sémiologie (Sémiotique) إلى أن اتحدا باسم السيميوطيقا بقرار اتخذته الجمعية العالمية للسيميوطيقا التي انعقدت في باريس سنة 1969.

إنّ السيميولوجيا أو السيميوتيك علم يهتم بالعلامة والأنظمة اللغوية كما يشمل هذا العلم ميادين واسعة متباينة كعلامات الحيوانات علامات الشم، الاتصال

بواسطة اللمس، الاتصال البصري، أنماط الأصوات والتنغيم... قواعد الأدب، أنماط الأزياء...

ويتفق جل الباحثين على أنّ المشروع السيميولوجي المعاصر بشر به دي سوسير في فرنسا في كتابه "محاضرات في اللسانيات العامة"، وارتبط هذا العلم بالمنطق على يد الفيلسوف الأمريكي شارل ساندرس بيرس في أمريكا. لكن على الرغم من ظهورهما في فترة زمنية متقاربة، فإنّ بحث كل منهما استقل وانفصل عن الآخر انفصالا تاما إلى حد ما؟ فالأول بشر به في (محاضراته) بظهور علم جديد سماه السيميولوجيا سيهتم بدراسة الدلائل أو العلامات في قلب الحياة الاجتماعية ولن يعدو أن يكون موضوعه الرئيسي مجموعة الأنساق القائمة على اعتبارية الدلالة.

أما الثاني بيرس فقد نحا منحى فلسفيا منطيقيا، وأطلق على هذا العلم (Sémiotique) واعتقد تبعا لهذا أنّ النشاط الإنساني نشاط سيميائي في مختلف مظاهره وتجلياته. ويعد هذا العلم في نظره إطارا مرجعيا يشمل كل الدراسات، فالسيميوطيقا حسب بيرس تعني نظرية عامة للعلامات وتمفصلاتها في الفكر الإنساني، ثم أنّها صفة لنظرية عامة للعلامات والأنساق الدلالية في كافة أشكالها... وبالتالي تعد سيميائية بيرس مطابقة لعلم المنطق.

فسيميوطيقا بيرس هي علم الإشارة الذي يدرس جميع العلوم الإنسانية الطبيعية وتبحث عن التأويلات المتتالية في أغوار النص، بل تتعداها إلى جميع العلامات الثانوية ومن هنا بدأ علم السيمياء علما مستقلا بذاته على يد بيرس الذي جعل للعلامة أبعادا ثلاثا هي الممثل أو الدليل والموضوع الذي يقابل المدلول في حين أنّ المؤول لا وجود له عند سوبير. والعلامة البيرسية مقسمة إلى ثلاث مستويات:

- الأيقونة: Icon

- المؤشر: Index

- الرمز: Symbole.

وتواصلت الجهود في مجال السيميائية، فظهرت مدارس واتجاهات نذكر منها:

أ- **سيميائية التواصل:** وأهم روادها جورج مونان، وبريتو، زمارتينييه وأساس هذا الاتجاه أن وظيفة اللسان الأساسية التواصل.

ب- **سيميائية الدلالة:** يعد رولات بارت زعيم هذا الاتجاه حيث يرى أن البحث السيميائي هو دراسة الأنظمة الدالة، وذلك من خلال التركيز على الثنائيات اللسانية (اللغة/ الكلام)، (الدال/ المدلول)، (التقرير/ الإحياء)، (المركب/ النظام)...

ج- **سيميائية الثقافة:** يستفيد هذا الاتجاه من الفلسفة الماركسية، أهم روادها يوري لوتمان، أمبرتو إيكو، جوليا كريستيفا، يقوم هذا الاتجاه على اعتبار الظواهر الثقافية موضوعات تواصلية وأنساقا دلالية.

يقوم المنهج السيميائي على عناصر ثلاث هي:

- **العنصر البنيوي اللغوي:** وهو الذي يرتبط ببنية النص ولغته.

- **العنصر الفني الجمالي:** وهو الذي يرتبط بما يحتوي عليه النص من إبداع فني في تكوين الشكل.

- **العنصر النفعي الدلالي:** وهو الذي يرتبط بالمؤول وبنيته والتواصل مع النصوص الأخرى.

يرفض المنهج السيميائي التصورات النقدية التقليدية التي تهتم بسيرة المؤلف، ويعتبر النص بنية قابلة للتأويل فينظر إليه من زاوية أنه قطعة كتابية من إنتاج شخص أو أشخاص عند نقطة معينة من التاريخ الإنساني وفي صورة معينة من الخطاب، ويستمد معانيه من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء الذي يستعملون الشفرات النحوية، والدلالية والثقافية المتاحة لهم. فأصبحت القراءة النقدية على ضوءه قراءة إنتاجية تحاول تقريب القراءة من الكتابة، ليصبح القارئ كاتباً ومنتجاً ثانياً للنص، والقارئ ينشط على مستوى استنتاج الدال في النص مما يجعله يتفاعل مؤشراً في النص أو متأثراً به.

ولكي تتم القراءة الواعية لابد من حضور طرفيها، (النص، القارئ) حضوراً حوارياً تفاعلياً ولا يتم هذا الحضور إلا إذا كان الطرف الأول (النص) ثانياً، وكان الطرف الثاني (القارئ) في مستوى القراءة والتأويل.

أما بالنسبة للسيميائية السردية في مدرسة باريس وأريفي وعلى رأسها غريماس فرأت أن التحليل ينبغي أن يراعي في كل نص مستويان:

الأول: مستوى السطح وهو يتفرع إلى:

- المكون السردية.

- المكون الخطابية.

الثاني: مستوى العمق وأطلق عليه (البنى العميقة) ويقوم التحليل فيه على استجلاء عناصر ثلاثة هي:

- الوحدات الدنيا للدلالة.

- التشاكلات.

- البنية الأولية.

وقد أطلق عليها غريماس (المربع السيميائي)، الذي يقوم على جملة من العلاقات.

اكتسب السرد إذا مفهومًا سيميائيًا جوهريًا، في ظل تطورات السيميائية السردية، حيث أصبح نشاطًا سيميائيًا، يضطلع بتمثيل الوقائع كلها، ووسيلته في ذلك المحكي، الذي ما هو إلا علامة كباقي العلامات الأخرى وعليه يكون المحكي نموذجًا أو ظاهرة سيميائية، ليست خاصة بنسق معين ليبتغي لنفسه عدة سبل، لاسيما تلك التي تستند إلى التظاهرات اللسانية، مثل الحكايات، الروايات...

وعليه فإنّ السيميائية تمنح السرد بعدا سيميائيًا عامًا، يتجاوز في تلك النظرة المحصورة في الدراسات الأدبية التي ترى أنّ السرد ذو طبيعة لفظية لنقل الرسالة.

انتشر المنهج السيميائي في العالم العربي، وتغلغل في الممارسات التحليلية النقدية للنصوص الشعرية والروائية، فانكب عدد من النقاد على التلقي النظري والإجرائي التطبيقي لمعطيات هذا النهج الجديد.

وعلى هذا نجد الوطن العربي عرف القراءات السيميائية منذ منتصف السبعينات وأخذت تتأسس خلال ثمانينات القرن الماضي من بوابة المغرب ومن ثم المشرق العربي وهذا من خلال الأعلام التي أسهمت في هذا الحقل، نشير على وجه الخصوص لا التعميم لكل من: محمد مفتاح، عبد الفتاح كليطو، محمد الماكري، السعيد بن كراد من المغرب، علي العشي، سمير المروزقي من تونس، عبد الملك مرتاض وعبد القادر فيدوح، عبد الحميد بورايو، رشيد بن مالك، الطاهر رواينية في الجزائر، عبد الله الغلامي في السعودية، محمد خير البقاعي من سوريا وهناك لبنانيون عراقيون، ومصريون.

قام النقاد العرب أو السيميائيون العرب بداية بترجمة بعض الكتب الغربية الخاصة بعلم السيمياء وتأليف بعض المعجمات للمصطلحات الغربية وتعريبها، ثم انتقلوا إلى التأليف النظري، قبل أن يخصصوا مؤلفات لتطبيق السيمياء على النصوص، وقد تناول أحد النقاد هذه الرحلة السيميائية العربية في مقالته (التجربة العربية في مجال السيمياء) فذكر ثلاثة أنواع من المصادر العربية الحديثة التي يمكن من خلالها دراسة واقع مصطلح السيمياء.

أولاً: ترجمات كتاب فرديناد دي سوسير " محاضرات في اللسانيات العامة " فقد عربه: صالح القرماضي، محمد الشارش، يوسف غازي ومجيد النصر.

ثانياً: الكتب المؤلفة في اللسانيات والسيميائية والدلالة منها:

- حنون مبارك، المغرب 1978 م.

- الألسنية علم اللغة الحديث. مبادئها وأعلامها. لميشال زكريا.

- المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية لـ: محمد رشاد الحمزاوي
1977 م.

ثالثاً: معجمات المصطلحات، وهي تتخذ المصطلح الأجنبي منطلقاً ومنها:

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي/ إنجليزي/ فرنسي)
للدكتور رشيد بن مالك.

- المعجم الموجه لمصطلحات اللسانيات (عربي/ إنجليزي/ فرنسي) وضعه نجبة
من الأساتذة العرب 1989 م بتونس.

وسرعان ما تطورت النظرة إلى المنهج السيميائي وازداد المتقنون العرب تعلقاً به ما جعل إصداراتهم الأدبية في حقل السيمياء ترتفع نوعاً ما خاصة تلك التي يبدو تأثيرهم فيها واضحاً.

فعن اتجاه بارت السيميائي يقدم المغربي محمد السرغيني مجموعة من المحاضرات وجمعها في كتاب بعنوان (محاضرات في السيميولوجيا) عام 1987 م يبرز فيها بارت للقصيدة، أو ما يسمى إحياءات المعنى.

أما عن سيميوطيقا بيرس فنجد تأثر سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد بها في كتابهما مدخل إلى السيميوطيقا عام 1986 م.

كما أن عبد الملك مرتاض طبق المنهج السيميائي في كتابه دراسة سيميائية تفكيكية لقصيدة أين ليلاي وكتاب ألف ليلة وليلة، تحليل سيميائي تفكيكي لحكاية حمال بغداد.

كما نجد السعيد بنكراد الذي حاول تقريب الدرس السيميائي إلى القراء من خلال الترجمة أو الدراسة. فقد قام في البداية بترجمة مقال فيليب هامون تحت عنوان سيميولوجيا الشخصيات الروائية، بعد ذلك أصدر كتاب "مدخل إلى السيميائيات السردية يعرف فيه بالنظرية القرىماسية، وكذا المفاهيم الأساسية في النظرية، بالإضافة إلى النماذج التي تكون هيكل النظرية: كالنموذج العائلي والنموذج التكويني. وفي سنة 1969 م أصدر كتابا متميزا تحت عنوان "النص السردى نحو سيميائيات للأيديولوجيا"، حاول الكاتب من خلال هذا الكتاب الإجابة عن أسئلة عميقة من قبيل: كيف يأتي المعنى إلى النص انطلاقا من الوضع الأيديولوجي؟ وكيف تأتي الأيديولوجيا إلى المعنى؟ أي إمكانية تحديد تخوم سيميائيات الأيديولوجيا انطلاقا من كل المعطيات النظرية التي جاءت بها السرديات المعاصرة بكل أنواعها.

وقد قدم الباحث دراستين تطبيقيتين: الأولى عبارة عن قراءة للضوء الهارب لمحمد برادة أما الثانية خصصها لرواية "الشرع والعاصفة" لحننا مينا.

إنّ هذا الطرح يدفعنا إلى التساؤل عن وضع وخصوصية المشروع النقدي السيميائي بالمغرب العربي سواء على مستوى المنهج والمصطلح أم على مستوى الرؤيا النقدية الواضحة والمتفحصة، والإجابة عن هذا السؤال تقتضي القيام بقراءة استقرائية تقف عند كل دراسة تطبق أو تدعي "المنهج السيميائي" ثم الانتقال بعد ذلك إلى إعداد مخطط إجمالي لنموذج عام. لكن طبيعة هذا العمل ليست بالسهولة التي نتصورها إذ لا مفر من حصر المتن المدروس والذي سأخصه لكل من:

1- سعيد بنكراد: من خلال المدونات الآتية:

- السيمياء مفاهيمها وتطبيقاتها.
- شخصيات النص السردي البناء الثقافي.
- مدخل إلى السيمياء السردية.
- النص السردي نحو سيميائيات للأيدلوجيا.
- الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة.
- مسالك المعنى: دراسات في الأنساق الثقافية.
- سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائية.

2- رشيد بن مالك: من خلال المدونات الآتية:

- قاموس مصطلحات التحليل السيميائي.
- مقدمة في السيميائية السردية.
- البنية السردية في النظرية السيميائية.
- من المعجمات إلى السيميائية.

3- مقارنة بين محمد الناصر العجيمي والسعيد بوطاجين: من خلال:

- كتابه "في الخطاب السردي نظرية غريماس".

- الاشتغال العاملي.

سأحاول الاشتغال على هذه المدونات بغية الوصول إلى ماهية السيمياء في الساحة النقدية المغاربية؛ وعندما نقول الساحة المغاربية فإن الحديث يقينا ستركز على المدرسة الفرنسية خاصة -السيمياء السردية- باعتبار أن أغلب النقاد المغاربة تأثروا بأصحاب هذا التوجه وكانوا من أشياعه وأوفياءه، لكن هذا لا يعدم وجود بعض النقاد الذين كانوا أكثر اتزاناً في استقبالهم للمنهج السيميائي فتبنوا المشروع السيميائي المحايد -سيمياء السرد- دون أن يغفلوا ويهملوا باقي الاتجاهات السيميائية، ومن هؤلاء النقاد نذكر مثلاً: سعيد بنكراد الذي انفتح على سيمياء التأويل، ونقصد سيمياء الأنساق الثقافية وسيمياء الأنساق البصرية وغيرها، وهذا ما سأنتطرق إليه في نصوصي التطبيقية.

باختصار سأحاول في بحثي استنطاق متون المدونات السابقة للوصول إلى

ثلاث مسائل:

1- مسألة الاستيعاب.

2- مسألة المصطلح ودقة ضبطه وتحديد دلالاته ضمن سياق التلقي.

3- مسألة تمثل الساحة النقدية المغاربية للسيمياء -خصوصاً السيمياء السردية.

الفصل الأول

التلقي العربي للسياء

المبحث الأول: سيمياء المصطلح والإجراء: الأصول والمرجعيات

توطئة

إن إعطاء تعريف جامع وشامل لعلم السيمياء يعد من الأمور الصعبة، سواء في الثقافة الغربية أو العربية، ولعل مكن الصعوبة يرجع إلى زبئية المصطلح الذي لطالما أسال حبر الكثير من النقاد والباحثين باعتباره مفتاحا نلج به عالم العلوم لمعرفة كنهها وسرها، ف"السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سورهِ الجامع، وحصنه المانع، فهو كسياج العقلي، يرسى حرمانه، رادعا إياه أن يلبس غيره، وحاضرا أن يتلبس به، ومتى تحلى الدال بخصلتي الجمع والمنع كان على صعيد المعقولات بمثابة الحد عند أهل النظر المقولين الذين هم المناطقة، فيكون المصطلح الفني في أي شعبة من شعاب شجرة المعرفة الإنسانية سلطة ذهنية، هي سلطة المقولات المجردة في علم المنطق؛ فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياساته، متى فسد فسدت صورته واختلت بنيته فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته"¹ والقارئ للمقولة السابقة يستجلي بوضوح شديد ذلك التواشج القائم بين العلم والمصطلح، فإذا فسد المصطلح فسدت صورته واختل علمه فهو حصنه المنيع وسياجه الواقى من أي شائبة أو نقصان.

مصطلح السيمياء (علم العلامات)

يقوم على ركيزة العلامة التي تعد كيانا نفسيا وثقافيا وحضاريا بشكل عام، يصعب تناوله، بالإضافة إلى طبيعتها الخطية في تحقيق عملية الإبداع والتوصيل؛ لأنها لا تتوقف عند مفردات أحادية، بل تتعدها إلى علاقات ارتباطية، فالعلامة أصل كل معرفة، فكل شيء حوانا في حالة بث غير منقطع الإشارات، فالمعاني (والمعاني محصلة الإشارات المجتمعة) لصيقة بكل شيء...

1- عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984، ص11.

وهي عالقة بكل الموجودات حيهما أو جامدهما، عاقلها وغير عاقلها، وما على المتلقي سوى إبداء النية في التلقي لكي يشرع العقل في عملية معقدة مفادها تفكيك الشبكات الإشهارية للمعاني المحيطة بنا.¹

1- مصطلح السيمياء

1-1- في المعاجم اللغوية

أ- المعاجم العربية

نشير في البداية أن جل الدراسات أكدت أن الأصل اللغوي لمصطلح السيمياء (sémiotique) ينحدر من الأصل اليوناني (sémion) الذي يعني علامة و(logos) الذي يعني (خطاب) والذي نجده مستعملا في كلمات مثل (علم الاجتماع sociologie) و(علم الأحياء biologie) وبامتداد أكبر كلمة (logos) تعني (العلم) فتصبح السيميولوجيا بذلك (علم العلامات).²

يمكن القول أن المفهوم الإغريقي للمصطلح يعني: علامة مميزة، خصوصية، أثر، قرينة، سمة مؤشرة، دليل، سمة منقوشة أو مكتوبة، بصمة، رسم مجازي.³

يعرف معجم (روبير Robert) السيميائيات بأنها: "نظرية عامة للأدلة، وسيرها داخل الفكر... كما أنها نظرية للأدلة والمعنى وبسيرها في المجتمع... وفي علم النفس تظهر الوظيفة السيميائية في القدرة على استعمال الأدلة والرموز".⁴

1- ينظر: فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية، ط1، 2010، ص08.

2- برنار توماس، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، دار إفريقيا-الشرق، المغرب، ط2، 2002، ص09.

3- ينظر: يوسف وجليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأسلوبية إلى الألسنية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، الجزائر، 2002، ص131.

4- حاتم مولاي علي، الدرس السيميائي المغربي، مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2005، ص126.

وهذا التعريف يقترب من التعريف الاصطلاحي المتداول بين النقاد والذي سنشير إليه لاحقاً.

وجاء في قاموس (ديبوا Dubois) أن "السيمولوجيا ولدت من مشروع فرديناند دي سوسير، وموضوعها هو دراسة حياة العلامات داخل الحياة الاجتماعية، وهي تتدرج ضمن علم النفس كفرع من علم النفس الاجتماعي، وفي هذه الحالة لا تكون اللسانيات غير فرع من السيمولوجيا".¹

وجاء في (القاموس الموسوعي الحديث) أن: "السيمائية أو السيمولوجية هي دراسة العلامات والسيرورات التأويلية".²

ب- المعاجم العربية

جاء في لسان العرب لابن منظور في مادته (س.و.م) قول صاحبه: "والسومة والسيمة، وقوله عز وجل: «لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين»، قال الجوهري: السومة بالضم العلامة تجعل على الشاة، قال أبو بكر: قولهم عليهم سيما حسنة معناه علامة، وهي مأخوذة من وسمت، أسم، والأصل في سيما وسم فحولت الواو موضع الفاء، فوضعت في موضع العين، وفي التنزيل العزيز: «والخيل المسومة»، وقيل الخيل المسومة عليها السيمة والسومة، وهي العلامة".³

انطلاقاً مما ورد في لسان العرب نخلص إلى أن لفظ (سمة) يعني العلامة، وأنه ليس جديداً على اللغة العربية، كما أن معناه يتفق وما تشير إليه المعاجم الأجنبية، وما يؤكد هذا ويدعمه أن لفظ (السمياء) ورد في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وكلها أنتت بمعنى (العلامة).

1- J.Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage

2-O.Ducrot, J.M Schaffer et autres, Nouveau dictionnaire des sciences, édition du Seuil, Paris, 1972

3- ابن منظور، لسان العرب، مادة (س.و.م)، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط، ص2158.

يقول عز من قائل في سورة البقرة الآية 273: «تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إحافا وما تتفقوا من خير فإن الله به عليم»، وفي سورة الأعراف الآية 46: «وبينهما حجاب وعلى الأعراف رجال يعرفون كلا بسيماهم»، وقوله تعالى في نفس السورة الآية 48: «ونادى أصحاب الأعراف رجال يعرفونهم بسيماهم»، وقوله تعالى أيضا في سورة الفتح الآية 29: «سيماهم في وجوههم من أثر السجود»، وقوله عز وجل في سورة الرحمن الآية 41: «يعرف المجرمون بسيماهم فيؤخذ بالنواصي والأقدام»، وقوله تعالى في سورة محمد الآية 31: «فلعرفتهم بسيماهم ولتعرفنهم في لحن القول والله يعلم أعمالكم»، كما وردت في صيغة المفعول (مسومة) بمعنى (معلمة) في الآيات: «والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب» سورة آل عمران الآية 14. «يمدكم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة مسومين» سورة آل عمران الآية 125، «مسومة عند ربك وما هي من الظالمين ببيعد» سورة هود الآية 83، «مسومة عند ربك للمسرفين» سورة الذاريات الآية 34.

أما كلمة السيمياء في الشعر العربي، فنجد قول أسيد بن عنقاء:¹ **هامش**

غلام رماه الله بالحسن يافع *** له سيمياء لا تشق على البصر

كأن الثريا علقت فوق نحره *** وفي جيده الشعرى وفي وجهه القمر.

دلت لفظ (سيماء) في البيت الأول على معنى (العلامة)، علامات وسمات

جمال ووسامة الغلام.

وجاء في المعجم الوسيط كلمه (السيمياء) مرادفة لكلمة (السيميا) حيث نجد

ما يلي: "تسوم فلان، اتخذ سمه ليعرف بها".²

1- ابن منظور، لسان العرب، (مادة س.و.م)، ص2158.

2- المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ط3، 1998، ص1167.

1-2- اصطلاحا

لعل أوسع التعريفات التي حظي بها مفهوم السيميائيات ما جاء في مقولة أمبيرتو إيكو: "تعنى السيميائية بكل ما يمكن اعتباره إشارة".¹ تنطلق نظرة السيميائيين للنص من كونه عبارة عن شبكة من الشيفرات يقوم القارئ بفكها.² فالنص يحمل أسراراً كثيرة، والبدال هنا يستفز القارئ ويدعوه إلى البحث عنها وفك رموزها، انطلاقاً من فهم العلاقة الجدلية الموجودة (البدال والمدلول)، كما حددها علماء اللسان؛ أي علاقة الحضور والغياب (البدال حضور والمدلول غياب)، فيتحول القارئ بذلك إلى كاتب ثانٍ مما يولد متعة ولذة بينه وبين النص.³

اهتم فرديناند دي يوسير (F.De Saussure) بالعلامات واعتبرها جزءاً جوهرياً من علم الاجتماع، فهي ذلك العلم الذي يهتم بحياة العلامات داخل العلامات الاجتماعية.⁴ وهي في "الحقيقة كشف واستكشاف لعلاقات دلالية غير مرئية من خلال التجلي المباشر للواقعة؛ إنها تدريب للعين على التقاط الضمني والمتوازي والمتمتع، لا مجرد الاكتفاء بتسمية المناطق أو التعبير عن مكونات المتن"⁵؛ فالسيميائيات تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني: "إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني بدءاً من الانفعالات البسيطة ومروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"، مروراً بالمصدر نفسه، ص10. فالوجود الإنساني تحدده المعرفة التي يقترحها اللسان وأيضاً الأنساق

1- دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008، ص28.

2- عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة، القاهرة، ط2003، ص46

3- ينظر: يوسف الأطرش، المقاربة السيميائية في قراءة النص، الملتقى الوطني الأول للسمياء، النص الأدبي، ص147.

4- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص10.

5- المصدر نفسه، ص10.

التواصلية التي ليست بالضرورة من طبيعة لسانية (كالأمارات، والطقوس الاجتماعية... الخ.¹

لجأ بعض الدارسين أمثال **جون ماري كلينكنبرغ** (Jean Mare Klnknberg) إلى تقسيم السيمياء إلى مستويات حتى يسهل علينا فهمها فذكر ثلاثة مستويات:²

* سيميائية عامة

يتمثل طموحها في محاولة إبراز العلاقات الموجودة بين اللغات؛ إنها تقع في مستوى عال من التجريد، سيمياء تحث على التفكير الأخلاقي: فهي تتساءل عما يسمح بتأكيد أن الأشياء يجب أن تكون هكذا وليس غيره، فهي تبرز أنظمة القيم التي على ضوءها تقوم بالتصنيف وتصدر أحكاما.

* سيميائية خاصة

تشكل وصفا تقنيا للقواعد الخاصة التي تتحكم في اشتغال (لغة) خاصة؛ أي لغة متميزة بشكل كاف بما يضمن استقلال وصفها، فالسيميائيات الخاصة يمكن أن تصل حدا من الدقة قريبا من مستوى العلوم الدقيقة، وقد لعبت اللسانيات دور النموذج بالنسبة لهذه السيميائيات، كما يمكن لنا أيضا أن ندرج داخل صنف السيميائيات الخاصة الخطابات متعددة المنظومات، مثلا سيميائية المسرح تستدعي بالضرورة اعتبارات تتعلق باللغة والحكاية وسيميائية الحركات وسيميائية الفضاء.

* سيميائيات تطبيقية

يطبق في هذا المستوى من الدراسة النتائج المحصل عليها في المستوى الثاني مثل العمل الأدبي أو الفني أو حصة تلفزية... الخ.

1- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص11.

2- ينظر جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، ط1، 2015، ص23-25.

بإيجاز يمكن القول أن السيميائية تستهدف الكشف عن شروط التدليل وفحص جذور المعنى وسير أغواره، فهي تحاول الإجابة عن سؤال: ما الذي جعل التدليل الظاهر للنصوص التي نقرأها أو نسمعها أو ننتجها ممكناً؟ وما هي القواعد التي تؤدي جميعاً إلى انبثاق المعنى؟ وتبحث عن: كيف يقول النص ما يقوله؟

2- الخلفيات الفلسفية والأصول المرجعية للسمياء

2-1-1- الأصول الفلسفية عند الغرب القدامى

حاول الفلاسفة منذ الأزل أن يقفوا على كل إشارة واردة كي يخضعوها لسلطة صاحب هذا الفكر (الإنسان) حتى يتمكن منها، وذهب الفلاسفة مذاهب شتى في تفسير المعرفة عند الإنسان، فقد حاولت الفلسفة أن تلبّي حاجة الفكر الإنساني، والدليل على ذلك أن الأفكار الفلسفية تمثل الأصول المعرفية التي تقوم عليها كل المناهج النقدية، فإذا أردنا البحث في أصول منهج نقدي ما، فإننا سنجد أصوله في فلسفة ما، فقد أشار الفلاسفة منذ أفلاطون وأرسطو والرواقيين إلى وجودية علم العلامات.

أ- العلامة عند الإغريق (أفلاطون/أرسطو)

شغل أفلاطون وأرسطو نفسيهما بالتفكير في الإنسان والمجتمع والطبيعة وما وراء الطبيعة، ليعيش فكرهما في ضمير البشرية على مر الزمن، سواء أكان ذلك بصورة مباشرة أو خفية، والحديث عن أفلاطون وأرسطو هو حديث عن منهجين عامين في التفكير، هما الاستدلالي الذي يقوم على المصادرات والقضايا المركبة، والمنهج الاستقرائي الذي يدرس الظواهر في تعييناتها ويستقصيها ويصل إلى صياغة القوانين التي تحكمها عن طريق الملاحظة، فالفرض، فامتحان الفرض عن طريق التجربة.

جال الفيلسوفان في ميدان اللغة كونها حجر الأساس في نظرية المعرفة، فهي أداة الاتصال، وقد وصل بهما البحث إلى أن ثمة دلالة تتكون من دال ومدلول وهناك طبيعة تداولية مرجعية، أي إلى التمييز بين دلالة الأسماء والطبيعة التداولية،¹ فيكون بذلك أفلاطون وأرسطو قد حولا الاهتمام من أنظمة الدلالة إلى عمليات التواصل.²

ما توصل إليه الفيلسوفان استوعبه الرواقيون فيما بعد، ويتضح ذلك في تقسيمهم الثلاثي للعلامة: (العبارة والمضمون والمرجع)، فنظرية المعنى لم تغب عن أفلاطون وأرسطو، فهي نظرية ربطت بين مقولات اللغة ومقولات الفكر؛³ فالمعنى ليس في اللغة وإنما في كل من الأشياء والموجودات، ومسألة المعنى مسألة فلسفية ونفسية ولسانية، ومحلها في اللغة، المفردة والعبارة التي تنطبق على المركبات الجزئية والجمل.⁴ ويمكن تقسيم طروحات أرسطو في البحث العلاماتي إلى قسمين:

القسم الأول: اللفظة المفردة

يخص هذا القسم المعرفة اللغوية، فقد أقر أرسطو بأن الكلمات هي علامات، ويرى أمبرتو إيكو بعد استقراء هذا الموقف أن أرسطو أكد بطريقة تكاد تكون عفوية أن الكلمات والحروف هي بلا شك وقبل كل شيء (سيمليا)، أي علامات للمعاني التي في النفس.⁵

القسم الثاني: العبارة

- 1- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005، ص62.
- 2- ينظر المرجع نفسه، ص76.
- 3- ينظر: مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، إفريقيا-الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987، ص03.
- 4- سرور حشيشة، اللغة والمعجم، مجلة علامات، العدد الرابع، 2013، ص109.
- 5- ينظر: محمد فيلح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات الضفاف دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص25.

وكان ذلك في كتابه (الخطابة)، فالخطابة تجمع بين ثلاثية: الخطيب (المؤلف) والمخاطب (الجمهور) والنص الخطابي، ويقف أرسطو عند المادة الخطابية، فيرى أنها تتكون من احتمالات ترتبط بالعموم بالقابل للإمكان والتغير وعلاقته بما هو محتمل اتجاهه، هي علاقة الكلي بالجزئي، وتتكون هذه المادة أيضا من العلامات، ويقسمها إلى قسمين:

العلامات الضرورية: وهي تلك العلامة التي ترد إلى سياق منطقي غير قابل للتفنيد لتعارضه مع المنطق العقلي، فالإنسان المصاب بالحمى هو مريض وليس العكس.¹

العلامات غير الضرورية: "وهي تلك العلامات التي تحتل التفنيد، وإن صحت الواقعة، وقد قسمها أرسطو إلى قسمين: علامات علاقتها كعلاقة الجزئي بالكلي كحكمنا بعدالة سقراط باعتباره حكيمًا، فإنه لا يصح إعمامه على كل الحكماء وإن صحت عدالته، وهناك علامات علاقتها كعلاقة الكلي بالجزئي، إذ نقول أن رجلا مصابا بالحمى لعسر تنفسه، فهذا يمكن تفنيده وإن صحت المقولة الواقعية، إذ ليس من الضروري أن يصاب بالحمى من تعرض لعسر التنفس".²

ب- الرواقيون

من محاسن الفلسفة الرواقية أنها "تفردت في ضم المنطق إلى مباحث اللغة والدلالة، ولهذا كله كانت لها قصبات السبق في أن تكون لها قدم راسخة في تاريخ التفكير السيميائي القديم".³ وتظهر أهمية الفلسفة الرواقية فيما يتعلق بالعلامات اللسانية غير اللسانية.

1- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد الحديث، منشورات ضفاف دار الأمان، الرباط، 2013، ص26.

2- المرجع نفسه، ص26.

3- يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة وجبر العلامات، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1، ص28.

استوعب الرواقيون الفلسفة اليونانية بشكل جيد، وتأثروا بها وبما ألح عليه كل من أفلاطون وأرسطو في ثلاثية الماهية اللغوية القائمة على ثلاثة عناصر: العبارة والمضمون والمرجع، فقد كان للعلامة عندهم حضور؛ إذ اتهم أول من قال بأن العلامة دال ومدلول (signifié signifiant)، هذان الأمران لا يتعلقان فقط بالعلامة اللغوية فحسب، بل وكما يوضح دايكو كل أنواع العلامات.

ما يميز الرواقيين هو الدقة النظرية التي أولوها للغة، وأطلقوا كلمة (قولاً) على العلامة اللغوية وعرفوا القول "على أنه تلك الكلمة المنطوقة التي ليست فحسب إصدار الصوت بل بالإمكان إدراك معناها والتعرف عليها لأنها مرتبطة بكلمة العقل أو القلب".¹

يربط الرواقيون القول المنطوق الذي يمثل الصوت بالإدراك العقلي والقلبي وليس العياني الحسي، فهم يتناولون ماهية اللغة على أنها إدراك داخلي يتم هضمه داخل بوتقة العقل والقلب،² فميزوا بذلك بين العناصر النفسية وغير النفسية، فالصوت والشيء محسوسان، أما مضمون العلامة وهو ما يتطابق مع المدلول السوسيري فنفسى، لأنه صورة مجردة عن الشيء،³ ومفهوم العلامة عندهم يتمثل في تلك العلاقة بين الكلمات والأشياء التي تربطها أو تعينها في العالم الخارجي.

انطلق الرواقيون في أبحاثهم اللغوية من عبارة وليس من الكلمة، ويسمون العبارة (قولاً) ويجعلونه من الأشياء غير المادية، ثم يصنفون الأقوال إلى تامة وغير تامة، فالتامة هي التي تكون لدينا في اللحظة التي يتلفظ بها قولاً وتسمى

1- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص 77.

2- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد الحديث، ص 27.

3- ينظر: سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، مج 35، العدد الثالث، مارس 2007،

قضية، أما غير التامة فهي ما يخص العبارة من الجانب المعجمي والنحو، أي ما يخص الموضوع والمحمول¹

فرق الرواقيون بين ماهية اللغة والعلامة، فالعلامة حسب فهم إيكو "شيء واضح بصيغة مباشرة يؤدي إلى استنتاج وجود شيء غير واضح مباشرة"²، فالإدراك اللغوي يتم أولاً ويقود إلى معنى آخر، فالعلامة هي ما يمكن أن تحمل أكثر من دلالة مع وجود المعنى المباشر.

العلامة عند الرواقيين هي شيء غير مادي شيء يخضع لباطنية العقل تتعرض داخل العقل إلى عمليتين إحداها لغوية والأخرى دلالية، فتكون العلامة المرحلة الأكثر إدراكاً من قبل العقل.³

أوغسطين

يرى دافيد جاسبر أن أهم إسهامات هذا القديس تتمثل في (نظرية الإشارات)، أو (السيمائيات) التي شرحها في كتابه (حول العقيدة المسيحية)، التي تشير بأنه لا بد في قراءة أي نص ديني الالتزام بالتحليل الحذر للغة، النص وبنية النحو، من أجل منع أي استنتاجات غريبة لا أساس لها، فالكلمات عبارة عن دوال تشير إلى المدلول الذي يجب أن لا يخلط مع الشيء الذي يشير إليه، فأوغسطين يبين هنا ثلاثة أشياء: الدال، والمدلول، والشيء الذي يشير إليه.⁴

ميز أوغسطين بين العلامات الطبيعية والعلامات التواضعية، وكذا وظيفة العلامات عند الحيوانات وعند البشر.⁵ كما اعتبر أداة لاحقة للفكر، ولا تقوم إلا

1- م. روزنتال وب. يودين ونخبة من العلماء السوفيات، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1981، ص230.

2- أمبرتو إيكو، السيمائية وفلسفة اللغة، ص79.

3- ينظر محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص30.

4- ينظر محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص30.

5- ينظر فيصل الأحمر، معجم السيمائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، بيروت-الجزائر، ط1، 2010، ص21.

بالكشف عن مكنونه من خلال ألفاظ بعينها، وأن الفكر سابق في الوجود على الكلمات المنطوقة أو المتخيلة، فالشخص يمكن أن يفهم كلمه قبل النطق بها وقبل أن تتشكل الصور الصوتية الضرورية لذلك.

منح **أوغسطين** الامتياز للعلامات المحمولة في الكلمات لكونها أكثر قدرة على تمثيل العلامات البصرية والسمعية وغيرها، وذلك لتوفر الكلام على القدرة المنطقية والطاقة الحجاجية، وإن اختلفت الألسن.¹

فالكلمة عند **أوغسطين** ثلاثة مستويات: الأول بوصفها صوتاً منطوقاً، والثاني بوصفها رمزا يدل على كيان آخر، والثالث في أن الكلمة تجسيد لعلاقة وجدانية عامه تتأسس على الارتباط المقدس.²

جان لوك Jean Look

أعلن **جون لوك** أن التجربة هي المصدر الوحيد لكل الأفكار، وأن الأفكار هي منتج يخرج إما عن طريق تأثير الموضوعات الخارجية عن الحواس أو عن طريق الانتباه.³

كما حصر **لوك** فلسفة المعرفة الإنسانية في ثلاثة علوم هي: الفيزياء والأخلاق والسيمائية،⁴ وبهذا يعد **لوك** أول من استعمل مصطلح (سمياء) بعد اليونان، ومفهوم السيمائية عنده لا تخرج عن "كونه العلم الذي يهتم بدراسة الطرق والوسائط التي يحصل عن طريقها على معرفة نظام الفلسفة والأخلاق وتوصيل معرفتها".⁵

1- ينظر: يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة، ص26.

2- بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة -قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، بيروت-الجزائر، ط1، 2010، ص40.

3- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص32.

4- أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة، ص33.

5- مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميائية المعاصرة، ص03.

السميائية عند لوك هي أداة اتصال بوصفها أدوات علامائية تعتمد اللغة ويستوعبها الفكر، وترجمة هذه العلامات يتم بين الحواس والفكر. اهتم لوك بدراسة الطرق والوسائط والوسائل التي تؤدي إلى التعرف على نظام الفلسفة والأخلاق من خلال الاهتمام بطبيعة دلائل العقل التي يستخدمها لفهم الأشياء ونقل المعرفة للآخرين.

دافيد هيوم

عالج دافيد هيوم العلامة بشكل متميز عن طريق تناوله الفلسفي لقضية العلة والمعلول والحالة الخارجية، فالمعرفة عنده "لا تكمن في فهم الوجود بل في قدرتها على أن تكون دليلاً للحياة العملية".¹

فالمعرفة تستقى من التجربة عن طريق الاقتران المطرد بين الموضوعات، كما أثار دافيد هيوم قضية العلة والمعلول وعلاقتها ببعضها التي تتحدد بعمومية التجربة؛ أي حين تتحول المعرفة الفردية إلى معرفة تداوله داخل المحيط الاجتماعي، فهذه العمومية هي من تمنح الإنسان اليقين في فهم حقيقة الأشياء.

لكونها تجربة سابقة مكررة، أن الطرح الفلسفي الذي جاء به هيوم يتلخص في قضية العلة والمعلول وربطهما بتكرار التجربة.

يتضح من خلال التتبع المرحلي للعلامة منذ أفلاطون وأرسطو حتى دافيد هيوم أنها حازت على اهتمام كبير من لدن الفلاسفة لارتباطها بنظرية المعرفة، فلم يغب مفهوم العلامة عند كل من أفلاطون وأرسطو وحتى الرواقيين، بل أطلق عليها مصطلح (سميائية) عند لوك وصولاً عند هيوم الذي أثار قضية العلة والمعلول والحالة الخارجية.

1- نخبة من العلماء السوفيات، الموسوعة الفلسفية، ص570.

2-2- الاتجاهات السيميائية

أ- الاتجاه الأمريكي

اهتم **بيرس** (C Pierce) بالمستوى الأنطولوجي للسميوطيقا؛ أي بتحديد ماهية العلامة ودرس مقوماتها وطبيعتها وعلاقتها بالموجودات الأخرى التي تشبهها، حيث ربط **بيرس** بين المنطق والسميوطيقا، إذ جعل: المنطق في مفهومه العام اسما آخر لها،¹ وله كتاب حول العلامة ظهر قبل **دي سوسير**، وغاية السيميائية عنده البحث عن الأنظمة الدالة في مختلف العلوم العقلية والإنسانية، فهو يقول: "ليس باستطاعتي أن أدرس أي شيء في الكون كالرياضيات والأخلاق والميتافيزيقا والجاذبية الأرضية والديناميكية الحرارية والبصريات والكيمياء والتشريح، وعلم الفلك النفس، علم الصوتيات، وعلم الاقتصاد، وتاريخ العلوم والكلام... إلا أنه نظام سيميولوجي".²

أكد **بيرس** أنه لا يستطيع دراسة أي شيء في الكون إلا دراسة سميوطيقية، ما الكون إلا علامة، والعلامة عند **بيرس**: "هي شيء ما ينوب لشخص ما عن شيء ما من وجهه ما بصفه ما، فهي توجه لشخص ما بمعنى أنها تخلق في عقل ذلك الشخص علامة معادلة، أو ربما علامة أكثر تطورا، وهذه العلامة التي تخلقها اسميتها مفسرة للعلامة الأولى. إن العلامة تتوب عن شيء ما، وهذا الشيء هو موضوعاتها، وهي لا تتوب عنها إلا بالرجوع إلى نوع الفكرة التي سميتها سابقا ركيزة المصورة".³

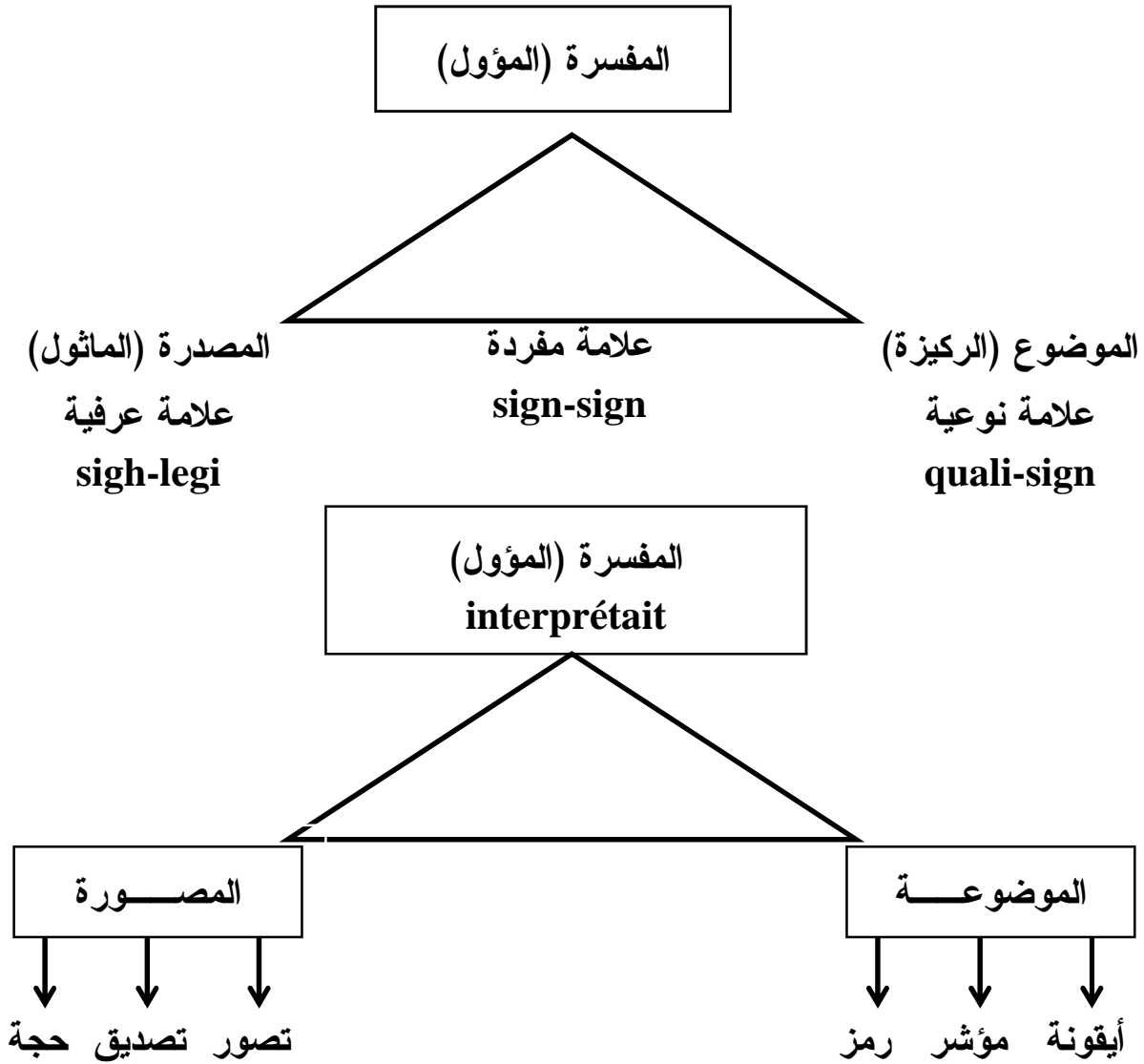
يؤشر التعريف إلى شيئين:

- 1- ميشال أريفي وجون كلود، السيميائية، أصولها وقواعدها، ص26.
- 2- مجموعة من المؤلفين، الأدب الجزائري في ميزان النقد (السيميائية والنص الأدبي)، أعمال ملتقى معهد الآداب واللغات، عنابة، 1995، ص10.
- 3- دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامة، تر: عبد الرحمان بوعلي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004، ص95-96.

* الأول: العلامة بوصفها رموز صوتية مادية يصطلح عليها باختلاف الترجمات الركيزة والممثل المأثور وتقابل الدال عند دي سوسير.

* والآخر: يمثل الصورة الذهنية التي يرسمها الذهن للموضوع وتسمى بالفسرة أو المؤول، وهي تقابل المدلول عند دي سوسير، أما الفهم المستقى لما تبقى من التعريف فهو يخص الشيء المعبر عن ذاته، بوصفه موضوعاً للعلامة.

وبناء على ما تقدم فقد اقترح بيرس مثلثاً سيميوطيقياً يمثل (الدليل/العلامة) والموضح فيما يلي:¹



1- أندرياس ساندرس بيرس، تطبيق العلامات، تر: فريال غزول، ضمن كتاب أنظمة العلامات، ص 138.

على هذا الأساس يرى بيرس أن العلاقة تتكون من الممثل (الركيزة، الماثول) ومن الموضوع ومن المفسرة (المؤول)، وأن كل ما هو كائن في الذهن يدخل على الأقل في إطار مقولة من المقولات الثلاث: (الأولية والثانوية والثالثية)¹، ومعناه أن العلامة تخضع لهذه المقولات؛ الأولية يمثلها الممثل، والثانوية يمثلها الموضوع، ويمثل المؤول الثالثية معناه.

أولانية تحيل إلى ثنائية عبر ثالثية.

ويمكن تقديم جدول يختزل ما سبق ذكره:²

المقولات	الأولانية	الثانوية	الثالثية
أقسام العلامة	علامة نوعية	علامة فردية	علامة عرفية
الممثل (ماثول)	أيقونة	مؤشر	رمز
الموضوع	دليل	خبر	برهان

ميز بيرس بين ثلاث مقولات أساسية تعبر عن ثلاثة أنماط من كينونة

العناصر البارزة، وهي على التوالي:³

الأولانية (firstness)

الثانوية (secondness)

الثالثية (therdness)

1- جيرار دولودال، السيمياء أو نظرية العلامات، ص79.

2- محمد الجبوري، الاتجاه السيميائي، ص48.

3- ينظر: محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف دار الأمان، الرباط، 2013، ص49.

الأولانية: كينونة شيء أول وسابق لأي تركيب أو توليف، وهي عالم الممكنات (les possibles) والكيفيات (qualités) المجردة.

والثانانية: مقولة الوجود والتحقق الفعلي.

الثالثانية: هي مقولة الوعي الذي يتدخل ليربط بين الشيء كما كان كفي مجرد وبين تحققه الفعل في عالم الموجودات والموضوعات.

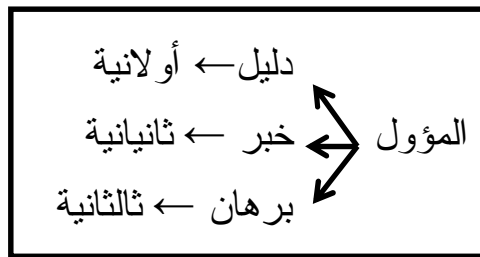
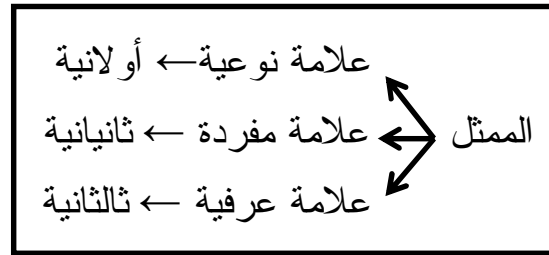
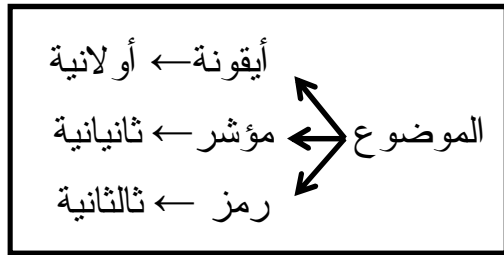
تميز عمل بيرس بقدرة كبيرة على التجريد والتصنيف وإدماج جميع وجهات النظر التي يمكن أن تسلط على العلاقة، ما مكنه من تحصيل 27 علامة.

قسم بيرس العلامة إلى ثلاث ثلاثيات، أولاً وفقاً لماهية العلامة في ذاتها... وتقسيمها، ثانياً وفقاً لعلاقة العلامة بموضوعها... ويكون التقسيم الثالث وفقاً لتصوير المفسرة للعلامة.¹ وتنتشر هذه المقولات إلى ثلاثيات، وهذه الثلاثيات أيضاً تنتشر إلى ثلاثيات جديدة، وصولاً إلى الفهم الحق لماهية العلامة، ويسميتها بيرس بسلسلة المؤولات المتتالية، فالعلاقة من هذا المنظور هي "علاقة ثلاثية بين ثلاث علامات فرعية تنتمي إلى الأبعاد الثلاثة للممثل والموضوع والمؤول"،² وكل بعد من هذه الأبعاد يخضع للانحطاط استناداً إلى تلك المقولات التي تحدد "ثلاثة أنماط للوجود: وجود الإمكان النوعي الموضوعي، ووجود الواقعة الفعلية، ووجود القانون الذي سيحكم هذه الوقائع استقبالياً".³ ويمكننا وضع المخطط التالي لتقريب الفكرة للقارئ:

1- سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية، دت، ص 141.

2- عبد الكريم شرفي، من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف-الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر-بيروت، ط1، 2007، ص 45.

3- سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، المركز الثقافي العربي، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 2005، ص 53.



وسأشرح في الجدول التالي:

علاقة العلامة بنفسها	علاقة العلامة بموضوعها	علاقة العلامة بممثلها
العلامة النوعية الوصفية qualisigne	أيقونة icône	التصور rhème
لا يمكنها أن تتصرف كعلامة حتى تتجسد، فهي صفة تمثل مادية العلامة.	علامة تدل على موضوعها فترسمه وتحاكيه وتشاركه بعض الخصائص المتشابهة.	كل علامة لا تصلح لأن تكون حكماً، بل فقط حدل في الحكم وهي بالتالي لا تحتمل الصدق ولا الكذب
العلامة المفردة sinaigne	المؤشر indice	الإخبار dicisigne
هي الواقعة الفعلية التي تشكل العلامة، ولا يمكن أن تكون علامة	علامة تشير إلى الموضوعة التي تعبر عنها، وذلك عن طريق	علامة قابلة للحكم؛ أي أنها تقبل الصدق أو الكذب كما في قولنا: كل

إلا عبر نوعيتها كما في النصب التذكاري.	المجاورة السببية مثل الدخان يشير إلى النار.	إنسان فان
العلامة المعرفية légisigne	الرمز symbole	الحجة/البرهان argument
كل علامة متواضع عليها فهي علامة عرفية (كعلامات السير).	علامة تشير إلى موضوعة التي تعبر عنها عبر عرف.	هي أكمل سائر العلامات دائمة الصدق وهي تأليف من العلامات لا تتعلق سوى بالقواعد.

العلامة إذن بالنسبة لبيرس (سيموز sémios)؛ أي علاقة حقيقية بالمعنى
الفعال للعلامة، والسيموز يعني الفعل أو الأثر الذي هو تشارك أو الذي نفترض
تشارك ثلاثة عوامل (العلامة، موضوعها، مؤولها) وهذا الأثر ثلاثي المعرفة لا
يمكن بأي شكل أن يختزل إلى مجرد علاقات بين أزواج،¹ وعليه العلامة عند
بيرس تعالج في إطارها المنطقي.

وقد ركزت في الاتجاه الأمريكي على مجهودات بيرس لأنه أحسن من مثل هذا
الاتجاه بامتياز.

ب- الاتجاه الفرنسي

* السيميولوجيا السويسرية (دي سوسير)

يعد فرديناند دي سوسير F. De Saussure أول من تنبأ بظهور هذا العلم
وتصور وجوده قبل أن يكون، علم سيأخذ على عاتقه دراسة حياة العلامات داخل
الحياة الاجتماعية، من خلال الكشف عن قوانين جديدة تمكن من تحليل منطقة
هامية من الإنساني والاجتماعي، عبر صياغة حدود هذه الأنساق وشكلانتها،

1- ينظر: دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامة، ص41.

واللسان -حسب سوسير- هو أرقى هذه الأنساق وأكثرها أهمية، فيه يعقل الكون، وهو أيضا مصفاة تحضر عبرها هذه الأنساق في الذهن.

حصر سوسير اهتمامه في محاولة تحديد كنه اللسان والكشف عن قوانينه، ويشير إلى هذا العلم في معرض تعريفه للسان قائلا: "إن اللسان نسق من العلامات المعبرة عن أفكار، وهو بذلك أشبه بأبجدية الصم والبكم، والطقوس الرمزية وبأشكال الآداب والإشارات العسكرية، إلا أنه يعد أرقى هذه الانساق، ومن هنا تأتي إمكانية البحث عن علم يقوم بدراسة هذه العلامات داخل الحياة الاجتماعية... نطلق على هذا العلم السيميولوجيا؛ وستكون مهمته هي التعريف على كنه هذه العلامات وعلى القوانين التي تحكمها، وبما أن هذا العلم لا يوجد بعد، فإننا لا نستطيع التنبؤ بجوهره ولا بالشكل الذي سيتخذه... إننا نسجل فقط حقه في الوجود ولن تكون اللسانيات سوى جزء من هذا العلم العام، وستطبق قوانينه التي سيتم الكشف عنها على اللسانيات".¹

مما يعني أن اللسانيات والسيميولوجيا نشاطان معرفيان متداخلان، فالسيميولوجيا لكي تتأسس هي بحاجة إلى المعرفة اللسانية، وعندما تتأسس هذه السيميولوجيا فإن قوانينها الجديدة هي ما ستطبق على اللسانيات.

أقصى سوسير الذات المتكلمة من فعل اللسان وجعلها تخصص منفردا هي علم الكلام؛ وهذا يعني البحث عن موقع العلامة داخل اللسان لا خارجه، فاللسان هو نسق من العلامات موجودة خارج إرادة الذات المتكلمة، أما الكلام فإنه يعود إلى الفرد وإلى قدرته على تحويل النسق إلى إجراء.²

أعطى دي سوسير للعلامة وظيفة اختلافية، ومعناه أن العلامة لا تملك معنى، بل تملك استعمالا؛ فالمعنى موجود في الاستعمال لا في الوحدات اللسانية

1-De Saussure, cours de linguistique générale ,éd paythéoque, 1973, p33

2- ينظر: سعيد بنكراد، السمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص43.

المعزولة، وما يميز العلامة عنده أنها ذات طابع مزدوج (صوت، معنى) (حامل، محمول) من طبيعة نفسية يطلق عليها سوسير على التوالي:¹

- الدال: الصورة السمعية.

- المدلول: التصور.

والعلاقة بينهما اعتباطية، هذا المبدأ ليس خاصا بالعلامات فحسب، بل هو مبدأ واسع يمكن أن يشمل مجموع الظواهر الاجتماعية.

إن المبادئ التي اعتمدها سوسير في بناء صرحه النظري هي نفسها التي ستقوده إلى الدعوة إلى صياغة حدود علم آخر ستكون مهمته دراسة الوقائع عبر اللسانية التي تمثل علامات؛ أي وقائع دالة.

أشارت فريال غزول إلى مقال أخذته من مجلة (دياكريتيكس)، مفاده أن سيميولوجيا سوسير قد خلقت إشكالات أكثر مما أسهمت في تقديم الحلول، فاهتمام سوسير بالعلاقات الاعتباطية دفع السيميولوجيين إلى التركيز على هذه العلاقات مهملين دراسة الشفرات ذات العلاقات الارتباطية، ودليل صاحب المقال رأي كيكو الذي أكد أن العلاقة الاعتباطية إلى تفسير وإلى تأمل منظومة العلاقات التي تكسبها قيمة ومعنى. وكمثال توضيحي نأخذ "علامة تحمل صورة أطفال في الشارع، فالمراد هو الاحتراس لاحتمال وجود أطفال في المنطقة، فالصورة تدل بصورة مباشرة على المرمى إليه، أما إذا كانت العلامة ضوء أحمر متقطع (الذي يشير إلى الاحتراس في نظام السير) فتفسيرها يحتاج إلى اكتشاف منظومة علاقات تبرر استعمال الضوء الأحمر كدال لمفهوم الاحتراس، ولا يتم هذا إلا بدراسة الضوء الأحمر غير المتقطع وعلاقته بالضوء الأخضر والأصفر، فالكل

1- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص44.

يشكل منظومة يكتسب فيها كل لون دلالاته من علاقته، أو بالأحرى من تباينه عن الألوان الأخرى، فالعلاقة هنا بين الدال والمدلول مبهمة¹.

أسهم سوسير بشكل كبير في إرساء أسس السيميائيات الحديثة ورسم معالمها، وكان لأفكاره واجتهاداته أثر كبير في من تلاه من السميولوجيين واللسانيين.

يمثل هذا الاتجاه كل من بريطو (Prieto) ومونان (Mounin) وبوسنس ومرتنبيه وأوستين وكرايس... الخ، آمن هذا الاتجاه بالوظيفة التواصلية الإبداعية للدليل؛ فالعلامة حسب هذا الاتجاه تتكون من دال ومدلول والوظيفة أو القصد أو القصدية، فقد أكد كل من بريتو ومونان ومارتي وبويسنس على أن وظيفة اللسان الأساس هي التواصل، فما يهم هذه الدوال والعلامات السيميائية هو الإبلاغ.

والوظيفة التواصلية محصورة بين محورين.

أ- محور التواصل

ويتفرع إلى تواصل لساني يتم بين البشر بواسطة الفعل الكلامي وما يتعلق بذلك من آليات مختلفة. والتواصل غير اللساني الذي يعتمد على أنظمة سننية غير لغوية ويسميه بويسانس (لغات غير اللغات المعتادة)، وتعتمد عادة عدة معايير كالإشارة النسقية والانسقية والإشارة المتعلقة بالشكل كالإشارات التجارية.

ب- محور العلامة

يعتمد على توافق الدال والمدلول، يقسم هذا الاتجاه إلى أربعة أصناف:²

1- الإشارة: ما يميز الإشارة هو كونها مدركة ظاهرة، وهي رهن إشارة الإنسان الذي يملك حق تعريفها وشرحها كما يريد.

1- فريال غزول، مجلة فصول، المجلد 16، العدد الأول، 1997، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، ص286.

2- عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990، ص94-95.

2- المؤشر: وقد عرفه برييطو بأنه العلامة التي هي بمثابة إشارة اصطناعية، هذا المؤشر وهو يفصح عن فعل معنى لا يؤدي المهمة المنوطة به، إلا حيث يوجد المتلقي له كما في إشارات المرور.

3- الأيقون: علامة تدل على شيء تجمعها إلى شيء آخر علاقة المماثلة.

4- الرمز: وهو عند موريس علامة العلامة؛ أي التي تنتج قصد النيابة من علامة أخرى مرادفة لها، ومعنى ذلك أن العلامة اللغوية يصير لها مدلولاً آخر كالسحفاة رمز للبطء، وتعتبر سيمياء التواصل حلقة مهمة في سلسلة تطور السيميائيات الحديثة نظراً لأهمية موضوعها ومجالها.

سيمياء الدلالة

يقول بارث: "ومما لا مرأى فيه أن الأشياء والتصور، والسلوكيات قد تدل بل وتدلل بغزارة، لكن لا يمكن أن تفعل ذلك بكيفية المستقلة، إذ أن كل نظام دلالي يمتزج باللغة"¹، فسيمياء الدلالة تهتم وتعالج كل الشيفرات التي تمتلك بعداً اجتماعياً حقيقياً، ورأى بارث أن: "بإمكانها أن تسدي خدمات لبعض العلوم وتصاحبها في طريقها وتقترح عليها نموذجاً إجرائياً يحدد انطلاقاً منه كل علم نوعية فيصب عليها"².

واتسع مفهوم بارت للسيمياء ليشمل دراسة الأساطير، فقد قلب مقولة سوسير ورأى أن اللسانيات هي الأصل.

تتوزع عناصر سيمياء الدلالة على ثلاث ثنائيات:³

- 1- اللغة والكلام.
- 2- الدال والمدلول.
- 3- المركب والنظام.

1- رولان بارث، مبادئ علم الدلالة، تعريب محمد البكري، دار الحوار، سوريا، ط1، 1987، ص28.

2- رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط2، 1986، ص25.

3- ينظر فيصل الأحمر، معجم اللسانيات، الدار العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص93-94.

2-3- اتجاه مدرسة باريس السردية

في البداية يجب أن أشير أني سأفصل في حديث عن هذا الاتجاه، لأنني سأركز في الجانب التطبيقي على مبادئ هذه المدرسة وماذا تمثل النقاد المغاربة الأدوات الإجرائية التي أثارها هذا الاتجاه.

عندما نقول مدرسة باريس السيميائية السردية، فإننا يقينا نقصد سيمياء المحادثة والتي مثلها غريماس AJ.Greimas. وميشال أريفى Michel Arrivé وكلود شبرول Claude Chabrol وجان كلود كوكي J. C.Coquet، إذ جاء تحليلهم كردة فعل على المناهج السياقية التي تهتم بما يحيط بالأدب؛ أي الأسباب الخارجية، ودعوا إلى ضرورة دراسة الأدب دراسة محايدة، فالأدب عندهم هو "كيان لغوي مستقل أو جسد لغوي أو نظام من الرموز والدلالات التي تولد في النص وتعيش فيه، ولا صلة لها بخارج النص"¹، فأعادوا الأدب إلى أرضه ونقصد اللغة.

وقد رأى رائد مدرسة باريس السيميائية غريماس ضرورة أن يكون التحليل محايداً، وقد صاغ مبدأ المحايدة في السيمياء وفق منظورين: بينى المنظور الأول على مقولة (التصديق Veridiction) المتصلة إلى محورين الكينونة والتجلي (الظاهر).

تبنى غريماس ما جاء به فلاديمير بروب (Vladimir Propp) في الحكاية الخرافية وسوسير في المسرح، وما توصل إليه كلود ليفي ستروس (C.L.Strauss) في الأسطورة، واستفاد منهم كثيراً، فلولا وجود أعمال هؤلاء لما استطاع مشروع غريماس رؤية النور، غير أن ما يميز تصور غريماس هو الشمولية، بحيث استوعب الأعمال السابقة استيعاباً وافياً، مكنه من الإضافة، فركز على دراسة المعنى من خلال مستويين:

1- شكري عزيز ماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984، ص139.

* المستوى السطحي: ونجد فيه:

أ- المستوى السردى: "الذي ينظم تتابع حالات الشخصيات وتحولاتها"¹ فكل محكي يحتوي على حبكة، بالعادة تبدأ بحالة اتزان وهدوء، لم يحدث التغير وصولاً إلى حالة ختامية نهائية، وفيها يسترجع الاتزان والهدوء من خلال استرجاع موضوع القيمة objet de valeur.

ب- المكون الخطابى: "يتحكم في تسلسل الصور وآثار المعنى"²، ويسعى هذا المكون إلى إعطاء تشكل لانتشار الوضعيات والأحداث والحالات والتحويلات في الخطاب.

* المستوى العميق

استطاع غريماس أن يختزل الوظائف -حسب ما جاء به بروب- من إحدى وثلاثين وظيفة إلى ستة عوامل، وقدم صياغة جديدة لنموذج بروب الوظيفي، حيث وصل إلى نتيجة مفادها أنه "عوض الحديث عن الوظيفة، يجب الحديث عن الملفوظ السردى"³، وبدل الحديث عن دوائر الفعل يجب الحديث عن العامل (l'actant)، وبهذا قام "بتقليص العوامل إلى حدها الأدنى وضبطها بشكل مؤسس معرفياً وبنائياً"⁴، ولكي نلخص كيف استوحى غريماس خطاطته العاملة من بروب وسوربو، نورد الجدول التالي:⁵

1- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007، ص12.

2- المرجع نفسه، ص12.

3- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص22.

4- السعيد بوطاجين، الاشتغال العملي، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2000، ص14.

5- تشولز، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1984، ص120.

بروب	سوربو
الآثم الشرير	المعادي
فاعل الخير/المحسن
للمعين	الناصر، المساعد
البحث عن شخص ما	الشمس، الشيء المنشود، الواهب، القاضي
المرسل	التكافؤ
البطل	الأرض/ المحسن الكبير
البطل المزيف	الأسد، الإدارة، الرعب

وقف روبرت تشولز (Robert Scholes) عند غريماس وعوامله الستة، وقارنها بما جاء عند كل من بروب وسوربو، فوجد أن الفاعل عند غريماس مطابق للبطل عند بروب والأسد عند سوربو، والمفعول يتطابق مع الباحث عن الشخص عند بروب أو الشيء المفقود عند سوربو...الخ.

توصف العوامل الستة كونها وحدات تركيبية ذات طابع شكلي، يقوم عليها المحكي، لأنه يحتوي غالبا على مجموعة من العوامل المهيمنة، وتمثل حسب غريماس أنموذجا عامليا يحقق انسجام النص في مستوى بنياته الكبرى.¹

1- ينظر: عبد القادر شرشال، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الدار الجزائرية، ط1، 2005، ص50.

النموذج العاملي

يقوم النموذج على ستة عوامل موزعة كالآتي: المرسل (destinateur)، المرسل إليه (destinataire)، الذات (objet)، الموضوع (sujet)، المساعد (adjuvant)، المعارض (opposant).

تتنظم علاقة المرسل بالمرسل إليه عبر محور التواصل، والذي "يتبادلان عبره بيانا أو معلومات، فالمرسل يحيط المرسل إليه علما بشيء ما"،¹ فهناك باعث على الفعل ومستفيد منه، وهما المرسل والمرسل إليه.

تتنظم علاقة الذات بالموضوع عبر محور الرغبة؛ فالعامل الذات يعتبر "الفاعل المباشر الذي يتلقى التحفيز la manipulation من طرف المرسل، ويسعى دائما لتحقيق الشيء المرغوب من قبل الطرف الأول".²

في حين الموضوع "يشكل الشيء المرغوب فيه من قبل الطرف الأول"،³ وهذه العلاقة تحدد ما يسميه غريماس ملفوظ حالة (énoncé d'état) وبين ملفوظات الحالة، ونجد ما يسمى بذات الحالة (sujet d'état).

أما العلاقة بين العامل المساعد (adjuvant) والمعارض (opposant)، فتتنظم وفق محور الصراع؛ فالمساعد يتمثل دوره في "مد المساعدة من خلال العمل في اتجاه الرغبة أو تسهيل التواصل"،⁴

ودور المعارض يتمثل في "خلق العراقيل بتصديها، إما لتحقيق الرغبة أو التواصل مع الموضوع"،⁵ باختصار هناك قوة داعمة مناوئة للذات معرقلة لها،

1- صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد 164، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس 1992، ص292.

2- عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط، 1999، ص65.

3- المرجع نفسه، ص65.

4- جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، ص111.

5- المرجع نفسه، ص111.

مما يعني أن الملفوظ السردي يتضمن تحولا في علاقة الذات بالموضوع، تتراوح بين الاتصال والانفصال والعكس.

الخطاظة السردية

تتكون الخطاظة السردية من عناصر هي: التحريك، الأهلية، الإنجاز، الجراء.

* **التحريك manipulation**: يبرز التحريك فعل الفعل (faire faire)، إذ "يفعل العامل فعلا محدثا لفعل عامل آخر"؛¹ أي أن التحريك لا يتم بمحض إرادة الفاعل، إنما يتدخل المرسل المحرك لأنه "يدل على فعل يمارسه إنسان على إنسان يلزمه تنفيذ برنامج معطى"،² يعني أن التحريك نوع من التعاقد بين المرسل والذات.

* **الأهلية (الكفاءة compétence)**: هي شرط ضروري لتحقيق الفعل، فهي "ذلك الشيء الذي يدفع للفعل"،³ إذ تشكل معرفة للفعل، ومن غيرها لا يتحقق الإنجاز، وقد حدد غريماس الصيغ المتعلقة بالأهلية كالتالي: وجوب الفعل، معرفة الفعل، قدرة الفعل، إرادة الفعل، وهذا يفرض برامج سردية استعمالية.

* **الإنجاز performance**: يحدد الإنجاز فعل الكينونة (être faire)، حيث "يفضي الحدث الذي يقوده الفاعل المنفذ إلى تحويل الحالة"،⁴ وهو الركيزة الأساسية لإقامة كل برنامج سردي.

* **الجزاء sanction**: هو آخر مرحلة في الرسم السردي، يبرز كينونة الكينونة، فهو مرحلة التقويم على ما تم إنجازه من قبل المرسل، حيث سيحكم على الأفعال التي تم إنجازها من الحالة البدئية إلى الحالة النهائية، ويتجسد المرسل هنا كبؤرة

1- جوزيف كورنيس، مرجع سبق ذكره، ص 236.

2- عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الإجمالي، ص 120.

3- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائيات السردية، ص 60.

4- جوزيف كورنيس، السيميائية، مرجع سابق، ص 236.

تتحدد "داخلها مشاريع التحريك وتتبلور البرامج السردية الهادفة إلى دفع ذوات، لممارسة الأفعال التي ترغب فيها"¹، يعني يقوم المرسل بالحكم على الحالات والتحويلات للأفعال الممارسة من طرف الذوات.

المستوى العميق

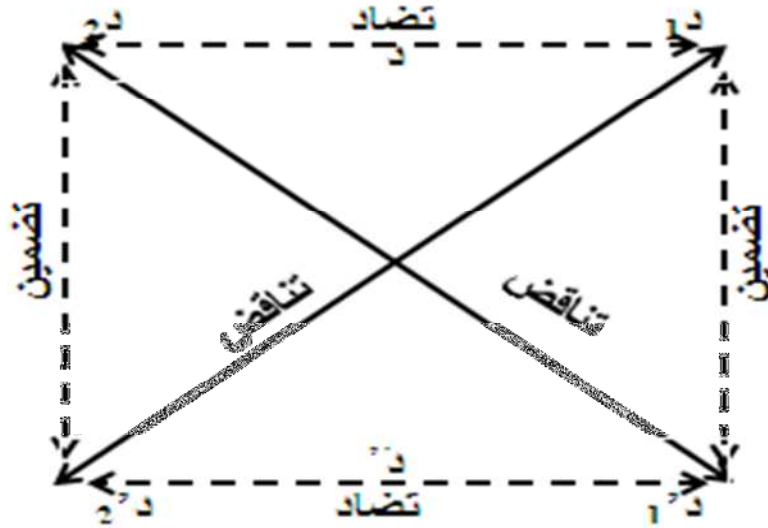
وهنا نخص بالذكر المربع السيميائي الذي يوجه العلاقات المنطقية ويضبطها بين الوحدات المعنوية الصغرى، مما يجعل فاعليته في عمق النص السردية، فهو عند غريماس يقصد به: "التمثيل المرئي للتمفصل المنطقي لمقولة دلالية ما"². والمقصود بالتمفصل المنطقي تلك العلاقات القائمة على التضاد وشبه التضاد، التناقض والتضمين، والتي تسعى إلى رصد المعنى، فالمربع السيميائي هو "صياغة منطقية قائمة على نمذجة العلاقات الأولية للدلالة القاعدية التي تتلخص في مقولات التناقض والتقابل والتلازم، فهو نموذج توليدي ينظم الدلالة، ويكشف عن آلية إنتاجها عبر ما يسمى بالتركيب الأساسي للمعنى، فهو أداة منهجية تسمح برصد انبثاق المعنى منذ حالاته الأولية..."³، وقد صاغ غريماس المربع السيميائي في الشكل الآتي:⁴

1- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص66.

2- Greimas Algirdas Julien, au sens 1, essais sémiotique, Seuil, Paris, 1970

3- نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للنشر والطباعة، تيزي وزو، الجزائر، 2008، ص104.

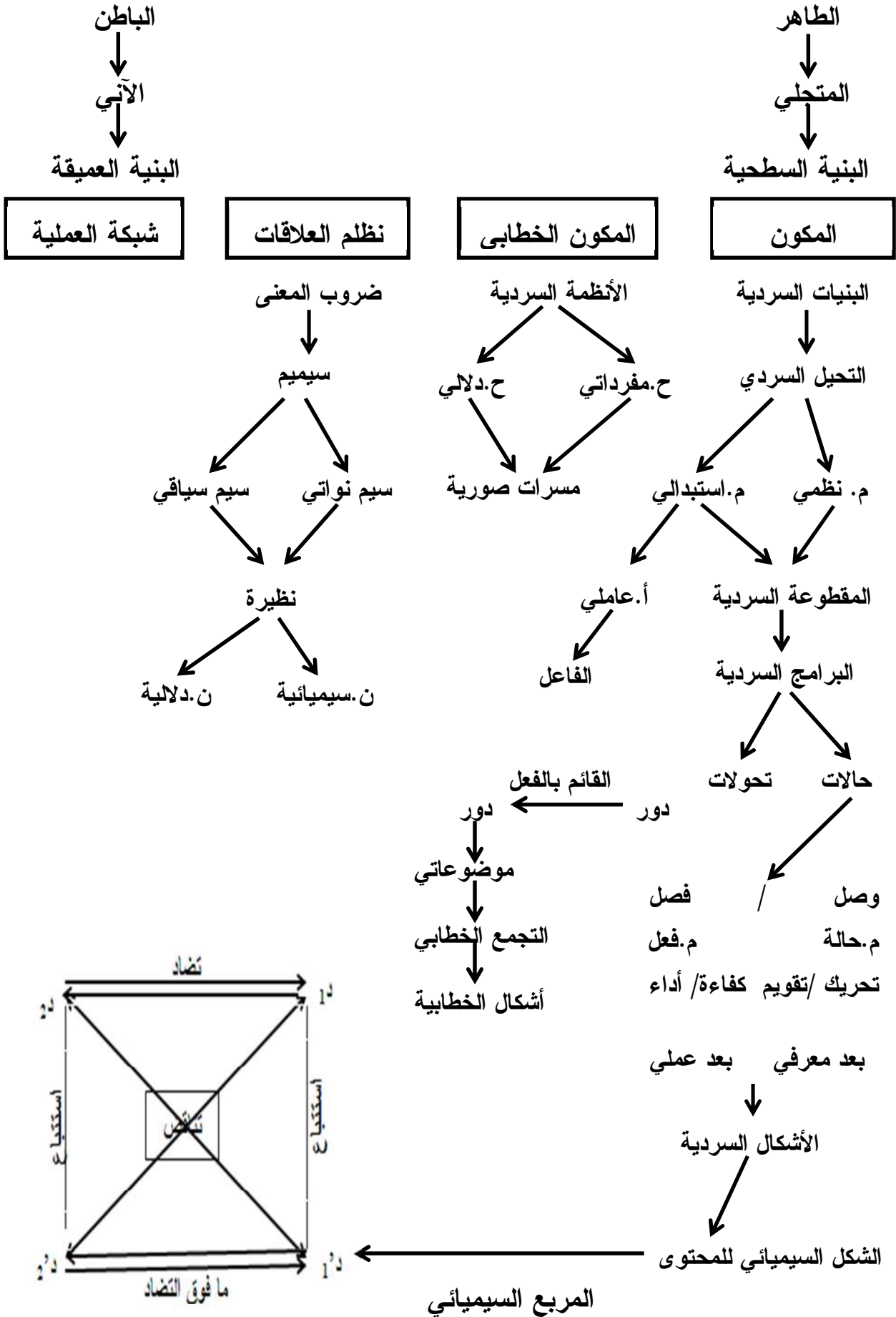
4- عبد الحميد بورايو، تنظيم المسار السردية في بعض حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة جيجل، الجزائر، 1995-1996، ص232.



نصل في الأخير إلى أن المستوى السطحي والعميق يشكلان كلا متكاملًا، حيث نجد على مستوى المستوى السطحي المكونين السردي والخطابي، وعلى المستوى العميق نظامًا للعلاقات، وهنا يتجلى دور المربع السيميائي الذي يرصد المعنى وتشكله وفق علاقات تناقض والتضاد والاستتباع على الصعيد التحتي، وقد وقفت الباحثة نادية بوشفرة في تقديم خطاطة شاملة لمسار توالد الدلالة، والتي تؤطر النظرية السيميائية السردية.¹

1- نادية بوشفرة، مدخل في السيميائية السردية، ص 108.

النص = المحكى = الكل



أ- الاتجاه الروسي

لعل من أهم رواد هذا الاتجاه رومان جاكوبسون، يوري لوتمان، أول سبينسكي، إيفانوف، تودوروف... اهتم هذا الاتجاه بكيفية القول وركز على الأشكال والبنى بدلا من المواد والمحتويات، وهذا ما جعل مسار السيميائية يتحدد خاصة من الكتابات النظرية المؤسسة للبنىوية الحديثة، وتأسيس مدرسة (تارتو) التي اهتمت بأنظمة العلامات ومحاولة التوفيق بين آراء بيرس وسوسير حول العلامة، والاهتمام بما يسمى (سيميوطيقا الثقافة)؛ فالعلامة لا تكتسب دلالتها إلا بوضعها في إطار الثقافة، ومنه فإن العلامة المفردة عند رواد هذا الاتجاه لا تكتسب أهمية حتى تتخرط في الأنظمة الدالة، أي في مجموع العلامات، وتبقى اللغة هي المؤطر الأول والأداة التي تعطي للظواهر الثقافية بعدا ذهنيا، وقد رأى أصحاب هذا التوجه أن العلامة تبنى بثلاثية هي: (الدال والمدلول والمرجع)، وهو ما يتوافق تقريبا مع ما جاء به الطرح البيرسي (المصورة، المفسرة، الموضوع)، وتبعاً لذلك يستخدم رواد هذا الاتجاه مصطلح (السيميوطيقا) البيرسي بدلا من مصطلح السيمولوجيا السوسيري.¹

ب- الاتجاه الإيطالي

مثله أمبرتو إيكو الذي اهتم بالظواهر الثقافية، ورأى أن كل أنظمة الاتصال الثقافية تنقسم إلى ثمانية عشر نسقا هي: (سيميائية الحيوان، العلامات الشمسية، التواصل المشي، سنن الذوق، العلامات المصاحبة لما هو لساني، السيميائية الطبية، حركات الأجسام والإشارات الدالة على القرب، أنواع السننية الموسيقية، اللغات المشكنة، اللغات المكتوبة، اللغات الطبيعية، التواصل المرئي، نسق الأشياء، بنيات للحكي، الأنواع السننية الثقافية، الأنواع السننية والرسائل

1- ينظر: عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، ص22.

الجمالية، التواصل الجماهيري، الخطابة)¹. ما يعني إن كل تواصل عبارة عن سلوك مبرمج، يؤدي وظيفة؛ ويقصد بالسلوك هنا كل ما يخص إنتاج العلامات واستخدامها ضمن مجال السيمياء وفي إطار الثقافة.

وما يمكن أن نخلص إليه أن السيميولوجيا باعتبارها علما للأنظمة اللغوية وغير اللغوية قسمان:

* قسم يهدف إلى الإبلاغ والتواصل من خلال ربط الدليل بالمدلول والوظيفة القصدية.

* قسم يعنى بربط الدليل بالمدلول أو المعنى.

تميزت الاتجاهات السيميائية على تنوعها بالاعتماد على الأسس اللسانية من جهة، ومدى ميلها إلى الشمول والموسوعية من جهة أخرى.

كل واحد من الاتجاهات يدرس جميع أنماط العلامات وإن كان هناك من اختلاف فهو متعلق بالمظهر المدروس في كل علامة؛ إن نفس العلامة التي يتم تناولها مثلا في سيمياء التواصل من خلال مظهرها الوظيفي التواصلية، قد تدرس في سيمياء الدلالة من خلال مظهرها الدلالي، وفي سيمياء التداولية من خلال مظهرها التأويلي (المعنى).

2-4- مبادئ السيمياء

السيمياء هي لعبة التفكير والتركيب تبحث عن سنن الاختلاف ودلالاته، فعبر التعارض والاختلاف والتناقض والتضاد بين الدوال اللغوية النصية يكشف المعنى وتستخرج الدلالة، ومن ثم فالهدف من دراسة النصوص سيميوطيقا وتطبيقيا هو البحث عن المعنى والدلالة.

تقوم السيمياء على مبادئ هي:

1- Mohamed Dani, Semiotics and picture, Semat international 2013, p09

أ- التحليل المحايد

تعالج السيميائية الشروط الداخلية للتدليل، فالإشكالية التي يتصدى التحليل لها هي الاشتغال النصي للتدليل وليس علاقة النص بمرجع خارجي ما، فيصبح المعنى أثرا ناتجا عن العلاقات بين العناصر الدالة، بمعنى أن السيميائية تسعى إلى دراسة التجليات الدلالية من الداخل مرتكزة في ذلك على مبدأ المحادثة الذي تخضع فيه الدلالة لـ"قوانين داخلية مستقلة عن المعطيات الخارجية"¹.

ب- تحليل بنيوي (مبدأ الاختلاف)

عرف رولان بارت الاختلاف بقوله: "أن معناه ليس التفرد؛ فالتفرد لا يصنع النص، بل على العكس من ذلك، إنه اختلاف لا يتوقف، يعتمد على لا نهائية النصوص، لا نهائية اللغات، لا نهائية النظم"².

العناصر الملائمة للتحليل هي تلك التي تدخل في نظام من الاختلافات والتمييزات، وهذا هو ما يسمى شكل المحتوى. إن وصف الأشكال الداخلية لدلالة النص يرتكز على مبدأ الاختلاف الذي أرسى قواعده دي سوسير واستعمله للدلالة على أن المفاهيم المتباينة تكون معرفة ليس بشكل إيجابي من مضمونها وإنما بشكل سلبي من علاقتها مع العناصر الأخرى للنظام،³ فبنيوية التحليل تعني تحديدا وصف شكل المعنى؛ أي هندسة المعنى وليس المعنى، أي لا ينبغي أن نركز اهتمامنا في دراسة العلامات اللسانية على مضامينها الذاتية، أو أصواتها المادية، أو ما تحيل إليه في الواقع الخارجي عن المجال اللغوي، وإنما نركز في دراستها على ما تتضمنه من اختلافات تصويرية وأخرى صوتية، أي أن قيمة العلامة تعتمد على العلاقات القائمة بينها وبين العلامات الأخرى.

1- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، دار القصبية للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص09.

2- Roland Barthes, S/Z, éd Seuil, point, 1976, p16

3- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص10.

ج- تحليل الخطاب

إن التحليل السيميائي هو تحليل للخطاب، وهذا ما يميزه عن اللسانيات التي تتناول الجملة، ففي مقابل اللسانيات التي تهتم بالكفاءة الجمالية، فإن السيميائية تهتم ببناء منظومة الخطابات والنصوص وإنتاجها أو الكفاءة الخطابية، مما يستدعي وضع القواعد والجهاز القادر على توليدها.¹

2-5- البعد الإجرائي للتحليل السيميائي

تعلي النظرية السيميائية من شأن القارئ، شأنها شأن النظريات النقدية المعاصرة التي رأت أن القارئ هو منتج للنص لا مستهلك له، فالقارئ المستهلك للنص هو كالفعل اللازم الذي يمتد أثره إلى مفعول ثان ويبقى في منأى عن سحر الدال ومتعة الكتابة، وليس له سوى حرية محددة: أن يقبل النص أو يرفضه، والقراءة في جوهرها إفادة وإنتاج وثقافة في رأي أولئك وهؤلاء جميعاً،² ما يعني أن القراءة المثالية تستنطق النص وتفككه من أجل إعادة بنائه وإنتاجه من جديد، وهذا لا يتأتى إلا عبر قراءة تصل إلى المعنى المستتر المتخفي، الذي لا يسلم نفسه طواعية للقارئ.

يركز التحليل السيميائي في بعده الإجرائي على:

أ- القراءة والتحليل

للقراءة السيميائية فعل حر لا يخضع لأي ضوابط، وهكذا يتضح الفرق بين القراءة والتحليل، فالقراءة هي بداية التحليل.

1- ينظر: جمال حضري، سيميائية النصوص، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2015، ص12.

2- ينظر: عبد المالك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، تجليات الحداثة، العدد الرابع، جامعة وهران، الجزائر، 1996، ص31.

ب- التحليل والتأويل

تحليل عملية التأويل إلى التعددية الدلالية، سواء تعلق الأمر بالكلمة أم بالواقع غير اللساني، لذلك يعتبر التأويل شبكة معقدة من الإجراءات لفعل إنتاج الدلالة. فبالنص الواحد يمكن أن يؤدي إلى إنتاج دلالات متعددة، ولا نهائية، ذلك أن لا شيء ثابت ولا شيء يحمل دلالة خاصة في ذاته، ويتحدث السيميائيون اليوم عن الدلالة التي تولدها السيرورة لدى المتلقي في إشارة إلى لا نهاية دالة العلامة، التي كانت موضوعا للسميوز في سيمياء بيرس.¹

2-6- مستويات التحليل السيميائي (السيميائية السردية)

* **مستوى سطحي:** وفيه يخضع السرد بكل مظهراته لمقتضيات المواد اللغوية الحاملة له.

* **مستوى عميق:** ويشكل جذرا مشتركا تكون السردية داخله منظمة بشكل سابق عن مظهرها من خلال هذه المادة التعبيرية أو تلك.

مستويات التحليل السيميائي طريقة توضيح وبناء وتنظيم للحس الداخلي اللغوي الذي يقربنا من المساحة الأسلوبية لرسالة لفظية على مستوى الكلمات، كما تسمح هذه المستويات بقياس الذهنية على أساس أن التقريبات والتميزات التي نقوم بها عند فك النصوص.²

يتطلب الحديث عن مستويات التحليل السيميائي الإشارة إلى صعوبات تعترى طريق الباحث وتعقيدات يمكن حصرها في النقاط الآتية:³

1- المادة المتصلة بمراجع الموضوع، والتي تتكون من قسمين: قسم نظري وآخر تطبيقي، مع تفاوت في حجم المادة المدرجة في كل قسم، واختلاف الرؤى وتحديد مستويات الدراسة.

1- ينظر: عبد القادر شرشال، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015، ص92.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص89.

3- ينظر المرجع نفسه، ص90.

2- لم تؤلف دراسة مستقلة تستوعب في نظرة جامعة تأليفية جهازا نظريا يتيح للدارس مرجعا يعتمده، فنظريات وإجراءات مستويات التحليل السيميائي تتقاسمها مجموعة هامة من الدراسات، يمكن ذكر بعضها مثل: اللسانيات، والمنطق، والتحليل النفسي، والأنثروبولوجيا، وعلم الاجتماع والإعلام... الخ.

3- تتسم هذه الدراسات في أغلبها بالثراء والعمق في التحليل والدراسة، مما يتطلب مجهودا معتبرا لفك رموزها واستيعاب مضامينها ومقاصدها العلمية.

4- ما يلاحظ أن بعض هذه الدراسات التي تناولت الموضوع، وجاءت متبينة منهج غريماس تنظيرا وتطبيقا، فهي وإن اتفقت في منهج الدراسة ومبادئها الأساسية، فإن ذلك لم يصل أحد التطابق، إذ سجل بعض الدارسين جوانب اختلاف تخص في المقام الأول تحديد مستويات التحليل السيميائي، ففيما جعلها جماعة (أنترفين groupe d'entre venne) قسمين يتمفصلان إلى أربعة مكونات:

- مستوى سطحي يتشعب إلى مكونين: مكون سردي ومكون تصوري.

- مستوى عميق يتشكل من:

* شبكة من العلاقات تقوم بترتيب قيم المعنى اعتمادا على العلاقات القائمة والمنجلية عبر النص.

* نظام العمليات، ينظم الانتقال من قيمة إلى أخرى، بينما يقسم كورتيس هذه المستويات إلى ثلاثة مكونات:

المكون المورفولوجي composante morphologique

المكون التركيبي composante santaxitique

المكون الخطابي والسردى dixursif narratif

وتجعلها أن إينو أربعة مستويات:

- المستوى السطحي التابع الى المعطى الأسلوبى (النص كما هو فى صورته

المظهرية).

- المستوى الدلالي.

- المستوى الوسطي للمعنى: مستوى يقود إلى تعيين كليات جوهرية.

- مستوى وصف ذرات المعنى: يسمى بالمستوى العميق.

إن التحليل السيميائي هو محاولة استنتاج العمليات من خلال فعل القراءة التي تساعد على فك الشفرات والرموز قصد الوصول للمعاني الخفية أو المسكوت عنها عبر مستويين:

أ- السطحي

الذي يتم فيه البحث عن:

- البنية المعجمية.

- البنية التركيبية.

- البنية الصوتية.

وبالنسبة للتحليل الروائي، فيقسم المنهج السيميائي المعنى إلى وحدات معنوية صغيرة (sème) ثم تقسيم هذه الوحدات إلى وحدات أصغر (sémème) ويكشف العلاقات الداخلية التي تربط بين أجزائه والتكرار المنتظم، إضافة إلى الزمان والمكان، التناص، التشاكل، التشكيل الخطي لفضاء النص، فاعلية الحدث بين الأنا والآخر والهو.

ب- المستوى العميق

يتم الوقوف على المعاني العميقة، وهي دلالات تأويلية تختلف باختلاف القراء (حسب المرجعية، الثقافة، المكونات الفنية).

إن المنهج السيميائي ينبثق من النص نفسه ويتموقع فيه بوصفه شكلا من أشكال التواصل، يربط علاقة تفاعل بين النص والقارئ، لأن القارئ ينشط على مستوى استنتاج الدال في النص، ولا يكتفي بفك رموز علامات ذات دلالات ومعان مختلفة أو متشاكلة، ولا يمارس فقط نوعا من الحفر في النص قصد

معرفة ما يتضمنه من إبداع فني، وإنما يؤسس أيضا بناء مفتوحا من خلال تواصل طريق الكشف عن المغاير والخفي فيه، وعن مكان الفراغ كي يملأها باستجابته وعميق تجربته، عندها يتحول من قارئ يكتفي بالتأثر والانفعال إلى قارئ يمارس حضوره في إعادة تشكيل النص.¹

2-7- حقول السيمياء

السيمولوجيا علم يهتم بالعلامة والأنظمة اللغوية، كما يشمل هذا العلم ميادين واسعة ومتباينة وحقول متنوعة منها:²

- علامات الحيوانات.
- علامات الشم.
- علامات الاتصال باللمس.
- مفاتيح الذوق.
- الاتصال البشري.
- أنماط الأصوات.
- التشخيص الطبي.
- أوضاع الجسد.
- اللغات التصويرية والمكتوبة.
- الإعلان والإشهار.
- السينما والقصة المصورة والملصقات.
- قراءة اللوحات التشكيلية... الخ.
- الموسيقى.

1- ينظر: حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة، من التأريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 2010، ص10.

2- عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990، ص8-11.

إن حضور القارئ يتمثل في إعادة تشكيل النص ومحاولته كشف الغابر والخفي، أو كما يسميه البعض عملية البحث عن (المعنى المصاحب) يستوجب حضور شرطين هما:¹

1- معرفة تقاليد النص الأجناسية (أي سياقه الفني داخل الجنس الأدبي الذي ينتمي إليه النص).

2- وجود مهارات ثقافية تمكن القارئ من جلب العناصر الغائبة.

فعملية استجلاب العناصر الغائبة ليست سهلة ومتاحة لأي كان، بل تتطلب تركيزاً وذوقاً نقدياً عالياً، فالنص فعالية قرائية إبداعية.

2-8- أهمية المنهج السيميائي

"السمياء هي طريقة في تحديد السبل إلى إنتاج الدلالات وتداولها"² يشير هذا التعريف إلى أهمية المنهج السيميائي التي تكمن أساساً في كشف الدلالات المضمرّة الخفية في النص، نص تمتعت دواله بالحريّة وتخطت حدوده المعاني المعجمية، لتمنح بذلك المتلقي إمكانية التأويل النص وقراءته قراءة متعددة، تعددية من شأنها إطالة حياة النص.

حول أهمية النقد السيميائي، يقول الناقد العربي السوري محمد عزام: "لا يكتفي النقد السيميائي بتحليل البنية الأفقية للنص، وإنما يلجأ أيضاً إلى تحليل البنية العمودية للنص، وذلك من خلال البحث عن المعنى (المعنى التواصلّي) أو (المعنى المصاحب)، وهو ما يعطيه الأديب للنص، والتفسير السيميائي يستهدف هذا المعنى الذي يختلف باختلاف النقاد والقراء، ذلك أن القارئ حسب بارت،

1- ينظر: عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشرّحية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985، ص49.

2- سعيد بنكراد، المصطلح السيميائي: الأساس المعرفي والبعد التطبيقي في قضايا المصطلح، الجزء الأول، فاس، المغرب، 2000، ص161.

ليس مستهلكا للنص فحسب، بل هو منتج له أيضا وهو مجموعة من النصوص الذاتية والموضوعية".¹

ما يمكن أن نخلص إليه هو أن المنهج السيميائي أظهر نجاعة تحليلية وكفاءة تشكيلية في شتى التخصصات، وأصبح بذلك منهجا وتصورا ونظرية، بل وعلمًا لا يستهان به ولا يستغنى عنه، إذ تجاوز التصورات النقدية التقليدية التي تهتم بسيرة المؤلف، وكل جاور النص ما عدا النص في ذاته، وأعادت السيمياء للنص معناه، معنى يستمد من الإيماءات التأويلية لأفراد القراء الذين يستعملون الشفرات النحوية والدلالية والثقافية المتاحة لهم، لتصبح القراءة على ضوئه قراءة إنتاجية تحاول تقريب القراءة من الكتابة.

تعد السيمياء من أحدث العلوم في ميادين اللغة والأدب والنقد، فهي امتداد للألسنة وتطوير لها، هي لعبة التفكير والتركيب، تبحث عن سنن الاختلاف ودلالاته، فعبر الاختلاف يكشف المعنى وتستخرج الدلالة، ومن ثم فالهدف من دراسة النصوص سيميوطيقيا هو البحث عن عملية تشكل المعنى والدلالة.

1- محمد عزام، النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة السورية، د ط، 1996، ص 143.

ثانيا- التلقي العربي للسمياء والخصوصية الحضارية

ظهرت السيمياء إلى الوجود خلال النصف الأول من القرن العشرين، كعلم يدرس منظومة الأنساق الدلالية التي يستعملها الإنسان، فحياته وفكره منظومة من العلامات (système des signes)، لتطرق بذلك جميع مجالات الفكر الإنساني. مستمدة مرجعيتها من اللغة متجاوزة التاريخ لتلامس دينامية المعطيات الاجتماعية وأدوار البعد النفسي؛ فهي المنهج الإجرائي الذي يمتلك روافد معرفية في مختلف العلوم الإنسانية ابتداء من الفلسفة واللسانيات والأنثروبولوجيا والتاريخ وعلم النفس إلى علم الاجتماع وصولاً إلى الخطاب الأدبي.

لقد تنبه الدارسون العرب إلى ضرورة الإفادة من منجزات الدرس السيميائي الذي بلغ ذروته عند الغرب، فنادوا بدورهم إلى التخلي عن الأساليب القديمة في تحليل العمل الأدبي وتحولوا إلى المناهج التي تدرس الأدب من داخل بنياته ومكوناته الصوتية والمعجمية والتركيبية والدلالية، وحلّوا مستوى الوظائف والسرود والعوامل والمعنى والبرامج السردية، وغير ذلك من المستويات والوحدات التي تشكل عالم السرد والشعر.

تبنى النقد العربي الحديث المنهج السيميائي مبكراً في الدراسات الأكاديمية في 1976، وهذا تاريخ مبكر مقارنة بظهور غيره من المناهج؛ لأن السيميائية كانت ومازالت في بواكير تكوينها عند العرب، وأنها في ذلك التاريخ لم تكن قد استقرت بعد، ولذا يمكن اعتبار محاولة "علي العشي" سابقة تعكس سرعة تقبل النقد العربي لهذا المنهج، ثم توالى المحاولات بين التنظير والتطبيق ومنها: (صلاح فضل، أمينة رشيد، فريال غزول، محمد مفتاح، عادل فاخوري، أنور المرتجي، مبارك حنون، محمد السرخيني، عبد الحميد بورايو، سيزا قاسم، عبد المالك مرتاض، نصر حامد أبو زيد، سامي سويدان، سعيد بن كراد، رشيد بن

مالك، عبد اللطيف محفوظ، محمد عزام، عبد الله إبراهيم، فاضل ثامر، سعيد الغانمي، عواد علي وصالح هويدي... إلخ).¹

ظهرت السمياء في المغرب العربي مسجلة قصب السبق في استنهاض الهمم بضرورة الاهتمام بالتفكير السيميائي تنظيرا وتطبيقا لما أبانت عليه من نجاعة تحليلية وكفاءة في شتى التخصصات.

يرجع محمد فيلح الجبوري سبب ترحيب الساحة النقدية العربية بالمنهج السيميائي أو بالأحرى سبب طمأنينة الناقد العربي تجاه هذا الوافد الجديد إلى جملة من الأمور نذكر منها:²

* الوجود المسبق للسميائية في التراث الفكري الغربي ساعد الناقد العربي في تبني هذا المنهج؛ فذهب يبحث عنه في التراث متحسسا للتطابق بين الفكرين على مستوى المفاهيم لا المصطلحات، وهذا ما فعله عادل الفاخوري ونصر حامد أبو زيد.

* انفتاح المنهج السيميائي على المرجعيات الخارجية أعاد للمناهج السياقية بعض اعتبارها الذي صدرته البنيوية، فمنحت الناقد حرية الحركة المشروطة.

* صلاحية تطبيق هذا المنهج على دراسة النصوص السردية أفضل من غيره من المناهج، فهو منهج استمد آلياته وإجراءاته الأولى من دراسة السرد، ولا سيما عند "بارت وغريماس"، مما دعا نقاد السرد العربي إلى تطبيقه على النصوص السردية لكونه أقدر المناهج النصية على معالجة السرد، ولا سيما في نظرية العامل.

1- ينظر: محمد فيلح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد الغربي الحديث، ص 153.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص 160.

1- إرهاصات انتقال النظرية السيميائية إلى الساحة العربية

انتقلت النظرية السيميائية من منبتها الأصلي إلى الحقل المعرفي والنقد العربي المعاصر حيث تم تداولها واستتباتها شأنها شأن باقي المعارف والنظريات، وهذا الانتقال ليس حكرًا على النظرية السيميائية ولكنه طريقة من طرق انتشار المعارف بين الثقافات والحضارات، ولكن البحث عن مسار استتبات النظرية السيميائية في الحقل العربي المعاصر، سيبين مدى قدرة البنية الفكرية والعلمية والثقافية العربية إلى الانخراط في التداول المعرفي الإنساني النظري والعلمي المعاصر.

إن نظرية السيمياء ظهرت في مجال أمريكي أوروبي، وفي مواقع فكرية وثقافية ونقدية لها ديناميتها الخاصة ومؤسساتها العلمية و الأكاديمية والإعلامية التي تقوم على التتبع والملاحظة لكل إبداع علمي وفكري جديد، وتحاول باستمرار أن تعرض ذلك الإنتاج الفكري والفني في سوق القيم الرمزية، حيث توجد المناقشات العلمية والأكاديمية التي تقوم بالتحليل والتقييم والانتقاء لكل إنتاج علمي وفكري وفني وثقافي يحمل قيمة إضافية جديدة في ميدانه، ثم تعطيه بعد ذلك صلاحية التداول في الفضاءات العلمية والفكرية والفنية والثقافية المختلفة. وبهذا يتحكم هذا النظام العلمي المؤسس في مسارات الإنتاج الفكري والعلمي و الفني والثقافي، بل إنه يحاول إطلاق إبدالات Paradigmes جديدة ثم يعطيها صلاحية التداول ويتم الاستشهاد بهذا في المعارف المختلفة.¹

إن انتقال النظريات بصفة عامة مرتبط بنقل تصور نظري معرفي من مجال عربي إلى مجال عربي، هذا الانتقال تتحكم فيه أفعال مرهونة باستقراء

1- ينظر: تمثالات المرأة في اللغة والفن، مجلة علامات، العدد 37، 2012، ص18.

تجربة هذا الترحال وتداولها عربيا، وما وصول النظرية السيميائية إلى الساحة العربية إلا ثمرة من ثمرات التواصل العالمي الذي عرفه ويعرفه العالم العربي.

تمر النظرية بصفة عامة في أثناء ترحالها وانتقالها عبر جملة من الأفعال:¹

1-1- التعرف على النظرية في مجالها الأصلي

ويدعى فعل الاتصال بالنظرية، وهذا الاتصال قد يتم بطريقة مباشرة في فضاءها الأصلي وفي لغتها الأصلية وفي لغتها ومضامينها الأساسية، أو بطريقة غير مباشرة عن طريق الفضاءات الثقافية الوسيطة بلغاتها ومنشوراتها عن تلك النظرية.

1-2- زمن التعرف على النظرية

وعبره يتبين مدى مواكبة الزمن الأدبي العربي للزمن الأدبي الذي عرفته النظرية، وعادة ما يتفاوت هذا الزمن بين زمن إنتاج النظرية الأصل وزمن نقلها إلى النقد العربي.

1-3- قنوات نقل النظرية

أهم قناة على الإطلاق هي الترجمة سواء من اللغة الأصلية أو من اللغة الوسيطة، والتي سأحدث عنها بالتفصيل لاحقا في الجزء التطبيقي.

1-4- الصورة التي وصلت بها النظرية إلى النقد العربي المعاصر

في هذه المرحلة يكون النقد العربي متلقيا، لكن دون رد فعل علمي خلال مسار تكونها، فالناقد العربي وجد نفسه أمام واقع معاصر وحادثة غريبة تحمل معها أشكالا ونظريات ومناهج جديدة، فما كان عليه إلا أن ينخرط في هذه الدائرة المعرفية الوافدة، كمستهلك لا كمنتج، فتوسل بالأدوات الإجرائية

1- ينظر: المرجع نفسه، ص20-21.

والنظريات التي توصل إليها الآخر -الغرب- دونما نقد ومساءلة، ليتحيز بذلك للنموذج الغربي، غافلا ومستبعدا الخلفيات التاريخية والمعرفية والفلسفية، مما آذن بالدخول لنتيه نقدي وتآزم مصطلحي كان سببه الأول تجزئة النظريات الغربية واعتبارها مجرد خطوات إجرائية مفصولة عن أي خلفية إستمولوجية، وهذا ما جعل خطاب الممارسة والتطبيق قاصرا، إذ يطبق المناهج تطبيقا آليا جافا، وكأن هذه النظريات بما أتاحتها ووفرتة من أدوات إجرائية، جعلت الناقد العربي يعتبرها الأكمل والأسلم، دون أن يتفطن إلى أن هذه المبالغة في التلقي قد أغلقت عليه باب الإبداع والموهبة في قراءة النصوص العربية وتأويلها، وأن هذا "التبني الآلي للمناهج الغربية هو قمع لوجود النص عينه، من منظومته الثقافية التي أنتجته".¹

2- فعل التلقي العربي للنظرية السيميائية وإشكالية المصطلح

لقد عرفت هذه النظرية أو بالأحرى هذا العلم فوضى مصطلحية كبيرة جدا، وأخذ زوايا نظر متعددة حتى وإن أخذ مكانتها كمنهج نقدي له وجاهته في معالجة النصوص الأدبية، حيث أبان عن قدرة عالية في تحليل سائر الخطابات من خلال البحث عن المعاني المنبثقة من الأشكال، رغم ذلك مازال هذا المنهج يواجه تحديات مرتبطة بقضية السياق وحدود التأويل والموجهات الثقافية والاجتماعية والحضارية التي يصعب تجاهلها. فنقل النظريات كما حددتها السياقات الغربية ومحاولة اختبارها على النصوص العربية سواء المشرقية أو المغربية، يؤدي حتما إلى تفاوت في الإنجاز والتطبيق، فكأن التجارب العربية لم

1- بدرة فرحني، النقد لعربي بين حقيقتي الإبداع والإتباع، مجلة التناص، العدد السابع، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، الجزائر، مارس 2007، ص203.

تستطع بعد تحقيق ذلك التراكم النوعي والكمي الذي يسمح بطفرة متميزة، وذلك راجع إلى عدة عوائق منها المفاهيم والإنجازات.¹

أما المفهوم: فمرده إلى هذا التعدد والتنوع القائم في النظريات والخلفيات الفلسفية والمعرفية التي تؤطر السيميائيات ذاتها والتي حذت بالبعض إلى التشكيك في قدرتها على تحقيق نتائج متميزة واضحة تبعد عنها صفتي التعميم والخطأ.

أما الإنجاز: تعكسه أقوال السيميائيين واعترافاتهم عن المآزق التي تعترضهم عند مستوى التطبيق والتحليل، لا سيما حين يتم الانتقال من السرد إلى الوصف بحثاً عن المعنى الذي أصبح هاجساً أكبر.

الحقيقة أن مشكلة أو إشكالية المصطلح لم تكن وليدة اليوم في الفكر العربي، وإنما يعود تاريخها إلى القرون الهجرية الأولى؛ إذ اختلف اللغويون العرب في وضع بعض المصطلحات النحوية فثمة اختلافات بين المصطلحات النحوية الكوفية والبصرية، وظهر هذا الاختلاف جلياً بين الأصوليين والنحويين، وكذلك الأمر عند البلاغيين لا سيما في مصطلحات علم البديع، فإذا كان حال المصطلح هذا في لغة واحدة وثقافة واحدة، فكيف يكون حاله في عصر المتأقفة؟!

فتضارب المصطلحات واختلافها شكلاً إشكالاً وقف عنده العديد من النقاد خاصة مصطلح السمياء الذي كان أوسع المصطلحات النقدية حضوراً في أعمال الباحثين من أمثال: سمير حجازي ومولاي حاتم علي ويوسف وغليسي في كتابه (إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد)، إذ تناول هذا العمل مفهوم المصطلح في اللغة والاصطلاح ووظائفه، جدلية المنهج والمصطلح ومعايير الحد الاصطلاحي وآليات صياغة المصطلح، وحدها بالاشتقاق والمجاز

1- ينظر: حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، ص 98.

والإحياء والتعريب والنحت، كذلك نجد عبد الله بوخلخال في بحثه الموسوم برد مصطلح السيميائية في البحث اللساني العربي الحديث، النشأة والمفهوم والتعريب كما أحصى المصطلحات المرادفة للسمياء بسبعة عشر مصطلحا مفضلا مصطلح "السيميائية" معلا ذلك بـ (انسجامه اللفظي والصوتي مع اللفظ الأجنبي من جهة، ولعلاقته الدلالية بما ورد في تراثنا اللغوي من جهة أخرى).¹

يمكننا إيراد المصطلحات المرادفة لمصطلح السيميائية كما ذكرها يوسف

وغليسي:²

المقابل العربي	اسم المترجم	المرجع
علم العلامات	1- مجدي وهبة	- معجم مصطلح الأدب: 507
	2- سمير حجازي	- قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر: 82.
	3- سعيد علوش	- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: 155
	4- عبد السلام المسدي	- الأسلوب والأسلوبية: 182
	5- عز الدين إسماعيل	- ترجمة (نظرية التلقي) لروبرت هولب: 372
	6- عدنان بن ذريل	- اللغة والأسلوب: 78-113
العلامية	المسدي	- قاموس اللسانيات: 186. الأسلوب والأسلوبية: 181
العلاماتية	محمد عبد المطلب	- العلامات والعلاماتية، القاهرة، بيروت 1988
علم العلاقات	محمود السعران	- أوردة الحمزاوي في (المصطلحات اللغوية

1- ينظر: محمد فيلح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، ص153.

2- يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م، ص229-232.

الحديثة): 262 - الأسلوبية: 114	محمد عزام	
- ترجمة (مدخل إلى السيميولوجيا) لدليلة مرسلي (وأخريات): 11 - ترجمة (دروس في الألسنية العامة) لدوسوسير: 37	عبد الحميد بورايو القرمادي، الشاوش، عجينة	علم الدلائل
- المعجم الموحد للمصطلحات اللسانية: 129 مجلة (العرب والفكر العالمي)، ع1، شتاء 1988، ص 71. - ترجمة (مبادئ في علم الأدلة) لبارت	الحاج صالح وآخرون محمد البكري	علم الأدلة
- معجم الدلائلية، ضمن (اللسان العربي)، ع24، 1985، ص 148	التهامي الراجي الهاشمي	الدلائلية
- المعجم الموحد: 129	الحاج صالح وآخرون	علم الدلالة اللفظية
- أوردة الحمزاوي، السابق، ص 162	تمام حسان	علم السيماتيك
- نفسه، ص 264	تمام حسان	دراسة المعنى في حالة سنكرونية
- الألسنية 291	ميشال زكريا	علم الإشارات
- ترجمة (محاضرات في الألسنية العامة) لديوسوسر: 27	يوسف غازي- مجيد النصر	الأعراضية
- نظرية البنائية: 445، شفرات النص: 06. مناهج النقد المعاصر: 115.	صلاح فضل	سيميولوجيا سيميولوجية

<p>- الخطيئة والتكفير: 12</p> <p>- المصطلحات الأدبية الحديثة: 153</p> <p>- معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة: 71</p> <p>- مجلة (تجليات الحداثة) 02، يونيو 1993، ص 15</p> <p>- المرايا المحدبة: 277</p> <p>- ترجمة كتاب (ما هي السيميولوجيا) لبرنار توسان، ط2، 2000</p>	<p>عبد الله الغدامي</p> <p>محمد عناني</p> <p>عبد الملك مرتاض</p> <p>سعيد علوش</p> <p>عبد العزيز حمودة</p> <p>محمد نظيف</p>	
<p>- الأسلوبية منهاجاً نقدياً: 114</p>	<p>محمد عزام</p>	<p>سيميولوجيا</p>
<p>- مجلة (اللسان العربي)، ع23، 1985: ص 166</p>	<p>عبد العزيز بن عبد الله</p>	<p>علم السيميولوجيا</p>
<p>- أوردة الحمزاوي في (المصطلحات اللغوية الحديثة في اللغة العربية) ص 262، 1959</p>	<p>محمد السعران</p>	<p>ساميولوجيا</p>
<p>- ترجمة كتاب السيمياء لبيار غيرو، 1984</p> <p>- معجم اللسانية: 186</p> <p>- قاموس المصطلحات اللغوية والأدبية</p> <p>- معجم مصطلحات نقد الرواية: 209</p>	<p>أنطوان أبي زيد</p> <p>بسام بركة</p> <p>إيميل يعقوب وآخرون</p> <p>لطيف زيتوني</p>	<p>سيمياء</p>
<p>- المعجم الموحد لمصطلحات اللسانيات: 129</p>	<p>عبد الرحمان الحاج صالح وآخرون</p>	<p>علم السيمياء</p>
<p>- المنهج والمصطلح: 151</p>	<p>خلدون الشمعة</p>	<p>السيمائية</p>
<p>- دليل الدراسات الأسلوبية: 61</p>	<p>جوزيف م. شريم</p>	<p>السيمائية</p>
<p>- (اللسان العربي) ع23، 1985، ص 116</p>	<p>عبد العزيز بن عبد الله</p>	<p>السماتية</p>
<p>- دروس في السيميائيات، الدار البيضاء، 1987</p>	<p>مبارك حنون</p>	<p>السيمائيات</p>

سيامة	بسام بركة	- معجم اللسانيات: 186
علم الرموز	علي القاسم وآخرون فايز الداية	- معجم مصطلحات علم اللغة الحديثة: 82 - علم الدلالة العربي: 08
الدلائلية	محمد البكري المبخوت وبن سلامة	- (العربي والفكر العالمي) بيروت، ع1، شتاء 1988، ص70 - ترجمة (الشعرية) لتودوروف: 91
الدلائليات	محمد معتصم	- ترجمة (عودة إلى خطاب الحكاية) لجيرار جنيت: 231
علم الأدلة	الحاج صالح وآخرون	- المعجم الموحد: 129
علم الدلالة	محمد الناصر العجيمي سامي سويدان	- في الخطاب السردي: 21 - في دلالية القصص: 11، 15، 17، 68
علم الدلالات	محمد عزام	- الأسلوبية منهاجاً نقدياً: 29
الدلائلي	التهامي الراجي الهاشمي	- معجم الدلائلية (اللسان العربي) ع4، 245
علم السيمبولوجيا	صلاح فضل	- بلاغة الخطاب وعلم النص: 22
العلامية	المسدي	- الأسلوب والأسلوبية: 181
علم العلامات	مجدي وهبة	- معجم مصطلحات الأدب: 597
السيمبوطيقا	محمد عناني محمد مفتاح عبد العزيز حمودة عثماني الميلود نصر حامد أبو زيد	- المصطلحات الأدبية الحديثة: 153 - تحليل الخطاب الشعري: 10 - المرايا المحدبة: 278 - شعرية تودوروف: 69 - إشكاليات القراءة وآليات التأويل: 56،

66، 185 - الشكل والخطاب: 39 - (عالم الفكر)، الكويت، م25، ع3، يناير، مارس 97، ص 79	محمد الماكري جميل حمداوي	
- قاموس مصطلحات النقد الأدبي المعاصر: 90	سمير حجازي	السيماطيقا
- ترجمة (الموسوعة الفلسفية)، ص 335	سمير كرم	نظرية الإشارة
- النص الأدبي من أين وإلى أين؟: 21	عبد الملك مرتاض	الإشارية
- معجم المصطلحات الألسنية: 262	مبارك مبارك	الرموزية

مصطلحات الجدول السابق تقارب 36 مصطلحا تعبر كلها عن مصطلحين هما: السيميائية والسيمولوجيا، ما يعني تسابق النقاد العرب في النقل والترجمة، مراهنين على محاولاتهم الفردية المعزولة، فتضاربت آراءهم في تحديد الترجمات المناسبة حتى للمصطلح الواحد، والنتيجة فوضى ألفت بسايباتها على أدوات التحليل والمنطلقات المرجعية والمفاهيم النظرية المطبقة في تلك الإنجازات التحليلية والنقدية التي جسدت عوالم متفرقة.

يقول السعيد بوطاجين: "لقد كنا نعاني، ومازلنا كما الآخرين من مشكلة اختيار المصطلحات الضرورية لترجمة المفهوم النووي: هناك خيارات عدة بحيث تتمحي كل الخيارات في اللحظات التحيينية، عند الانتقال من المستوى النظري إلى المستوى التطبيقي، أضف إلى ذلك بعض النقل الخاطئ لمفاهيم متجذرة في الإرث الإنساني، كأن الأمر يتعلق بمفارقة من نوع دائرة مستطيلة، أي أن التناقضات كانت من الكثرة بحيث تدخل الباحث في ما يشبه العبث

والياس"؛¹ كثرة المصطلحات إذن تعيق أكثر مما تساعد ففاءة التحليل ونجاعته لا تعني أبدا غموض المصطلح وتعدده فهذا أشبه بالمرادغة المقصودة إلى تدخل القارئ في تيه نقدي وضياح، فالأصل أن تكون الترجمة وسيلة وحيلة لسد النقص ونقل الرسالة من لغة منطلق إلى لغة وصول وهدفها في ذلك وصول الرسالة إلى القارئ واضحة مفهومة، لأن الترجمة غير الدقيقة تؤدي إلى غموض والتباس مصطلحاتها مما يؤدي إلى خلل في المعنى وإشكالية في التلقي.

2-1- أزمة المصطلح النقدي ومشكلة الترجمة

إن مشكلة النقد العربي المعاصر هي مشكلة ترجمة أو هي بالأحرى أزمة نقل مصطلح بالدرجة الأولى من اللغة الأجنبية إلى اللغة العربية، فحينما نستخدم مفردات الحداثة الغربية ذات الدلالات التي ترتبط بها داخل واقعا الثقافي والحضاري.²

إذ قد ينقل المصطلح الأجنبي بمصطلح عربي مبهم "الحد والمفهوم، وأن المفهوم الغربي الواحد ينقل بمصطلح عربي مبهم الحد والمفهوم، وأن المفهوم العربي الواحد قد ينقل بعشرات المصطلحات العربية المترادفة أمامه وأن المصطلح العربي الواحد قد يرد مقابلا لمفهومين غربيين أو أكثر في الوقت ذاته، أو أن الناقد العربي الواحد قد يصطنع مصطلحا فيه كثير من التصرف زيادة أو انتقاصا في مقابلة الأجنبي وما إلى ذلك من المظاهر الإشكالية".³

1- السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح، دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008، ص 09.

2- يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، ص 30.

3- يوسف و غليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي، ص 30.

يكشف كلام "وغيلسي" عن عمق الأزمة وحالة الفوضى التي شهدتها الساحة العربية، فهو يعبر عن مشكل المصطلح ليس فقط في الساحة النقدية العربية بل حتى في الثقافة الغربية، حيث أصبح المدلول الواحد في اللغة الواحدة يختلف من مدرسة لأخرى ومن ناقد لآخر، هذا التطور السريع في الغرب وما يقابله من بطء في الشرق أحدث خطأ كبيرا في النقد العربي حتى اختلف النقاد في فهم الناقد الواحد فضلا عن المدرسة الفكرية أو اللسانية.

2-1-1- أسباب فوضى المصطلح

يمكن إحصاء بعض الأسباب على سبيل المثال لا على سبيل الحصر:

أ- الخاط في المفاهيم

ونقصد به التسبب اللفظي وعدم الالتزام بتعريف المصطلحات من جهة وباشتقاق ونحت مصطلحات جديدة، مما أدى إلى خلط عجيب في ميدان يحاول رواه أن ينعتوه بالعلمية، وعلى سبيل المثال استعمال كلمتي: سيميولوجيا وسيميوطيقا أو البنية و الشفرة، أو العلامة والرمز كمترادفين على نحو يجعل المتلقي للدراسات النقدية الجديدة يشعر وكأنه في برج بابل عصري يشهد فيه التباس المعنى وانفراط اللغة،¹ وهذا ما يعني أن المشروع الثقافي القومي يتطلب بيئة عربية يكون سياجها التاريخ والاجتماع والاقتصاد، مشروع من شأنه الحد من حالة الفصام المرضية، وسد حالة الشرخ والهوة الكبيرة الموجودة في الساحة العربية.

ب- تغييب أو تجاهل الخلفيات والمرجعيات الخاصة بكل نظرية أو تصور

أصبح الناقد العربي يعيش حالة فصام مرضية، وذلك راجع إلى غياب المشروع الثقافي القومي، فالواقع العربي تحدده أبعاد تاريخية واجتماعية

1- ينظر: فريال جبوري غزول، عرض الدوريات الإنجليزية، مجلة فصول، مج1، ع2، يناير، 1981، ص273.

واققتصادية محددة مختلفة عن العالم العربي مما يجعل أمر نقل الحداثة الغربية بقيمتها المعرفية الجديدة ومصطلحاتها النقدية ضرباً من العبث.¹

ج- عدم ضبط وتحديد اللغة الواصفة

تغرب القارئ العربي مع مفاهيم نظريات وافدة لا يجد بينه وبين مفاهيمها رابطة؛ مما أحدث خلافاً في طبيعة العلاقة بينه وبين لغته القومية أو بينه وبين حصيلته اللغوية وتوضيح مدى التمزق يقول سمير حجازي: "إن العلاقة بين القارئ والنص النقدي الجديد تنطوي على درجة عالية من عدم الاتصال اللغوي والفكري نتيجة لوجود هوة فاصلة بين مفردات النص ومصطلحاته، وبين إطار وحصيلة القارئ اللغوية... اللغة تحولت إلى أداة نقل وانتقى كونها أداة توصيل فكري ومعرفي في نقل فكرة نموذج غربي لصيق بروح عصره وجميع أبعاده التاريخية والحضارية".² مما أفضى إلى عجز القارئ عن التكيف والتفاعل اللغوي والفكري مع هذه المفاهيم وخلق اغتراباً لغوياً لدى القارئ.

د- عدم مراعاة خصوصية النص العربي عند التطبيق أو التحليل

هذا ما عبر عنه نجيب العوفي في معرض حديثه عن آفات النقد المغربي "المنهاجية" وهي: "ارتهان غير مشروط للمنهج، تؤدي إلى وثنية أو فتشية المنهج، فيستعاض عن المبدأ المعروف (النص ولا شيء غير النص)، بمبدأ ناسخ مضاد (المنهج ولا شيء غير المنهج)... هذه الآفة تدمغ كثيراً من قراءتنا ومقارباتنا النقدية خاصة تلك التي تنحو منحى بنيويًا لسانياً وسميائياً".³

1- ينظر: عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 2001، ص 21.

2- سمير حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، طيبة للنشر والتوزيع، القاهرة، 2005، ص 129-130.

3- العوفي نجيب، "عن الغزو المنهجي" في مجال النقد الأدبي المغربي، المنهج بين الاستيعاب والاستلاب"، مجلة الفكر الديمقراطي، ع 11، 1990، ص 194.

والنتيجة هي اغتراب النص والمنهج والناقد والمتلقي. وهو نفس ما ذهب إليه أحمد المعداوي حين قال: "إن المشكلة لا تكمن في المناهج نفسها وإنما في سوء توظيفها... وهذا يعني الاقتناع بسلامة هذه المناهج وعالميتها وصلاحيتها للتطبيق في كل مكان إن لم نقل في كل زمان".¹

ما يقصده المعداوي أن بعض النقاد العرب على استعداد مطلق لإسقاط المناهج الغربية على أي نص كيفما كان، دونما النظر إلى خصوصيته ومرجعيته، ومنظومته التي أنتجته.

هـ - المبالغة والتهويل

يجنح في كثير من الأحيان التحليل نحو المبالغة والتهويل، حيث نجد ركاما من الترسيمات والجدول والتشجيرات والأرقام غير المفهومة التي يجد القارئ صعوبة في فكها ويصبح السؤال: أين النص؟ من كل هذا وهل أنارت هذه المناهج النص وأفهمته أم زادت غموضا ولبسا؟

و - العقل المنفعل لا الفاعل

أصبح الناقد العربي يعيش بجسمه في العالم العربي، ومشاعره وعقله في أوروبا، وهذا ما ذهب إليه بنيس حين اعتبر الانفعال سببا في انتصار ما أسماه "الحداثة المعطوبة" حادثة خلقت غربة ثقافية عربية، ورأى أن الحل الوحيد للخروج من دائرة الانفعال هو اعتماد ثلاثية: الحكمة، البصيرة، الفراسة لمعرفة القادم، وأعطى مثلا رائعا بمثل عربي كان متداولاً في القديم "إذ قالت حذام فصدقوها"، وحذام لم تكن عرّافة، بل امرأة لها حاسة الرؤية من بعيد، ترى بعين

1- ينظر: المعداوي أحمد، أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، دار الآفاق، الإمارات لعربية المتحدة، ط1، 1993،

قلبها القادمين من تلك المسافات المنزوعة من الريح والغبار والظلمات تلك كانت حكمتها.¹

يقول بنيس: "امرأة هي الأنثى المقدسة لدى كل الأقسام، أنثى التوالد والاستمرار والديمومة بدء الوجود ولا نهايته، وأنا أفتش اليوم عن هذه المرأة، تأكيدا على أنها استعارة للحكمة والبصيرة".²

فحتى تتم المثاقفة البناء يجب تجاوز دائرة الانفعال الذي يشبه الرماد الذي يحتضن جمرا ولا ينتج شيئا إلى دائرة الفعل والتفاعل التي تتحقق بالحكمة والبصيرة والفراسة، وحتى يخلق الفعل الابتكاري للذات العربية لابد أن تتمرد "الأنا الفاعلة عن طرائقها المعتادة في الإدراك، كي تدرك ما لم تكن تدركه من قبل، أو ما كانت تعجز عن إدراكه لقصور طرائقها المعتادة وقدم أساليبها"³ والسبيل لتحقيق الفعل الابتكاري للذات العربية هو فعل المساءلة وقد حدده جابر عصفور أنه "يمتد ليشمل كل شيء ابتداء من موروثاته الخاصة مرورا بممارسته المتنوعة في علاقات هذا الواقع وانتهاء بما يأتي من واقع آخر على الضفة المقابلة من البحر أو المحيط".⁴

أي ما يسعى إلى تعرفه عند غيره لا على سبيل النقل والاتباع وإنما على سبيل الإسهام في الإنتاج.

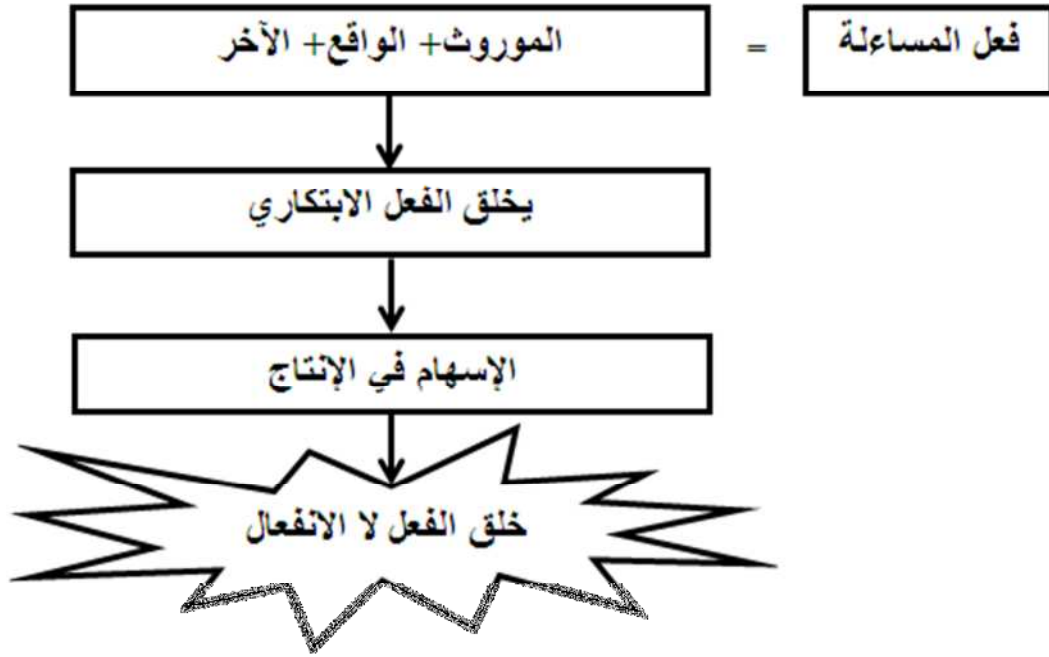
1- ينظر: محمد بنيس، الحداثة المعطوبة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2004، ص130.

2- المرجع نفسه، ص135.

3- جابر عصفور، آفاق العصر، الهيئة المصرية العامة للكتابة، ط، 1997، ص11.

4- المرجع نفسه، ص15.

نوجز الكلام السابق بالمخطط الآتي:¹



لكي يخرج الناقد من دائرة الانبهار الأعمى والانفعال لا بد أن يفرق بين:
الخضوع، الإمحاء، الضياع، التفاعل كيف؟²

الجهل يؤسس النقل والاستعارة = خضوع

الاستعارة بلا تجاوز وابتكار = بداية الهزيمة وإمحاء

الاستعارة الجزئية وتمزيق الوعي بين الاختيارات المتناقضة = ضياع

استنفار الهوية بمقوماتها الثقافية والاجتماعية ورد الفعل وتأهيل الذات بدء من
الخصائص الثقافية = تفاعل

إن التفاعل الحقيقي هو ذلك الذي لا يقبل المناهج والنظريات الوافدة كحقائق
ومسلمات وهو كذلك تجاوز مرحلة الاكتفاء بالقشور والاعتماد على ترجمات

1- المخطط من إعداد الباحثة.

2- ينظر: وسيمة درويش، مسار التحولات، قراءة في شعر أدونيس، دار الآداب، بيروت، د ط، ص 28.

ركيزة معيبة غير علمية، إلى مرحلة الاستيعاب والتمثل والبناء الجديد الذي يعمل على جعل المناهج الغربية المعاصرة متاحة للقارئ لا ناديا لنخبة النخبة.

ز - محاولة علمنة النقد

إن محاولة علمنة النقد جعلت الكثير من النقاد ينساقون وراء الحرفية والآلية في تطبيق المناهج، مما أفقد النصوص نبضها وروحها وجعلها مجرد وسيلة في يد الغاية (المنهج).

ولعل هذا ما نبه إليه نورثروب فراي "الذي دعا إلى علمنة النقد حيث نبهنا إلى أنه لا يقصد بذلك العلم "خالص" أو "الدقيق" لأن هذه "المصطلحات تنتمي إلى القرن التاسع عشر الذي كانت له نظرتة الكونية الخاصة به"¹، وفي هذا يمكن إيراد ما قاله أناتول فرانس: "إن الطريقة النقدية لا بد نظريا من تشارك العلم ثبوته مادامت تركز إلى العلم نفسه... ولكن الأمور في هذا الكون متشابكة تشابكا لا ينفصم، وحلقات السلسلة في أي موضع منها مختلطة متراكبة، حتى إن الشيطان نفسه ليعجز أن يفك عقدها ولو كان منطقيًا... ولا يستطيع أحد أن يتنبأ اليوم -مهما يقل- بحلول زمان يصبح للنقد فيه دقة العلم اليقيني، ولكن يمكن للمرء أن يعتقد -وهو محق في ذلك- بأن ذلك الزمان لا يحل أبدا".²

إن الأدب في ضوء النظرية السيميائية أصبح ثانويا في النقد الأدبي وأمسّت الدراسات ترفض الاكتفاء بالنصوص الأدبية وتتعداها إلى أعمال غير أدبية أو أعمال شبه أدبية كنقد السينما أو نقد النقد وقد أدى هذا التشعب بدوره إلى التركيز على ظاهرة التوصيل والاتصال بصورة عامة، حتى إن شغل النقد الشاغل الآن لم يعد المضمون بالمعنى التقليدي، أو الشكل أو البنية على نحو ما كان في

1- نورثروب فراي، تشريح النقد، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1991، ص 08.

2- عز الدين إسماعيل، مناهج النقد الأدبي بين المعيارية والوصفية، فصول مجلة النقد الأدبي، مج 1، ع 2، يناير 1981، ص 17.

الستينات، بل أصبح هدف النقد عملية ذهنية هي الإدراك والتواصل بمستوياتها المختلفة.¹

ح- غياب الجهود الجماعية

إن المشكل الحقيقي في الساحة النقدية العربية هو كثرة النقاد، دون أن يسهموا في بلورة نقد عربي مستقل بذاته بعيدا عن شبح التبعية للغرب؛ فقد غابت الجهود الاجتماعية في اشتغالهم النقدي على خلاف الغرب الذي جعل من الجماعة عروة وثقى سواء أكان ذلك في شكل حلقات (حلقة براغ موسكو...) أو جماعات (جماعة تال كال tel quel) وغيرها، أو مدارس (مدرسة باريس السيميائية، المدرسة الأمريكية، المدرسة الإيطالية...)، هذا للأسف ما نفقده في ساحتنا العربية، فكل ناقد أو باحث بات يطلب لنفسه الريادة والزعامة، وحب السبق العلمي، مدعيا في ذلك الاستقلالية، متناسيا أن: "الاستقلال لا يعني الانعزال، وإنما يعني رفض التبعية ورفض الخضوع ورفض الاتكال".²

حاولنا فيما سبق ذكر بعض أسباب الفوضى المصطلحية التي شهدتها الساحة النقدية العربية، والتي يمكن حصرها وإجمالها في النقاط التالية:

* مشكلة غياب مدلول المصطلح.

* مشكلة عدم وضوح المنهج في ذهن الناقد والباحث.

* مشكلة التطبيق الحرفي والآلي للمنهج.

* مشكلة غياب البحوث التجريبية التي تبرز خصوصية الأدب العربي.

* مشكلة غياب شروط الروح العلمية في الدرس النقدي العربي.

1- ينظر: فريال غزول، مرجع سابق، ص273.

2- عبد الحميد هيمة، الموقف في المناهج النقدية الغربية، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الإبداع الإسلامي العالمية، السعودية، ع68، ص19.

* مشكلة غموض النصوص النقدية المترجمة وغير المترجمة.

* مشكلة غياب قاموس خاص بتعريف مدلول المصطلح.

هذه المشاكل تتوزع عبر ثلاثة محاور:

* اغتراب الناقد عن المصطلح

* اغتراب القارئ

* مشكلة تطبيق المنهج واغتراب النص.

كيفية الخروج من التيه النقدي والفوضى المصطلحية؟ وكيف ننصف المترجم ونعيد له حق الاجتهاد على الأقل؟

لا يصح ذكر المشاكل والعقبات دون إيجاد حلول ومقترحات لذا تطلب منا البحث محاولة الإشارة إلى بعض الحلول التي تجعل من الترجمة بوابة تفتح على إمكان الظفر "بلغة تشمل الإنسانية جمعاء، أي لغة كونية تتخذ صورتين اختين هما صورة "اللغة" وصورة "اللغة الجامعة".¹

فالترجمة جمعٌ لما تفرق وتألّف لما اختلف، ونافذة تتكشف من خلالها المعاني والحقائق القابعة وراء الثقافات والألسن المختلفة يقول أبو حيان التوحيدي في كتابه المقابسات: "إن الناس في أصل جبلتهم وبدء خلقهم وأول نسخهم، قد افترقوا مجتمعين واجتمعوا مفترقين، واختلفوا مؤتلفين وائتلفوا مختلفين".²

1- طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995، ص67.

2- أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين، دار الأدب، بيروت، ط1، 1989، ص84.

هدف الترجمة نبيل فهي "لحمة جمعت بين مئات الألسن مما جعلها عولمة أخرى تحققت"¹. رغم الصعوبات التي قد يجدها المترجم أحياناً والذي قد يظلم في الحكم عليه، فيكفيه اجتهادا أن يقوم بعملية إعادة خلق النص من جديد وإعادة زرعه في بيئة غير بيئته وحضارة تختلف كلياً عن حضارته، فهذا "أحمد حماد" يشبه عملية الترجمة بعملية زراعة الأعضاء في الجسم البشري، فإذا لم يعد لها إعداداً جيداً ليتقبلها الجسم الجديد ضمن أنسجته لفظها واستبعادها، وشبه المترجم بالطبيب الجراح الذي قد تتجح عملياته وقد تخفق ولا جناح عليه، فيكفيه أجر الاجتهاد في حال فشله، ولا بد من شكره والثناء عليه إذا وفق.²

هذا كلام يوضح بأن الترجمة مسؤولية، بل مخاض من نوع خاص يولد بها نص جديد من الناحية الصوتية والصرفية والتركيبية والدلالية.

2-1-2- الحلول المقترحة للحد من الفوضى المصطلحية

من هنا يحق لنا التساؤل: كيف يمكن لنقدنا العربي أن يجعل من الترجمة متعة ومن النصوص المترجمة لذة من شأنها الحد من الفوضى المصطلحية؟

أ- الوعي

يجب أن يتوفر الناقد على درجة عالية من الوعي، كي ينقل المصطلح من ثقافة إلى ثقافة أخرى ليس بينهما تشابه في اللغة والفكر، ونقصد بالوعي هنا، الوعي الخصب الذي يفهم النظريات في مضامينها الأصلية، ويربطها بالخلفيات التاريخية والفلسفية والمعرفية، حتي يتمكن من معرفة وفهم المنحدرات المصطلحية، ومن ثم ينجح في عملية الترجمة ويوفق في تقريبها للقارئ.

1- ينظر: حفناوي بعلي، فضاءات المقارنة الجديدة، العولمة، جماليات التلقي، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، 2002، ص72.

2- ينظر: أحمد حماد، الترجمة الأدبية بين قيود النص وحرية الإبداع، مجلة عالم الفكر، ع4، 30 أبريل، يونيو، 2002، ص243-247.

ب- التكيف اللغوي والثقافي

ويقصد به تحديد مدلول المصطلحات الغربية وفق طبيعة الأدب والثقافة العربية ووفق أصولها المعرفية واللغوية الغربية في وقت واحد. لأن تحديد المصطلحات والمفاهيم في بنية النص النقدي الحدائي وما بعد الحدائي تجعل القارئ يحقق مع النص شكلا من أشكال التفاعل والتكيف اللغوي والثقافي، فنقدنا العربي بحاجة إلى تفجير حدود اللغة من بناها الصرفية الخاصة إلى أنساقها النظمية والتركيبية وقواعد الأداء التوليدية فيها، هذا التفجير ينبغي أن يتم من الداخل متحركا باتجاه الخارج، لتحفظ اللغة بمقوماتها الجوهرية ونهج تجسيدها للبنى الأساسية، وحرص ينبغي أن يزداد حدة ووعيا لأن اللغة الهجينة تنتج فكرا هجينا والهجنة ليست قيمة جمالية أو ثقافية بل هي نشاز وتشوش وفوضى.¹

ج- فهم وإفهام المصطلح

يتطلب استعمال المصطلح دراية خاصة من أهل الاختصاص لأنه لغة خاصة أو معجم قطاعي يسهم في تشييد بنائه ورواجه أهل الاختصاص في قطاع معرفي معين، ولذلك استغلق فهمه واستعماله على من ليس له دراية بالعلم الذي هو أداة لإبلاغه، إلا أن هذه اللغة القطاعية تتصل باللغة العامة المشتركة ولا تكاد تخرج عن الأصول التي تتحكم فيها، كما أن هذا المعجم القطاعي يصدق كثيرا مما يصدق على المعجم العام من ضوابط صرفية ودلالية وتركيبية وصرفية.²

1- ينظر: مقدمة ترجمة كتاب الثقافة والامبريالية لإدوارد سعيد، ط2، دار الآداب، بيروت، 1998، ص42.

2- ينظر: عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة والعربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986، ص396.

د - التواشج بين الكاتب والمكتوب

الصلة بين الكاتب والمكتوب حميمة، سواء أكان الكاتب ناقداً أو مبدعاً أو مترجماً، حيث يضيف من روحه على ما يكتب ووسيلته في ذلك اللغة وفي هذا المقام سنذكر مقولة رولان بارت: "اللذة لا تصدق إنها أمر غير معقول، أو هي أمر غير قابل للعقلنة، ولكن يبقى عليّ أن أقول: إنني أعشق اللغة فإذا أعلنت عشقي للمحبوب، أعلنت عشقي للمكتوب، واللذة تقوم على وصال جسدي مع ما أكتب، ذلك أن وصال المحبوب متعة... وإنني لأحس باللذة دوماً؛ إذ لا شيء أبقى من مكتوب اللذة وأدوم، وإنني إذ أتصل بمكتوبي لأعلم أنني أضع جسدي في حروفه، وأن الحروف لتغادرني جسداً...".¹

نتساءل ماذا يبقى من النص المنسوخ بعد قراءته يقول رولان بارت: "لا يبقى شيء، فالنص الجديد يلتهم القديم ويتحول به إلى مكان لغوي آخر ينذر بقراءة تلتهم هي الأخرى جديد النص المتحول لتتحول هي بدورها، وهكذا دو اليك".²

الترجمة عملية ليست باليسيرة لكنها ممكنة، إذا توفرت اللغة والثقافة لدى المترجم، فهما عنصران مهمان يمكن للمترجم من خلالهما أن يفهم النص ويفهمه للقارئ بطريقة إبداعية تتعدى حدود النقل الحرفي إلى نص يحمل بصمته الإبداعية بصمة من شأنها أن تعطي لذة للنص وللقارئ على حد سواء.

هـ - القراءة العميقة للنص المترجم

يبدأ المترجم عملية التأويل عن طريق "القراءة العميقة" للنص المراد ترجمته، الشيء الذي يسمح له بأن يتعرف على مستويات المعنى، منطلقاً من

1- رولان بارت، لذة النص، تر: منذر عياشي، دار لوسي، باريس، ط1، 1992، ص10.

2- المرجع نفسه، ص09.

المعنى الأقل عمقا إلى المعنى الأعمق منه قصد الوصول إلى المعنى "الدقيق"،
يمكن اختصار هذا القول فيما ذهب إليه سيكلوفتش وليدر Seleskovith et
lederer بقولهما أن هناك ثلاث مراحل للتأويل والترجمة هي:¹

* فهم المعنى Comprehension meaning

* استكناه المعنى Deverbalisation

* تعبير المعنى Expression meaning

ويتم كل هذا عن طريق نسيان الكلمات والجمل التي ولدت المعنى مع تدبر
المعنى السياقي المخصوص للمكون اللساني بتوظيف الخبرة والمهارات المدققة
لمقاماته قصد ضبطها، فيشترط على المترجم أن يكون مؤولا قبل أن يكون
مترجما كما يقول Hanri Mexhonic: "لكي تفهم لا بد أن تؤول....ولكي تترجم
يجب أولا أن تفهم، وبالتالي فإن الترجمة بالضرورة هي التأويل".²

نقول ختاماً إن مواكبة الآخر ضرورة من أجل استكمال النمو الذي بدوره
يتطلب معرفة وحركية من شأنها إرساء دعائم قيم جديدة "والذات من أجل أن
تصمد وتتنصر محتاجة إلى أكثر من معرفتها... محتاجة إلى حاضرية طاقتها،
وحركية معرفتها وهذه الحاضرية تعني إعادة الفحص في ضوء الحاضر
وحاجات الإنسان إلى الحاضر وشروطه، وحركية المعرفة؛ تساؤل، وتجاوز،
وكشف وتنوير ولا ينفصل هذا عن ولادة قيم ومثل من جهة، وتحول قيم ومثل
من جهة أخرى".³

إن الرغبة في اللحاق بالآخر أمر مشروع واللجوء اليوم إلى مناهج نقدية
ظهرت في بيئة غير بيئتنا ووجدت لحل مشاكل وقضايا تختلف عن مشاكلنا

1- Seleskovith Lederer.D.et lederer.M Interpreter pour traduire. p311.

2- Gemar .J.C traduire ou l'art d'interpréter 151.

3- أوسيمة درويش، مسار التحولات، قراءة في شعر أدوني، دار الآداب، بيروت، ط1، ص27.

وقضايانا يعود "في أساسه إلى الرغبة في اللحاق بالركب الحضاري وتوفير الجهد وربح الوقت في اكتساب الخبرة والتجربة، ومعالجة القضايا الراهنة هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى إلى الجمود والتحجر الذي أصاب ثقافتنا وفكرنا منذ عدة قرون، حيث أصبحت لا تستطيع مسايرة حركة الواقع التاريخي وسيورته".¹

إذا كان فعل المسايرة أمرا مشروعاً، ورغبتنا في اللحاق بالآخر ضرورة حتمية، فإن مشكل التعامل مع المناهج الوافدة بنوع من الكمال أمر مغلوط، إذ أنه يحتاج إلى متابعة ومراقبة وتأطير، ف"عملية النقد أو المنهجية تحتاج بدورها إلى متابعة ومراقبة، فهي مسؤولية نقد النقد".²

والناقد الفطن هو الذي يجيد التعامل مع المناهج الوافدة بوعي، وهذا لا ينأى له إلا إذا كان على دراية ومعرفة بالخفيات الإبستمولوجية التي أعطت هذه الأدوات المنهجية، ولا يكفي بما نسميه النسخ التكراري الآلي للخطوات الإجرائية، لأنها ستوقعه لا محالة في فخ الروتينية الباعثة على التقهقر والتراجع، بل وجعل النص بنية صماء ومنطقة جافة جرداء، تملؤها الطلاسم والرموز، والقارئ الذكي هو من يستطيع استقراء النص بثوابته ومتغيراته، فيسبر أغواره وعوالمه، ويسهم في انفتاح مدلولاته.

1- عمار زغموش، النقد الأدبي المعاصر، قضاياها واتجاهاتها، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000-2001، ص 61.

2- محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر، البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق، ج 3، أنفويرانت، فاس، المغرب، ط 1، 2001، ص 224.

مهما اصطبخت الثقافات بلون محلي مستمد من الظروف الداخلية للمجتمع الذي تظهر فيه، فهي ذاتها تتطوي على جانب إنساني صالح لكل الثقافات خاصة إذا ما تعلق الأمر بميدان الفنون والآداب والثقافة بوجه عام.¹

سنقف في صفحاتنا التطبيقية عند بعض الدراسات النظرية والتطبيقية التي تناولت السيمياء، خاصة السيميائية السردية، لا سيما في مدة التسعينات وتحديدا في المنطقة المغربية متمثلة في قراءات رشيد بن مالك وسعيد بن كراد وصولا إلى السعيد بوطاجين ومحمد الناصر العجيمي، إذ يمكن أن نقول عن هؤلاء أنهم أيقونة المنهج السيميائي في النقد العربي عموما والمغاربي خصوصا.

1- ينظر: فؤاد زكريا، آراء نقدية في مشكلات الفكر والثقافة، مرجع سابق، ص 47.

الفصل الثاني
المشروع السيميائي
عند رشيد بن مالك

توطئة

إن محاولة تقصي أثر السيميائ في الساحة العربية عموما و المغاربية خصوصا، توصلنا إلى مجموعة من الباحثين الذين كان لهم الفضل في إرساء وتوطيد إجرائية المنهج السيميائي، وفي هذه المقام نجد جملة من المساهمات القيمة لكل من: سعيد بنكراد، رشيد بن مالك، عبد الناصر العجيمي، سعيد بوطاجين، أحمد يوسف وكثير من الإسهامات والإنارات التي حاولت إضاءة الساحة النقدية العربية وحاولت تقريبها الى القارئ، وذلك من خلال إرساء مبادئ القراءة السيميائية للنص العربي وتبسيط بعض المفاهيم التي كانت تبدو للوهلة الأولى غامضة ومعقدة.

سنحاول في فصلنا هذا تسليط الضوء على إسهامات الناقد الجزائري "رشيد بن مالك" الذي يعد من النقاد الأوائل الذين اهتموا بالدرس السيميائي خاصة السيميائ الباريسية، فعمل جاهدا على نقل معارفها ومصطلحاتها تنظيرا وترجمة وممارسة.

أولاً- المنهج السيميائي عند رشيد بن مالك -المصطلح والإجراء

1- مراحل الخطاب النقدي

يعتبر رشيد بن مالك من أوائل النقاد الذين أرسوا دعائم النقد السيميائي السردية - خاصة- ذلك الذي نهض على سجال حثيث بين الرواد: دي سوسير، غولدمان، كريستيفا، رولان بارت، تودوروف، غريماس، كورتيس، ميشال أرفي، جون كلود كوكي، بيرنار بوتو... الخ، مدرسة استطاعت أن تحدث رجة أسالت أقلام الكثير من النقاد، ولعل بن مالك أهمهم على الإطلاق، حيث تتلمذ على يد أقطاب هذه المدرسة وحضر دروسهم وعقد صلات بهم، وأصبح ممثلاً لهم على مستوى البلاد العربية.

خلق رشيد بن مالك استراتيجية نقدية في نقل المعرفة السيميائية (مدرسة باريس)، ترجمة وتأطيرا وممارسة على نصوص سردية عربية متنوعة وفق النموذج الغريماسي، واستطاع بجدارة واجتهاد تقريب مفاهيم هذه النظرية للقارئ العربي، وهذا بفضل حسن تمثله للأسس وفهمها ووعيتها واستيعابها بآلياتها الإجرائية، فبسطها وطوعها من أجل صناعة خطاب نقدي متماسك، وهو ما صرح به قائلاً: "حرصنا كل الحرص على صناعة خطاب نقدي يتوخى البساطة في الصناعة اللغوية والطرح النظري والممارسة التطبيقية، وينأى عن كل ما من شأنه أن يعكر صفو القارئ ويثير عنده الالتباس ويعقد عليه الأمور فتجاوزنا المعضلة المصطلحية البالغة التعقيد بالبحث عن مسميات لا يلقى صعوبة في تلقيها والوقوف عند مراميها"¹. وفق هذا المسعى وضمن هذا المنطلق قام بن مالك بالإحاطة بالنظرية السيميائية السردية من خلال مستويات ومراحل خطابية أربعة:

1-1- مرحلة التأسيس والتأصيل: وهي مرحلة حاول فيها بن مالك تعريف القارئ العربي بمفاهيم النظرية وماهيتها ومصطلحاتها وإجراءاتها المنهجية.

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2014، ص09

1-2- مرحلة الترجمة والتعريب: وهي بمثابة حلقة الوصل بين النص في بيئته الأصلية ونقله إلى البيئة العربية، وهذا لا يتأتى إلا بامتلاك الزاد المعرفي والوعي النقدي.

1-3- مرحلة التأليف القاموسي: عمل بن مالك في هذه المرحلة على أن يحمل مصطلحات النظرية تفسيرا وشرحا وتبسيطا يمكن القارئ العربي من فهمها.

1-4- مرحلة التطبيق والممارسة: هي مرحلة الاجتهاد والبرهنة على حسن التمثل بإخراج المفاهيم والمصطلحات من دائرة الشرح والقول إلى دائرة التحقق والتجسيد.

تقضي هذه المراحل الخطابية مجتمعة إلى ضبط المفاهيم النظرية (السيميائية السردية)، ووضع أدواتها الإجرائية في متناول القارئ العربي، ولنوضح المشروع النقدي السيميائي السردية عند رشيد بن مالك آثرنا أن نقف عند كل مرحلة على حده.

1-1- خطاب التأسيس والتأصيل

يطرح المنهج السيميائي (مدرسة باريس) أدوات إجرائية جديدة ترتبط بشكل واضح بالعلوم التجريبية، ونظرا لصعوبة استيعابها بسهولة لا بد من مرحلة تأسيسية تنظيرية يتم وفقها تقريب المفاهيم والمصطلحات والتعرف على الخفيات المعرفية المؤسسة لها، وهو ما نبه إليه رشيد بن مالك وتبناه في مساره العلمي، حيث أكد على أن القارئ العربي يواجه صعوبة في قراءة ما كتب عن السيميائيات سواء كان مترجما أو في شكل بحوث، فهو "يلقى مشقة كبيرة في فهمها وتمثلها واستصاغتها وفك رموزها ومصطلحاتها، فهو يقرأ ويبدل مجهودا كبيرا لتطويق فكرة أو مفهوم أو لفهم ما يترجم إلى اللغة العربية، ولكنه لا يفهم ولا يجد إلى ذلك سبيلا، وأنى له أن يتمثل ما يقرأ وهو يفتقد إلى معرفة المسارات العلمية التي قطعها السيميائية، ومفتقد إلى إدراك الفوارق المنهجية والمفهومية بين هذا المصطلح أو ذلك، هذا التيار أو ذاك".¹ لذلك حاول بن مالك أن يبحث في

1- جان كلود كوكي، السيميائية، مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، ص05-

الأصول المؤسسة للمشروع السيميائي (مدرسة باريس) والكشف عن الجهاز المفاهيمي حتى ينتج خطابا نقديا يساعد القارئ على تمثل النقاط العلمية الكبرى للسيميائية السردية ذات التوجه الغريماسي، ففي كتابه (مقدمة في السيميائية السردية) اجتهد رشيد بن مالك من خلال هذا المؤلف إلى "دراسة الأصول اللسانية والشكلانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية (مدرسة باريس)، واستمدت منها مصطلحاتها العلمية، مع إجراء تعديلات على مفاهيمها تقصيا في ذلك الانسجام مع التوجهات الجديدة للبحث السيميائي المعاصر".¹ وضح بن مالك الأصول اللسانية التي انبنت عليها النظرية السيميائية كخلفية معرفية للمنهج المتبع في الدراسة، وعمد إلى تحديد موقع المسألة الدلالية من البحوث السيميائية تمهيدا لدراسته القائمة على تناول المصطلحات اللسانية الأساسية التي كان لها الأثر الكبير في بناء الصعيد السردى للنظرية السيميائية ودورها في بلورة الوجود السيميائي كأحد المناهج المعتمدة في مقارنة النصوص، حيث تحدث عن المنحدرات المفاهيمية اللسانية للمصطلح السيميائي وكيفية انتقالها من قبيل مبدأ المحادثة immanence الذي جعل اشتغال الدلالة مشروطا بالقوانين الداخلية وكذا مبدأ الاختلاف différence الذي بشر به دي سوسير وصاغه غريماس ضمن رؤية جديدة ترى انبثاق المعنى مرتبطا بالاختلافات المنتجة له، وقد اتضح ذلك في المربع السيميائي القائم على علاقة التضاد المحورية بين الطرفين.²

ولأن معالم السيميائية لا ترصد بالنظر فقط إلى المنطلقات اللسانية، بل لم يغفل بن مالك المظهر التنظيري العام لبحوث الشكلانيين الروس التي ظهرت خلال الحقبة الممتدة من 1915 إلى 1930 والتميزة بمبدأ قائم على أن الأدب مجموعة شكلية تحكمها قوانين

1- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة للنشر، الجزائر، ط1، 2000، ص05.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص11.

خاصة مع التركيز على العناصر النصية والعلاقات المتبادلة بينها، وعلى الوظيفة التي تؤديها في مجمل النص.¹

أسهب بن مالك مطولا في الحديث عن التوجه الشكلي الروسي وكيف أثر على المشروع السردي الغريماسي وأثره، مركزا على النموذج البروبي وموضحا كيف استمد غريماس بعض مفاهيمه ومصطلحاته منه. وذلك من خلال دراسته الشهيرة (مورفولوجيا الحكاية الشعبية)، كما قيد رشيد بن مالك الانتقادات التي وجهها لغريماس وبين اجتهاده وجديده على مستوى (نظرية العوامل) والتعديلات التي أسس عليها الترسيمة السردية schéma narratif والتي عدت سندا مهما لفهم تنظيم الخطابات السردية.

أنهى بن مالك جزءه النظري بتثبيت المصطلحات التي تطرق إليها وما يدور حولها من اشتقاقات.

ولا نعدم هذا الجهد التأصيلي في كتابه (البنية السردية في النظرية السيميائية)؛ حيث اعتمد في تقسيم دراسته التي تتموضع في ثلاثة بحوث أساسية إلى قسمين، خصص القسم الأول منها لتوضيح مفهوم المكون السردية والآليات الإجرائية التي تحكمه انطلاقا من مصطلحات البنية السردية مثل: الحالة، التحول، موضوع القيمة، كتحديد نظري للبرنامج السردية الذي يستند إلى تلك المفاهيم ودورها في كشف بنية المكون السردية.² بالإضافة إلى ضبطه التماثلية، وقد فصل الناقد الأسس النظرية في البرنامج السردية؛ كالرسم السردية والتحريك والتقويم موضحا كل ذلك بتمارين بسيطة مستعينا بالترسيمات العاملة والأشكال المساعدة على استيعاب عملية التحليل موظفا الرموز الرياضية والمعادلات.

1- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص28-29.

2- ينظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص11.

ضبط بن مالك المصطلحات كمفهوم (الحالة) l'état و (التحويل) transformation استنادا إلى العلاقة التي يقيمها الفاعل بموضوع القيمة objet de valeur على اعتبار أن الفاعل وموضوع القيمة عنصران أساسيان في تشكيل البرنامج السردي يستمد الأول وجوده الدلالي من العلاقة التي يقيمها مع القيمة المستهدفة.¹

وأكد أن الاقتراب المنهجي من المفهوم الذي يحمله موضوع القيمة بالغ الأهمية وأرجع الأمر لاعتبارين:²

* التفكير حول المسألة المتعلقة بموضوع القيمة في البحوث السيميائية الأوروبية يكاد يكون مقصى؛ حيث يتم التعامل معها كما لو أنها محسومة سلفا.

* تتداخل المصطلحات في البحوث السيميائية العربية التي تقدم موضوع القيمة على أنها شيء واحد.

ومن أجل ذلك اجتهد بن مالك إلى التأصيل المصطلحي لمفهوم (القيمة)؛ حيث يذهب إلى أننا "لا نستطيع أن نفهم المسألة الخاصة بالنظام السيميائي للقيمة في (المعنى) 1983 ما لم ندرك أصوله الدلالية المستمدة أصلا من دروس ف. دي سوسير الذي يعود إليه الفضل في إرساء مفهوم القيمة في الدراسات اللسانية، والذي كان له عميق الأثر في إضفاء المشروعية العلمية على البحوث الدلالية والتي غالبا ما كانت تقصى من الاعتبارات اللسانية".³

وهذا يعني أن بن مالك حدد مفهوم القيمة انطلاقا من البحوث اللسانية التي استثمرها غريماس بغرض استجلاء النظام السيميائي للقيمة، والتي سنوجزها كالاتي:⁴

1- ينظر: رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص11.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص16.

3- المصدر نفسه، ص17.

4- ينظر: المصدر نفسه، ص19-20.

* القيمة في مظهرها المفهومي: لوجود القيمة لأبد من عاملين ضروريين هما وجود شيء متباين يمكن أن يبدل بشيء تحدد قيمته بعدياً؛ وقد مثل بن مالك لذلك بمثال بسيط فلتحديد قيمة نقدية قدرها خمس فرنكات ينبغي أن نبدلها بكمية محدودة لشيء مختلف عنها وليكن الخبز مثلاً، أما العامل الثاني فهو وجود أشياء متشابهة قابلة للمقارنة بقيمة مماثلة من نفس النظام (الفرنك) أو من نظام آخر (الدولار مثلاً).¹

أما عن توضيحه للقيمة اللسانية في مظهرها المادي، فرأى أن هذه القيمة لا تتجلى في الكلمة بوصفها صوتاً لذاته، بل في الفوارق الصوتية التي تمكن من تمييز هذه الكلمة عن الكلمات الأخرى، ثم انتقل بن مالك بذكاء ينم عن فهم ووعي بمنحدرات المصطلح إلى القيمة في البحوث السيميائية، فالعادة في مزج مفهومي القيمة والموضوع أمر شائع، غير أنه مغلوطن؛ فالشكل الصوري للموضوع يضمن حقيقته وتتماهى القيمة مع الموضوع المرغوب الذي "لا يدرك في استقلاليته بل في تحديده، وهذه التحديدات ترتسم في المظهر الخلفي للموضوع الذي يؤسس قيمته اللسانية، ويعد في ذات الوقت سنداً مرهوناً بوجود القيم".²

فالشخص الذي يمتلك سيارة هو في الغالب يشتري شيئاً من الخطوة الاجتماعية؛ وبالتالي فإن موضوع المستهدف ليس في الواقع إلا ذريعة، فهو الحيز الذي تستثمر فيه قيم.³

إن اجتهاد بن مالك وتأصيله لمصطلحات تبدو صعبة وعصية على القارئ البسيط هو في الحقيقة جهد يثمن لأنه ليس بالأمر الهين فالخوض مثلاً في مصطلح (القيمة) في مظهرها المفهومي والمادي والسيميائي ومحاولة التأصيل لها أمر يحتاج إلى وعي جدي بمنحدرات المصطلح وربطه بحقوله المعرفية وتياراته الفكرية وهذا ينم عن فهم واستيعاب

1- ينظر: رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص 17-18.

2- المصدر نفسه، ص 19-20.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص 19.

بن مالك لآليات اشتغال الأدوات المنهجية، ناهيك عن جهده المضاعف وهو ينهي القسم الأول من الكتاب بتثبيت المصطلحات التي سنتحدث عنها لاحقا في مرحلة الترجمة والتعريب، وكذلك الشأن بالنسبة للقسم الثاني من الكتاب.

حاول بن مالك أن يصيغ للقارئ العربي خطابا تأصيليا تأسيسيا مبني على استراتيجية واضحة وفهم عميق متبعا في ذلك الأسلوب التبسيطي الخالي من التعقيد وقد أدرك ذلك جيدا فقال "إن الكتابة النقدية موجهة أساسا إلى القارئ، فحري بها أن تكون شفافة بالقدر الكافي ومبنية على استراتيجية واضحة وفهم عميق وصناعة لغوية متماسكة خالية من كل تعقيد".¹

وقد أتى عبد الحميد بورايو على هذا الجهد التأصيلي الذي يعد بمثابة الدليل في توجيه الرسائل الجامعية والكتابات والأبحاث ودروس تحليل النص الأدبي، "فهو ثمرة ناضجة في مجال دراسة بنية النص السردي بمختلف أشكاله... كما أنه استطاع الإسهام في إثراء المعجم المصطلحي من خلال ترجمة عدد من المصطلحات الجديدة التي تتضاف إلى الجهاز المفهومي للسيميائيات السردية".² قد واصل بن مالك تميزه التأصيلي في كتابه (من المعجمات إلى السيميائيات)؛ حيث رام من خلال هذا المؤلف مساعدة القارئ على الاقتراب من البدايات الأولى للبحث السيميائي خاصة وأن القارئ يقف في حيرة من أمره كلما اقترب من البدايات، فأجاب بن مالك عن جملة تساؤلات منها: ما علاقة البحث السيميائي بالمعجمات واللسانيات؟ وكيف انتهى إلى ما هو عليه الآن؟ ومن هم أهم رواده والإشكاليات العلمية التي طرحوها والعلاقات الموجودة بينها وبين ما آل إليه البحث السيميائي في الوضع الراهن؟ إجابة عن مثل هذه التساؤلات كفيل بسد فراغات عاشها وعانها القارئ.

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2012، ص09.

2- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص05.

1-2- خطاب الترجمة والتعريب

لعب بن مالك دور المنتج الفاعل؛ وذلك عندما طوع لغة النص المصدر وفق ما يستوعبه المعطى في لغة النص الهدف، وكانت الغاية إضاءة المعتم من المصطلحات بفضل تمكنه من اللغة الأجنبية من جهة، وما ضمنه قاموسه اللساني من جهة أخرى، والمتأمل في جهوده الترجمة يلمس جدية وجودة، حيث اعتمد على الترجمة التي تتعدى المحمول الحرفي للنص المصدر إلى البعد الكشفي الذي يمنحه النص الهدف من النص المصدر. فجعل لنفسه أسلوبا خاصة في الترجمة والكتابة، حيث كان واضحا في العرض ممنهجا في الطرح. والهدف هو توصيل المشروع الرامي إلى التعريف بالسيميائية (مدرسة باريس) وكل ما يتعلق بها من: أعلام ومنجزات، أصول ومرجعيات، مفاهيم ومصطلحات... الخ. وبناء على هذا الهدف أصدر عددا مهما من الترجمات: ترجمة كتب، نصوص... ومن ترجماته نذكر منها:

- كتاب (تاريخ السيميائية) لأن إينو.
 - كتاب (رهانات السيميائية) لأن إينو.
 - كتاب (السيميائية، مدرسة باريس) لجان كلود كوكي.
 - كتاب (السيميائية، أصولها وقواعدها/ نصوص مترجمة) لميشال أريفيه، جون كلود جيرو، لوي بانبيه وجوزيف كورتيس.
- أما النصوص المترجمة فقد ضمنها كتابيه (البنية السردية) و(من المعجميات إلى السيميائيات) وهي:

- السيميائية الصيرورة غير مسحبة لبيرنار بوتى.
- السيرة الذاتية والعلمية لألجيرداس جوليان غريماس لجان كلود كوكي.
- أ. ج. غريماس واللسانيات الفرنسية لتوما. ف. برودون.

- بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية خلال 1830 في مفردات صحف الموضة لتلك الحقبة (أطروحة دكتوراه دولة ثانوية 1948) لصاحبها غريماس.

- الروح السيميائية الجديدة لأن إينو.

اعترافا منا بعبقرية الناقد في اختياره الموفق في ترجماته، وعرفانا لهذا المنجز الترجمي، أجد نفسي ملزمه بالإشارة إلى بعض هذه النصوص المترجمة الموثقة في كتابيه (البنية السردية) و(من المعجمات إلى السيميائيات)، حيث ضم الكتاب الأخير مجموعة من البحوث والنصوص عدها بن مالك الحاضنة للتباشير الأولى للدرس الدلالي وإطارا عاما للبحث السيميائي المعاصر، ومن هذه البحوث نجد نصا لـ:توما. ف. برودون، حيث تكمن أهمية هذا النص في تتبعه المسار العلمي الذي قاد أ.ج.غريماس خلال خمسة عشر سنة (1948-1963) من الدراسة التاريخية والاجتماعية للمفردات الفرنسية إلى البنيوية التاريخية ثم الدلالية البنيوية.¹

أما النص الثاني فيحمل عنوان (الموضوعات والمناهج) وضع كمدخل منهجي لدكتوراه دولة الأولى الموسومة (الموضة في 1830 محاولة من خلال صحف الموضة لتلك الحقبة) لصاحبها غريماس، رأى بن مالك أن هذا النص له بالغ الأهمية وبالغ الأثر في تجربته غريماس الغنية والتي خاضها في الدراسات المعجمية، والتي جددت فيما بعد اختياراته المنهجية؛ إلا أن بن مالك عدل عن فكرة ترجمة الرسالة الأولى لغريماس وعوضها بترجمة رساله الدكتوراه دوله ثانوية عنوانها (بعض انعكاسات الحياة الاجتماعية في 1830 في مفردات صحف الموضة لتلك الحقبة)، وبرر سبب اختياره إلى احتوائها على خطاب علمي يتسم بالتماسك والبساطة، الأمر الذي سيسهل فهمها عند القارئ، ولعل التعقيد الوحيد الذي يعترض سبل المترجم يكمن في بعض المفردات الخاصة بالموضة

1- ينظر: رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص21.

الثيائية التي واكبت التطور التكنولوجي، كلمات لا يلقى لها الباحث أثرا في معاجم روبير ولاروس وغيرها من المعاجم الفرنسية، ولا في القواميس الثنائية والثلاثية اللغات.¹

أما النص الثالث أو بالأحرى الترجمة الثالثة كانت من رهانات السيميائية لأن إينو، تتحدث فيه عن الروح السيميائية الجديدة والنقاط العلمية الكبرى للدرس السيميائي المعاصر.²

تمكن بن مالك من تقديم قراءه للمعجم المعقلن لنظرية اللغة السيميائية للباحثين: أ. ج. غريماس وجوزيف كورتيس، وسبب اختياره لهذا الموضوع ما رده إلى نقل الحمولة المعرفية للمعجم؛ إذ يقتحم حقولا معرفية متنوعة (فلسفة، منطق، رياضيات، كيمياء...)، فضلا عن التيارات النقدية القديم منها والحديث.³ فكانت مادته غزيرة، لذلك حرص بن مالك على إرساء قناة اتصال بين هذا المعجم القارئ موضحا أهم النقاط العلمية له ومطلعا المنهجية المعتمدة في إعداده، واجتهد اجتهاد الواعي المدرك بمنحدرات المفاهيم والمصطلحات فقدم بدائلا منهجيه لقراءة هذا المعجم.

إن استقرار هذا المنهج الترجمي يعطينا انطباعا أنه يحمل نزعة تأسيسية تأصيلية بما يضمن توجيه القارئ نحو النصوص التي كان لها عميق الأثر في ترقية البحث السيميائي الراهن، فمن الواضح أن "ترجمة نصوص السيميائيين الرواد إلى اللغة العربية تهدف إلى تبليغ المعرفة السيميائية في مصدرها وفتح آفاق جديده في البحث أمام القارئ العربي وتنمية حسه النقدي وتوسيع دائرة اهتمامه بصورة تجعله ينظر إلى الموضوعات السيميائية فلا يقنع بما هو سطحي ولا يكتفي بنتيجة علمية إلا بعد التحقق من سلامة فرضياتها وصحة التفكير الذي أفضى إليها".⁴ فالترجمة مسؤولية وأمانة وعي وإدراك بأن

1- ينظر: رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص21، 53.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص169.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص179.

4- المصدر نفسه، ص16.

هذه النصوص المنتقاة من شأنها أن تلبي حاجات القارئ وتخدمه وتتمي حسه النقدي وهذا ما عمل عليه بن مالك لأنه يدرك مدى "افتقاد القارئ العربي إلى المرجعية التاريخية لهذه البحوث وافتقاره إلى الأراضيات البحثية التي انطلقت منها والتيارات العلمية التي مهدت لظهورها والفوضى المصطلحية التي تعد السمة الغالبة في الخطاب النقدي العربي".¹ هامش وهو ما كان سببا موجها لخياراته الترجمة، وترجمته لنص (السيميائية، الصيرورة غير مستحبة لبرنار بوتى والسيرة الذاتية والعلمية لغريماس لجون كلود كوكي) مثلما يصرح بذلك، تأتي في الامتداد الطبيعي لبحوثه ومشروعه والهادفة إلى "رصد أهم منجزات الحركة السيميائية ذات التوجه الغريماسي من حيث التأريخ لها، وتجليه أراضياتها البحثية، والتوجهات العلمية التي مهدت لظهورها والجمعيات الدولية التي تبنت طروحاتها ومراكز البحث التابعة لها".² فمثلا ترجمته لنص الباحث بيرنار بوتى (السيميائية: الصيرورة غير المستحبة) لاحظ بن مالك أن ما قام به برنار بوتى يعد قراءه جديده للإرث الغريماسي يثبت من خلالها أن الصيرورة قاعدة ضرورية لكل برنامج سردي، وأن الفاعل المنفذ الذي يعد محولا للحالات ليس في نهاية الأمر إلا سببا في التغيير.³ بالإضافة إلى استجلاء برنار بوتى بعض القضايا النظرية التي تمس الصعيد السطحي (المستوى السردى) للنظرية السيميائية، وتمكن بن مالك من تقديم ترجمة وفيه للنص الأصلي متحر في ذلك الأمانة والعودة إلى صاحب النص الأصلي اذا اقتضت الضرورة ذلك حيث قال: "نتقدم بالشكر الجزيل للباحث برنار بوتى الذي لمسنا منه مقابلات عديدة جمعتنا به التشجيع والوفاء لما يقول".⁴

1- رشيد بن مالك، من مقدمة كتابه الترجمة: السيميائية، أصولها وقواعدها لميشال أريفى وآخرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، د ط، 2000، ص 07.

2- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص 520

3- ينظر: المصدر نفسه، ص 44.

4- المصدر نفسه، ص 45.

أما ترجمته لنص السيرة الذاتية والعلمية لغريماس A.J.Greimas لجون كلود كوكي J. C. Coquet، فقد أرجع سبب اختياره في الترجمة على اعتبارات عديدة قد يكون أولها ما لاحظته من خلط كبير في بعض البحوث العربية "التي تبدو في الظاهر ذات توجه سيميائي، وهي في العمق بعيدة كل البعد عن أن تمثل هذا التوجه وأفرزت هذه الظاهرة نتائج مضللة في هذا التوجه واضطرابا في القيم العلمية التي أضحي القارئ العربي ضحية له، مما انعكس سلبا على مردوده العلمي".¹ أما السبب الثاني هو افتقاد القارئ العربي إلى الأسس الإبستمولوجية والخلفيات التاريخية لهذا التيار والحقول المعرفية التي سخرها غريماس في مساره العلمي لتأسيس النظرية السيميائية.²

وفقا لهذه الاعتبارات اختار بن مالك نص (السيرة الذاتية لغريماس) حتى يتمكن من إلقاء الضوء على الأسس الإبستمولوجية للنظرية السيميائية لغريماس واستجلاء أرضيتها البحثية والتوجهات العلمية التي مهدت لظهورها في محاولة منه لسد النقص الذي يعانيه القارئ العربي وإيماننا منه بضرورة التحري الجماعي للبحث، فقد اعتمد في نقل بعض المصطلحات على قاموس السبيل لدانيال ريغ* وكذا اعتمد على دراسات عبد الحميد بورايو والتفت إلى دراسات سعيد بنكراد، وهذا دليل على وعيه وإدراكه لصعوبة عملية الترجمة وما قد ينجر عن الجهد الفردي من انفلات للمعنى وإدخال القارئ في تيه نقدي ولعل ما يؤشر على وعيه قوله: "إن التأسيس للمشروع العلمي مرهون سلفا بتحويله إلى موضوع تحر جماعي، محكوم بحوار يهدف إلى ترقية المعرفة في المؤسسة العلمية".³

نصل في الأخير إلى القول أن رشيد بن مالك هو أحد مبلغي المعرفة السيميائية من مصادرها الأصلية خاصة السيميائية ذات التوجه الغريماسي، إذ أنه لم يحد عنها، وهو شيء يحسب له إذ يجعله متخصصا في هذا الاتجاه ما يعطيه معرفة بكل تشعباته وفروعه

1- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص53.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص54.

*- دانيال ريغ، السبيل هو معجم عربي-فرنسي، فرنسي-عربي.

3- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص56.

وحقوله المعرفية ومنحدراته المفاهيمية والمصطلحية وتحكما أكبر بأدواته الإجرائية، ما سجلناه أيضا على هذا المنجز الترجمي هو مدى وعي الباحث بحجم المسؤولية الملقاة على عاتقه باعتباره ناقلا لمصطلحات وأفكار من بيئة غربية إلى أخرى عربية، فنجح في انتقاء النصوص التي رأى أنها تلبي حاجة القارئ العربي وتتمي حسه النقدي، وكان مقتنعا بضرورة التجربة الجماعية، لأنها كفيhle بإرساء قنوات الحوار العلمي، ومن أجل ذلك حرس على عرض ترجماته ومراجعتها من قبل باحثين متخصصين في المجال من العرب والغرب من أمثال عبد الحميد بورايو، عز الدين المناصرة، جون كلود كوكي، آن إينو وبرنار بوتتي، حتى يتمكن من ضبط المصطلحات وتفادي الغلط والتشعب الذي يجعل القارئ أمام فوضى مصطلحيه سببها الأول انفلات المعنى أمام التأويلات وتشظيه على عتبات حب الزعامة والريادة عند بعض النقاد.

آثرنا في آخر هذه المرحلة -مرحلة الترجمة والتعريب- أن نذكر بعض المصطلحات كما وردت في ترجمات بن مالك.¹

1- رشيد بن مالك، البنية السردية في النظرية السيميائية، ص41.

المصطلح	ترجمته إلى العربية
Transformation	تحويل
Être	كينونة
Relation	علاقة
Fonction	وظيفة
Énoncé conjonction	ملفوظ وصلي
Énoncé disjonction	ملفوظ فصلي
Réflexif	انعكاسي
Actant	عامل
Lexème	ليكسيم
Structurel	بنائي
Sujet d'état	فاعل حالة
Acquisition	امتلاك
Manque	افتقار
Privation	فقدان
Séquence	مقطوعة
Virtualisation	إضمار
Actualisation	تحيين

حديثنا عن محاولة بن مالك لضبط المصطلح تقاديا للفوضى يقودنا بالضرورة إلى الحديث عن قاموسه المتخصص (قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص).

1-3- خطاب التأليف القاموسي

إن إشكالية المصطلح وتشعبه شكل قلقاً معرفياً لدى رشيد بن مالك ما دفعه إلى تأليف هذا القاموس، وهذا ما أكده في أكثر من موضع من ذلك مثلاً إشارته إلى أننا: "ما زلنا ضائعين في متاهات المصطلح، كل باحث يترجم حسب ما يحلو له، ولم تتوصل نسبة غير قليلة من البحوث السيميائية العربية إلى بلورة خطاب علمي لا يلقي فيه صاحبه مشقة في تمرير المعارف السيميائية".¹ هذا ما جعل الخطاب النقدي العربي يتسم بالاضطراب نتيجة تضارب الأفكار والترجمات، ولعل دراسة المصطلح النقدي في أعماق مكوناته التركيبية والدلالية هي من ستساعد على تبين الثغرات من خلال استكناه العلوم والمعارف الوافدة بواسطة مصطلحاتها، فمتى كان مصطلح قريباً ومفهوماً كانت العلوم والمعارف والنظريات أسهل للفهم والاستيعاب، لذلك رأى بن مالك أن أول خطوة يجب أن ننهض بها في سبيل عملية ترجمة المصطلح هي: "أن نبدأ أولاً بحصر المصطلحية في المعاجم والبحوث العربية المتخصصة، وننجز ثانياً إلى ترجمة ما استعصى نقله وفق عملية التوليد والاشتقاق والتعريب".² وهذا ما تجسد من خلال (قاموس مصطلحات التحليل النفسي للنصوص).

القيمة العلمية التي يكتسبها هذا القاموس نابعة من كونه غني بالمادة السيميائية التي نجح بن مالك في تسييرها للقارئ العربي حتى يتمكن من فهمها والاستعانة بها على استيعاب الجانب الإجرائي للنظرية النقدية الغربية بشقيها اللساني والسيميائي السردي، متمثلاً في ذلك الآراء النظرية لأعلام مدرسته (باريس الفرنسية) والمتضمنة في منجزات غريماس وكورتيس.

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص14

2- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص72.

ضم القاموس قرابة 228 مصطلحا السيميائيا أساسيا في مجال التحليل السيميائي للنصوص السردية عبر 272 صفحة، بسط فيها بن مالك تعاريف المصطلحات في قالب لغوي يعتمد الشرح والتحليل دون إطناب، مستعينا بما يقارب 27 شكلا أو ترسيمة، وهو ما زاد قدرته الإيصالية التبليغية وذلك لما تحمله الترسيم/الشكل من حمولة معرفية/علمية، قد تعجز التراكمات الوصفية في الكلام عن بلوغها".¹

اعتمد بن مالك في عملية النقل والترجمة على:

* حصر المصطلحات في المعاجم والبحوث العربية.

* الترجمة وفق التوليد والاشتقاق والتعريب.

وقد ذكر الباحث في مقدمة قاموسه أسباب تأليفه نجلها في النقاط الآتية:²

- الصعوبات التي اعترضته حين كان يلقي الدروس الأولى في تحليل الرواية الجزائرية من المنظور السيميائي لطلبته.
- نقص استعداد طلبته للتعامل مع هذا المنهج في غمرة طغيان المناهج التقليدية.
- تخوف بعض الدوائر العلمية في الجامعة الجزائرية من هذا الوافد الجديد، تخوف سرعان ما تحول إلى رفض وعداء وإقصاء.
- الاضطراب الكبير في المصطلحية المعتمدة، وفوضى ترجمة النصوص.
- غياب البحوث الجماعية والتنسيق بين الباحثين العرب بخصوص الأولوية التي ينبغي أن يحظى بها هذا التيار أو ذلك.
- التفكير في ضرورة إدماج وتكثيف بعض المعارف العلمية في الشعبة وخلق قنوات تواصل تضمن تنظيم المعرفة داخل المؤسسة العلمية.

1- عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب السردى وقضاياها، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2009، ص210

2- ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص10-12.

أما طريقة عمله وهو ينجز هذا البحث فكانت كالاتي:¹

- تحديد مجموعة من المصطلحات التي يمكن أن تشكل مدخلا لفهم إجراءات تحليل النص ومستوياته الأساسية.
 - ارتكزت عمله تحديد المصطلح وترجمة شرحه أساسا على (المعجم المعقن لنظرية الكلام) لغريماس وكورتيس.
 - الرجوع إلى المعاجم اللسانية والنصوية التي تشكل نقطة ارتكاز مهمة في فهم الإنجازات السيميائية.
 - وضع المصطلح باللغة الفرنسية ثم أعقبه بالترجمة الإنجليزية والعربية، ملحقا ذلك بشرح يطول ويقصر حسب أهمية المصطلح.
 - وضع في نهاية كل المدخل إحالات رأى أنها ضرورية لفهم المصطلح.
- إن هذا القاموس هو ثمرة جهد فردي، على الرغم من أن صاحبه اعتمد فيه على المحاورة الجماعية؛ أي عرض الكثير من مصطلحاته على غيره من الدارسين المتخصصين من أمثال عبد الحميد بورايو، عبد القادر بوزيدة، برنار بوتتي، إلا أن هذا لم يمنع بن مالك من الوقوع في بعض الهفوات من قبيل نقله لبعض المصطلحات عبر آلية التعريب والدخيل، ومن تلك المصطلحات المعربة والدخيلة الواردة في القاموس:

1- ينظر: رشيد بن مالك، قاموس مصطلحات التحليل السيميائي، ص10-13.

الصفحة	المقابل الأجنبي	المصطلح المعرب/الدخيل
93	Isotopie	إيزوتوبيا
115	Motif	موتيف
164	Sémantème	سيمنتيم
167	Sème	سيم
169	Sémème	سيميم
170	Sémiologie	سيميلوجيا
237	Thématique	تيمي
240	Topique	طوبيقي

ونجد الباحث يعترف بضياعه وسط متاهة المصطلحات قائلا: "لا زلنا ضائعين في متاهات المصطلحات".¹ وينعت جهده الترجمي بالمغامرة وسط حقل معرفي لم تستقيم فيه المصطلحات بشكل نهائي فقال: "والحقيقة إنني لا أدعي الشمول والكمال في هذه المحاولة، إنها مغامرة صعبة في حقل سيميائي بكر لم تستقم فيه المصطلحات بعد بشكل نهائي".²

على الرغم أن بن مالك سعى بشكل حثيث إلى ضبط المصطلح النقدي والحد من فوضى المصطلحات، إلا أنه وقع هو الآخر في هذه الفوضى، فنجد أحيانا يترجم

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص14.

2- رشيد بن مالك، القاموس، ص05.

مصطلحين مختلفين بترجمة واحدة مثل (كيفية: modalité ص109، modalisation ص111)، (تقطيع: découpage ص53، segmentation ص163).

بعودتنا إلى المعاجم نجد أن هناك فروقات بين المصطلحات، فمثلا modalité هي الطريقة أو الإجراء أو الطرائق والإجراءات وهي تقترب من ترجمة بن مالك (كيفية)، في حين أن مصطلح modalisation يعني النمذجة أو النماذج، وهي بعيدة عن ترجمة بن مالك (كيفية)، أما الترجمة الثالثة (تقطيع) فقد وجدنا أنها قريبة من المصطلح الأول découpage، في حين أن مصطلح segmentation، يعني التجزئة، وفي نظرنا الأقرب للتعامل مع النصوص هو (التقطيع).

ومن نماذج الترجمات المتعددة للمصطلح الواحد، بالنظر إلى قاموسه وبعض أعماله

النقدية نجد:¹

الترجمات المتعددة ومراجعتها			المصطلح الأجنبي
السيمائية بين النظرية والتطبيق	مقدمة في السيميائية السردية	قاموس مصطلحات التحليل السيميائي	
المحاينة (ص260)	المحاينة (ص09، 40)	الملازمة (ص89)	Immense
استعمال (ص262)	إيعاز (ص34، 37)	استعمال (ص102)	Manipulation
الجهات (ص262)	الجهات (ص41)	الكيفيات (ص111)	Modalités
إهمال (ص259)	/	إضمار (ص63)	Ellipse
مهمة (ص259)	مهمة (ص26، 40)	اختبار (ص70)	Épreuve

1- يوسف و غليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2009، ص327.

حديثنا عن المطبات التي وقع فيها بن مالك لا تعني الانتقاص من قيمة القاموس، بل هي إشارة لإشكالية المصطلح في الساحة النقدية العربية، وما قدمه الباحث هو خطوة جادة وجديدة في تقديم المادة السيميائية للقارئ العربي "فهو كتاب يتناول المصطلحات السيميائية السردية التي تعتمد في تحليل النصوص الإبداعية، فكان لهذا الأثر الإبداعي أهمية بالغه والتمثلة في وحدة الموضوع الذي يعالجه وهو مصطلحات المادة السيميائية بطريقة علمية يسهل على القارئ فهمها ولاستعانة بها... فكان هذا المؤلف خطوة جادة ومضافة في ساحة المصطلح السيميائي العربي".¹ وقد اعتمد بن مالك اللغة السهلة الواضحة في الشرح والتفسير، بالاستعانة بأشكال وترسيمات من شأنها تسهيل مأمورية القراءة والاستيعاب، وقد نوه عبد القادر شرشال بقيمه الكتاب فقال: "وبالرغم من صغر حجمه إلا أنه اشتمل على مادة خصبة من المصطلحات العلمية الشائعة في مجال التحليل السيميائي للنصوص السردية، فقد يسر المؤلف ما استطاع الشرح والتفسير والتحليل في هذا المعجم وضبط التعريفات، وقدمها بلغة سهلة وواضحة، حيث ابتعد عن الحوشي والغريب والرموز والألغاز، ولم يتوسع في النصوص والشواهد التي تجد مادتها في المعجمات، واستعان بالأشكال والترسيمات، وقد شكل هذا العمل جانباً مهماً في القاموس، أضاف إلى تحليل المصطلحات وضبط المفاهيم بعداً آخر ما كان ليدرك لولا الأشكال الهندسية التي أخذت حيزاً معتبراً من حجم القاموس 27 ترسيمة".²

إن نقل المصطلح العلمي من بيئته الأصل إلى البيئة المستقبلية في الحقيقة ليس بالأمر الهين، فهو يحتاج إلى مهارة في الترجمة ودراية واطلاع بالظروف التي حوطت نشأته، وقد اشتغل واجتهد بن مالك على مصطلحات تعد بمثابة المفاتيح لمقاربه أي نص سردي، وكان يدرك جيداً أن ما قدمه هو مغامرة صعبة محفوفة بالمخاطر، حيث استهل قاموسه

1- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد الغربي الحديث، منشورات ضفاف - منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2013، ص190.

2- عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب الأدبي وقضاياها، ص104.

بمقدمة اعترف فيها بذلك قائلاً: "إنني واثق من خطورة المهمة، وبالتالي فإنني اعتبر عملي هذا مجرد اقتراح لترجمات سنثير، من دون أدنى شك، جدلاً من شأنه أن يؤدي - إذا توافرت الإرادات الحسنة- إلى ترقية البحث وإرساء قواعد الحوار العلمي المثمر".¹

1-4- خطاب التطبيق والممارسة

ركوحا إلى ما سلف من حديثنا عن الخطابات الثلاثة (التأصيل، الترجمة والتعريب، التأليف القاموسي)، ندرك أنها تؤول جميعاً إلى مستوى لا غنى عنه؛ بل هو الدعامية الأساسية لعملية الفهم والاستيعاب، ونقصد مستوى التطبيق أو الممارسة، وفيه يبرهن الباحث عن مدى تمثله وفهمه للمفاهيم النظرية، ومدى تمكنه من إدارتها وإجراءاتها حتى تخرج من دائرة القول إلى دائرة التحقق والفعل، وهو رهان صعب لكن ليس مستحيلاً، وهذا ما فعله بن مالك في مشروعه النقدي، حيث أكمل صنيعة أمام القارئ العربي وقدم ثماره التطبيقية بكثير من الثقة والتمكن، لأنه كان يعي جيداً أن "مصادقية النظرية تكمن بدرجة أولى في فعاليتها الإجرائية".² وبناء على ذلك اشتغل بن مالك بمجال السيميائية السردية وأصبحت دينه الذي لا يحيد عنه، ليجد في النصوص السردية قصصية وروائية ضالته المنشودة، موظفاً في ذلك الآليات والإجراءات التي جاء بها غريماس وكورتيس، هادفاً إلى الوقوف على تمفصلات المعنى والكشف عن المنظومة الدلالية للنص، فاختر بعناية فائقة النصوص التي سيطبق عليها، ففي مجال الرواية طبق على: ريح الجنوب لابن هدوقة، رواية نوار اللوز لواسيني الأعرج، رواية عواصف جزيرة الطيور لجيلالي خلاص، رواية الصحن لسميحة خريس ورواية العشاء السفلي لمحمد شكري، وفي مجال القصة اختار: قصة العروس لغسان كنفاني، وقصة عائشة لأحمد رضا حوحو، ولم يغفل بن مالك النصوص التراثية كدراسته لنص النصيحة التي أسداها الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم)، كما ورد في كلية ودمنة لناقله عبد الله بن المقفع.

1- رشيد بن مالك، قاموس المصطلحات، ص12.

2- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص49.

حتى نوضح المسار التطبيقي للباحث، ارتأينا اختيار عينات من دراسته التطبيقية على النصوص السردية، وقد اخترنا قراءته السيميائية لقصة (العروس) لغسان كنفاني وقصة (عائشة) لأحمد رضا حوحو ورواية (الصحن) لسميحة خريس، ومن النصوص التراثية اخترنا دراسته التحليلية لنص (النصيحة) من كتاب كلية ودمنة.

أشرنا سابقا أن بن مالك كان موفقا في اختياره لعينات التطبيق، فانتقاها بعناية فائقة، وهذا خدمة لمشروعه الهادف إلى فحص النصوص السردية العربية وفق إجراءات التحليل السيميائي، وهذا ما أكده في دراسته لقصة (العروس) لغسان كنفاني، حيث قال: "إن اختياري لقصة (العروس) كموضوع لقراءة سيميائية يندرج ضمن مشروع نقدي، نهدف من خلاله إلى فحص القصة العربية القصيرة وفق إجراءات التحليل السيميائي، والنظر في فعالية هذه الإجراءات وإمكانية وضعها كقاعدة علمية تبنى عليها محاوره النصوص ومساءلتها وفهمها فهما يرتكز على تحليل يستمد مشروعيته العلمية من تحديد موضوع الدراسة وزاوية النظر، ومن فرضيات البحث والتحقق منها أثناء الدراسة".¹

يكون بذلك بن مالك قد حدد غايته من الدراسة التي سيقوم بها، والتي سيبنها على ثلاث دعائم: المحاوره، المساءلة، الفهم، وعملية الفهم عنده تتحقق إذا تجاوزنا المعالجات الكلاسيكية إلى قواعد البحث العلمي التي يرى أنها دقيقة وصارمة، فتمسك بن مالك بهذه القواعد واعتبرها "خيارا منهجيا مغايرا للمنهج التقليدي".² الذي "جمد الفكر وحصره في أطر لا تتجاوز الأحكام المعيارية".³ ضمن هذا المنهج تدرج دراسته التطبيقية لقصة (العروس)، دراسته رام من خلالها "اكتناه التمهصلات الأساسية للنص، استنادا إلى الهيئة اللفظية المؤسسة للفاعل القنوات التي يمرر عبرها مضامينه".⁴ ومن أجل ذلك تناول بن مالك في مساره التحليلي فهم الرهانات السيميائية في القصة وضبط دورتها الدلالية،

1- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص49.

2- رشيد بن مالك، السيميائيات السردية، ص07.

3- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائيات السردية، ص49.

4- المصدر نفسه، ص51.

وألزمه هذا التوزيع تقطيع النص إلى مقطوعتين:¹ تبدأ الأولى من (عزيزي رياض) إلى (أنه محاط بشيء يشبه الغبار المضيء) صفحة 151-، 152 وتبدأ الثانية من (معك حق، ولكنني أكتب لك هذه الرسالة الثانية) وتنتهي بـ(فلدي أخبار جديدة عن العروس) صفحة 152-163.

حلل بن مالك المقطعين بالاستناد على ما جاء به غريماس وأيضاً أطروحات بعض تلاميذه ومشايحي توجهه أمثال كورتيس، جان كلود كوكي وبرنار بوتتي، خاصة ما تعلق بمراعاة (الفعل التلغظي) عند التحليل؛ فعند تحليله للمقطع الأول أو ما أسماه (الرسالة الأولى) من قصة (العروس) قال: "فهناك رسالة يوجهها الراوي في صيغة (الأنا) المتكلم إلى (الأنث) رياض، وهو هيئة مخاطبة".² ليحتل الراوي في هذا الملفوظ "مكانة مركزية تتميز بوضعه كمرسل يحفز"³ أي أن بن مالك راعى الفعل التلغظي وما يندرج ضمنه من هيئات لافظة ومقاصدها.

فالراوي (اللافظ) بوصفه محركاً لحمل (رياض) على قبول العقد وجوب التحري عن الرجل المجهول الذي لا يملك عنه سوى مواصفات (طويل جداً، صلب جداً، يلبس بدلة خاكية عتيقة ويلوح لأول وهلة كأنه مجنون)، مواصفات وقيم شكلت المسار السوري وذلك لا يتم إلا عبر برنامج سردي ينتهي إلى نجاح المهمة بالعثور على هذا الرجل الفلسطيني الثوري، الذي ضحى بحياته من أجل الحصول على السلاح.

ما سجلناه حول هذه الدراسة التطبيقية غياب المربع السيميائي، الذي اعتدنا رؤيته عند نهاية كل ممارسة تطبيقية، فكان من الأجدر أن يجسد التحول من حالة البحث عن الرجل إلى حالة العثور عليه، عبر مربع سيميائي نرى أن طرفاه: الموت والحياة.

1- رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، ص51

2- المصدر نفسه، ص52.

3- المصدر نفسه، ص52.

زواج أو طعم بن مالك دراسته هذه بما جاء به غريماس من آليات وما طرحه كرتيس حول (الفعل التلفظي)، وهي في عمومها لا تخرج عن الإطار المنهجي العام (للسيميائية السردية)، وختم الباحث دراسته التطبيقية بخلاصة يؤول فيها مجريات القصة.

سار بن مالك على نفس الخطى في تناوله لنص (النصيحة) التي أسداها أي الفيلسوف (بيدبا) للملك (دبشليم) مراعيًا في ذلك أيضًا (البعد التلفظي)، حيث أقر بذلك قائلًا: "حتى نوضح الآليات التي يشتغل بها الخطاب الحجاجي في النص، ينبغي أن نسلم في البداية أن الموضوعات السيميائية (كليلة ودمنة على سبيل المثال) المنقلة من هيئة اللفظ إلى أخرى (المفوض له) ترتفع في وجودها إلى فعل تلفظي، ومن هذه المنطلقات وضمن هذا الإطار سنسعى إلى دراسة نص النصيحة"¹.

تحكم بن مالك في آليات السيميائية السردية، مكنه من تتبع مسار (بيدبا) الحكيم باعتباره المرسل الذي يمتلك المعرفة وبوصفه محركًا لدفع (دبشليم) إلى وجوب تغيير سياسته الظالمة وأفعاله العدوانية المتمثلة في العبث بالرعية واستصغار أمرهم، وهذا لا يتم إلا عبر برنامج سردي انتهى بالنجاح؛ حيث ثمن (دبشليم) المشروع الإصلاحية (البيدبا) الذي يضمن ويكفل الحقوق الجماعية، ويكفل البرنامج بمكافأة (بيدبا) من خلال جعله وزيرًا للعدل والإنصاف. وقد جسد الباحث هذا التحول من السياسة الظالمة إلى سياسة العدل والمساواة عبر مربع سيميائي يثبت فيه المعرفة باعتبارها أساس الوضع الجديد، ويحدث قطيعة مع الجهل، فطرفا المربع السيميائي هما المعرفة والجهل.

سخر بن مالك آليات التحليل السيميائي السردية للإصغاء إلى أصوات النص واستجلاء دلالاته، فقال: "حاولنا تنويع زوايا النظر في النص باستغلال القضايا النظرية السيميائية، دون التقيد الآلي بها، وتسخيرها للإصغاء إلى نبضاته والتميز بين أصواته وضبط آليات اشتغاله والوقوف عند تجلياته الدلالية بعد التأكد من سلامة ما وضعناه من

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص 281.

فرضيات والتحقق منها في أثناء التحليل".¹ يبدو أن بن مالك كان واثقا جدا مما قدمه من بحث تطبيق كانت غايته الأسمى فيه إقامة وصلة علمية حقيقية بالقارئ، وصلة لا تتحقق إلا بالابتعاد عن الآلية والنسخ التكراري الذي يتعامل مع الإجراءات السيميائية وكأنها موضحة أو عناصر ديكور وغاية في ذاتها؛ وقد عرض ابن مالك إلى نماذج من الدراسات التي تطرقت إلى بعض نصوص (كليلة ودمنة) وخص بالذكر عبد الحميد بورايو، محمد الناصر العجيمي ومحمد القاضي؛ حيث رأى أن هذه الجهود على ما تعكسه من جهد مبذول في الارتقاء بالنقد العربي من الرؤية المعيارية إلى الرؤية العلمية، إلا أنها تظل منقوصة من جانب الدقة العلمية والصرامة المنهجية، وخص على وجه التحديد دراسة محمد الناصر العجيمي لنص (الأرانب والفيلة) ودراسة محمد القاضي لنص (مثل الأسود وملك الضفادع) من كليلة ودمنة، حيث قال: "أما نصوص محمد الناصر العجيمي ومحمد القاضي فإنها وصلت إلى درجة كبيرة من الزخرفة المنهجية، وقارئ هذه البحوث يخرج بانطباع عام مفاده أن خطابها النقدي عوم بترسنة من المصطلحات، لم يصنع في سبيل إقامة وصلة علمية حقيقية بالقارئ، بل أنجز في جوانبه التطبيقية بهدف تقديم الإجراءات السيميائية على أنها عناصر ديكور وغاية في حد ذاتها، من هنا اتسمت هذه الإجراءات بالتطبيق الآلي على النصوص".²

يقصد بن مالك بالزخرفة المنهجية اعتماد الباحثين (العجيمي ومحمد القاضي) على مقاربات منهجية متنوعة على غرار ما فعله محمد القاضي في بحثه، حيث بدأ دراسته من المستوى السطحي تحديدا الإشارة إلى ملفوظ الحالة وعلاقات الفاعل الفعلية والوصلية، ثم رسم نموذجا عامليا، ثم انتقل مباشرة للحديث عن الإحداثيات الزمنية وأساليب القص وأنماط الرؤية في النص من منظور جيرار جنيت Gérard Genette، فرأى بن مالك أن

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص275

2- المصدر نفسه، ص276.

هذا الانتقال غير مبرر منهجياً.¹ فعلق على دراسته قائلاً: "تفتقد إلى إشكالية بحثية واضحة، ينظر الباحث في بداية الأمر في ملفوظ الحالة فيضبط من منطلقات سيميائية علاقة الفاعل الفصلية والوصيلة بالطعام، ثم يزخرف ذلك بنموذج عاملي مضطرب، مفتقد إلى الأسهم، وبالتالي إلى المعنى".²

شدد بن مالك لهجته النقدية ليصف منهجية محمد القاضي بالاضطراب والتضارب، وهذا الامتعاض الشديد من تنوع المناهج في المعالجة سببه وفاء بن مالك للسيميائية السردية التي لم ترض بغيرها بديلاً، لذلك لم يستصغ ما قام به محمد القاضي من الانتقال من السيمياء إلى مقارنة جيران جنيت، وهو وفق تصورنا يبتغي من تحليله إعطاء عناية للمعنى من حيث شكله (إجراءات السيمياء السردية)، ومن حيث ماهيته (جيران جنيت)، فحاول أن يكون مرناً في اختيار المناهج والمقاربات التي تخدم علاقة النص الأدبي السردى بالواقع، وهذا ما لم يتقبله بن مالك وهو أمر منطقي لرجل يؤمن بأحادية المنهج ويرفض رفضاً قاطعاً تطعيمه بمناهج أخرى، بل وصل به الأمر إلى السخرية مما يسمى (منهجاً تكاملياً)، "ويحذر من الجمع بين اتجاهات سيميائية متنوعة داخل الممارسة النقدية الواحدة، لأن كل اتجاه مستقل بتصوراته ومصطلحاته".³ يصل رفض بن مالك لتنوع المناهج الذروة حين يحذر من الجمع بين اتجاهات سيميائية داخل الممارسة الواحدة؛ وهو بنظرنا نوعاً من المبالغة إن لم نقل التطرف، فكل المناهج السيميائية تخدم غرضاً عاماً وهو البحث عن المعنى واستجلائه وإن اختلفت الأدوات والإجراءات التي يوفرها كل اتجاه، غير أننا نوافق الرأي في رفضه الجمع بين مناهج متعددة -تيارات مختلفة- في دراسة واحدة، فهذا حسب رأينا يفقد البحث خطته ويميعه، فلا يستطيع القارئ القبض على مقاصد الدراسة أو البحث، بل وقد يصل الباحث إلى تأويل منزاح عن النتائج التي يفرضي

1- ينظر رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص 280.

2- المصدر نفسه، ص 280.

3- يوسف وغلبيسي، في ظلال النص، ص 325.

بها التحليل - كما وقع مع محمد القاضي - لأنه وببساطة محاولة الجمع الاعتباطي بين المناهج والمقاربات أحيانا لا يعطينا انطبعا بالتمكن والاقنتدار، بقدر ما يوحي لنا بالضياع والتشظي إن لم نقل عدم فهم من لدن الباحث وخط؟!

إذن ما الحل؟ ربما يكون فيما يسمى (تليين المنهج)؛ ونقصد بتليين المنهج الاستفادة قدر الإمكان من المقاربات أو المناهج التي تصب في حقل واحد، وتخدم غاية موحدة أو على الأقل متقاربة، كأن يستفيد الباحث مثلا من مقاربات الشكلانيين الروس والبنويية التكوينية في عمله، فهذا ما يمكن أن نطلق عليه (تكامل المناهج)، أما أن يجمع بين البنويية والتفكيكية والسيميائية في عمل واحد، فهذا ضرب من الخط والتعقيد وإدخال القارئ في تيه نقدي.

من النماذج التي يمكن أن نضرب بها المثل في التمكن والاقنتدار في تنويع المناهج: عبد الحميد بورايو الذي لم يترك إجراءات السيميائية السردية على مدار تجربته النقدية، غير أنه لينها وطعمها بمناهج نقدية أخرى مثل: التحليل الوظيفي لفلاديمير بروب والبنويية الأنثروبولوجي لكلود ليفي ستروس وغيرها، ما جعل بن مالك يعترف بذلك فقال: "إن نصوص بورايو لم تتعامل مع السيميائية على أنها غاية في حد ذاتها، بل اعتبرها وسيلة مسخرة لفهم الإشكاليات التي يطرحها المعنى المتخفي في الممارسات الإنسانية الدالة باللسان وغير اللسان... ندرك أن الباحث اشتغل على الخطاب النقدي وروضه بشكل تفادي فيه كل تعقيد مصطلحي".¹

غير أن ابن مالك على الرغم من الحفاوة والترحيب بأعمال بورايو، عاب على دراسته لنصي (الحمامة المطوقة والثعلب ومالك الحزين من كتاب كلية ودمنة) "إغفاله للقراءة التي قدمها غريماس للمشروع البروبي الذي يعتبر فيه الفعل أساس تعريف

1- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص276.

الوظيفة".¹ وذلك في معرض حديث بورايو عن (النقص)؛ كما أن بورايو على الرغم من إدراكه للإطار التلغفي (دبشليم/بيدبا) أثناء تأويله الدلالي للحكايتين عزله عن السياق التحليلي واعتبره من خارجيات النص، في حين أنه "لا يمكننا أن نحدث انقطاعا في المتصل الخطابي لكليلة ودمنة، وننظر إلى الحكايات نظرة خارجة عن هذا المتصل المنظوري داخل الجهاز التلغفي الذي ترتب الحكايات إلى وجوده".²

واصل بن مالك صنيعة التطبيقية؛ إذ درس رواية (الصحن) لسميحة خريس مركزا تحليله على سيميائية العنوان، أو كما اصطلح عليه التجليات الدلالية للصحن من خلال قصة إلهام، مستفيدا من طروحات جوزيب بيزا كمبروبي Jose Besa Camprubi الذي أعطى العنوان وظائف أساسية متمثلة في: الوظيفة التعيينية، الوظيفة الميتالسانية، الوظيفة الإغرائية؛ بيد أن بن مالك اعتمد في تحليله للعنوان على الوظيفة الإغرائية؛ متمثلة في (الصحن) وما يحمله من قيم (الألفة، الغرام بمنير، الحياة الدفاء، الحنان، الإغراء)، ولتحقق (إلهام) الوصلة بمواضيع القيمة السابقة الذكر، اتبعت برنامجا سرديا، كان المرسل فيه والمحرك هو (برود وجفاء منير) ليتجاوز (الصحن) بذلك المستوى المعجمي ويلقي "بظلاله على مضامين لا يمكن أن نفهمها إلا من خلال السياقات النصية".³ وهذا ما دفع بن مالك لاعتبار (الصحن) عنصرا أساسيا مثله مثل الشخصيات المتصارعة من أجل البقاء وتحقيق الوجود الإنساني ممثل في شخصية (إلهام)، ومن هذا المنطلق ووفق هذا المسعى قام بن مالك في تحليله لتجليات العنوان الدلالية بمعاينة (الصحن) عبر كل المحطات التي ظهر فيها".⁴ أي أنه ركز على رهانات موضوع القيمة، فقد ظل ملفوظ (الصحن) ينتقل عبر المقاطع السردية، انتقالاتا متميزا، مستمدا تميزه من صعوبة العثور على (صحن) يجمع شتات إلهام، صحن يختلف عن باقي الصحون بما يمكنه أن يحمل من

1- رشيد بن مالك، من المعجمات إلى السيميائيات، ص 275-276.

2- المصدر نفسه، ص 277.

3- المصدر نفسه، ص 309.

4- المصدر نفسه، ص 309.

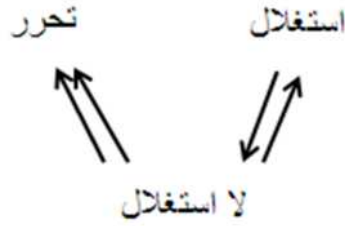
قيم بمقدورها "تحريك الإثارة وإغراء منير وتحريره من عالم الفن وبروده ليربطه بعالمها".¹ وهذا ما تحقق في الأخير إذ عثرت (إلهام) على صحن زجاجي عادي، رخيص الثمن وضع القدر، فهي "تريد أن يكون هذا الصحن بهذا الشكل ليس حقيقيا؛ أي ظاهره لا يعكس كينونته، وهو ظاهر يملك في جميع الحالات سلطة إغرائية تشتغل على الصعيد المرئي. في هذه اللحظة السردية تحتل الهام موقع الفاعل المحرك، فتعمل كل ما في وسعها لحمل منير على الانخراط في رؤيتها للحياة والاتحاق بعالمها".²

تحليل بن مالك المرتكز على رهانات موضوع القيمة ينم عن فهم من لدنه، بل وعبقريته في استنتاج (العنوان) واستخلاص تجلياته الدلالية؛ حيث كتب مؤولا وشارحا ذلك فيما يقارب العشرين صفحة (309 إلى 328 صفحة)، باعتماد الفقرات التحليلية المبسطة التي تخدم هدفه المعلن منذ البداية؛ تحقيق وصلة حقيقية مع القارئ دون مراوغة. وما سجلناه حول هذه الدراسة هو الغياب التام الاستعمال الرموز الرياضية، والمعادلات والرسوم، والجداول التي عودنا عليها الباحث في كثير من دراسته التطبيقية من قبيل تطبيقه على قصة (عائشة) لأحمد رضا حوحو التي قطعها إلى مقطوعتين، حللها بإسهاب متقصيا الدورة الدلالية القائمة على محورين دلاليين هما: الاستغلال (استغلال المرأة واضطهادها)، والتحرر (تحرر عائشة من وضع الاستغلال وخرقها لقانون العائلة الريفية والنظام القيمي التقليدي)؛ فقد نجحت (عائشة) في الانتقال من الثابت إلى المتحول، بنفي الاستغلال وتثبيت التحرر، وأوضح ذلك في شكل مخطط.³

1- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص315.

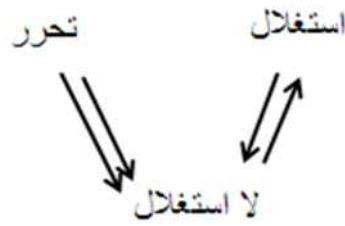
2- المصدر نفسه، ص316.

3- المصدر نفسه، ص351.



عكس الفاعل الجماعي (المجتمع) الذي يريد فرض نظام الثابت في سبيل تكريس

الاستغلال.¹



للعبة الأسهم وحركتها واتجاهها دورا مهما في تقصي الدلالة واستجلائها؛ فنفي

الاستغلال يعني التحرر والعكس نفي التحرر يقود إلى الاستغلال.

أما اعتماده للرموز الرياضية فنجدته متجسدا في تعبيره للحالات والتحويلات وفي مواطن عديدة، نذكر على سبيل المثال لا الحصر: وصلة الفاعل الجماعي بالشباب القادم من أوروبا، أحرز وضعية سردية جديدة، دخل فيها هذا الفاعل الجماعي في وصلة بالمعرفة الجديدة (الغرب)، صاغ بن مالك ذلك في شكل رموز ومعادلات رياضية جاءت

كالتالي:²

$$ف (ف_2) \leftarrow [ف_1 م U] \leftarrow [ف_1 م \cap]$$

$$[ف_2 م \cap U ف_1] \leftarrow [ف_2 م \cap م \cap ف_1]$$

1- رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، ص 351

2- المصدر نفسه، ص 341.

إن استعمال بن مالك للمخططات والرسوم، لم يكن من قبيل الحشد والحشو وإظهار الاقتدار، بقدر ما أعطى لتحليله المرونة والليونة، فكان ينتقل بسلاسة وحسن تمثيل بين مستويات النص (السردية والخطابية والدلالية العميقة). وهذا ناتج عن تلقيه للسيميائية السردية من مضانها الأصلية على يد كبار المنظرين (غريماس وكورتيس) وغيرهم، فافتتح بأن نموذجهم هو الأقدر والأكفأ على مساءلة النصوص وفهمها ومحاورتها وتفعيل مردوديتها، لما يمتلكه من دقة علمية وصرامة منهجية، فكان بذلك أساس مشروع النقدية وخياره المنهجي الوحيد. خيار جعل الكثير من الدارسين ينتقدون هذه الأحادية المنهجية، التي توقع لها محال في فخ الميكانيكية ومطب الآلية و"التقيد بتوجيهات النموذج التحليلي سيؤدي حتما إلى تحديد أوصاف متشابهة لنصوص بالغة التباين، وهذا ما تكشف عن الدراسات التطبيقية التي أنجزت استنادا إلى مقترحات السيميائية السردية"¹.

إن وفاء بن مالك للمنهج السيميائي السردية وإيمانه المطلق بكماله، جعله يعتقد جازما أن هذا النموذج بإمكانه الإجابة عن كل الأسئلة، وأنه البديل الأسمى لكل المقاربات؛ والحقيقة أنه "لا يمكن أن توجد نظرية تجيب عن كل الأسئلة"². ثم ذهب أن النظرية السيميائية السردية تجيب عن كل الأسئلة! هل تقبل كل النصوص السردية واستنطاقها وفق هذا النموذج؟ ماذا عن النصوص المعاصرة التي أنتجت الحضارة والتي هي في الواقع بالغة التعقيد، نصوص تختفي فيها الشخصيات وتشعب لتتحول إلى مجرد أرقام أو حروف أو حتى نقاط؟! نصوص تغيب فيها الحكمة لتتكلم فيها الفواصل وعلامات الاستفهام والتعجب؟! ويتحول الزمن إلى ومضات متقطعة متفرقة يصعب الإمام بها! هذا النوع من النصوص أكدته الكثير من النقاد من أمثال عبد المالك مرتاض الذي رأى "أن الذي يضعف من قيمة جهد غريماس هو أن البنية الروائية مترججة معاصرة على

1- سعيد بنكراد، إمكانات النص ومحدودية النموذج، مجلة بحوث السيميائية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع2، مح2، ديسمبر 2006، ص74.

2- سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، المغرب، دط، 2001، ص05.

التنظير العام، لعلة واحدة ولكنها وجيهة؛ وهي أن الكتابة الروائية الجديدة لا تعدو كونها شبعا مضطهدا (...) وإذا الحكمة غائبة، أو شاحبة (...). والزمن مجرد أحيان متقطعة لا يجمعها خيط؛ والحيز سحري أو عجائبي، أو مموه، أو مشوه".¹

صفوت المستخلص، هي أن بن مالك امتلك قدرة عالية في فهم النصوص ومحاورتها عبر آليات وإجراءات التحليل السيميائي السردية، ساعيا في منجزه النقدي الكشف عن تشكلات المعنى وتسرباته عبر الخطاب، معتمدا في تحليله اللغة الشارحة البسيطة، التي ووفق تصورنا لم تكن آلية ولا جبرية ولا قسرية ولا تكرارية كما رآها العديد من النقاد والدارسين؛ ولعل النصوص التي اخترناها كعينة عن ثمار بن مالك التطبيقية، تمثل بنظرنا النموذج الحي والدليل على إبداعية هذا الرجل في استنتاج النصوص على تنوعها (رواية، قصة، نصوص تراثية)؛ فتحليله لنص (النصيحة) من كتاب كليلة ودمنة يختلف عن طريقة تحليله لرواية (الصحن) لسميحة خريس، إذ حرص في (نص النصيحة) على مراعاة (الفعل اللفظي) كما جاء به كورتيس وحرص في تحليل رواية (الصحن) على رهانات موضوع القيمة؛ أي القيمة كموضوع سيميائي؛ مستجليا في ذلك دلالات العنوان بطريقة أول فيها الدلالات تأويل عارف فاهم، متحكم بناصية المنهج السيميائي السردية، الذي طوعه مع قصة (عائشة) لأحمد رضا حوحو، فجاءت قراءاته مختلفة ومتفردة.

1- عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم 240، ديسمبر 1998، ص214.

ثانيا- تثبيت مصطلحات رشيد بن مالك

اجتهدنا في ختام هذا المبحث أن نقوم بجمع المصطلحات السيميائية السردية، كما وردت وترجمت عند رشيد بن مالك من خلال مؤلفاته.

المصطلح باللغة الأجنبية	ترجمته
Acquisition	امتلاك
Actant	عامل
Acteur	ممثل
Actualisation	تعيين
Adjuvant	مساعد
Agresseur	معتدي
Analepses	مفارقة
Analyse	تحليل
Ancrage	تثبيت
Assertion	إثبات
Avant/après	قبل/بعد
Carré sémiotique	مربع سيميائي
Chaîne	سلسلة
Champ sémantique	حقل دلالي
Marque	علامة

تجلي	Manifestation
محاينة	Immanence
مهيمنة	Dominante
تنظير ، ايزوتوبيا	Isotopie
موتيف	Motif
سيمنتيم	Sémantème
سيم	Sème
سيميم	Sémème
سيمولوجيا	Sémiologie
تيمي	Thématique
طوبيقي	Topique
مدلول	Signifie
دال	Signifiant
دليل	Signie
استعمال	Usage
تلفظ	Énonciation
ملفوظ	Énoncé
سوسيو سيميائي	Socio sémiotique

شحنة دلالية	Charge sémantique
كفاءة	Compétence
مواجهة	Confrontation
وصلة	Conjonction
إيحاء	Connotation
مضمون	Contenu
سياق	Contexte
تناقض	Contradiction
تضاد	Contrariété
عقد	Contrat
تحويل	Transformation
كينونة	Être
علاقة	Relation
وظيفة	Fonction
ملفوظ وصلي	Énoncé conjonctif
ملفوظ فصلي	Énoncé disjonctif
انعكاسي	Réflexif
ليكسيم	Lexème

بنائي	Structurel
فاعل حالة	Sujet d'état
افتقار	Manque
فقدان	Privation
مقطوعة	Séquence
إضمار	Virtualisation
تحقيق	Réalisation
جدالي	Polémique
رسم سردي	Schéma narratif
تحريك	Manipulation
أداء	Performance
تقويم	Sanction
جهة	Modalité
مرسل مقوم	Destinateur/judicateur
مرسل محرك	Destinateur/manipulateur
تقويم تداولي	Sanction pragmatique
ظاهر	Paraître
تصديق	Véridiction

خلافي	Axiologique
تزمين	Temporalisation
تشكل	Configuration
سرد	Narration
سرديّة	Narrativité
مهمة	Épreuve
تأهيلية	Qualifiante
تمجيدية	Glorifiante
حاسمة	Décisive
موضوع قيمة	Objet de valeur
دور عاملي	Rôle actantiel

الفصل الثالث

سعيد بن كراد بين

سبياء المحايثة وسبياء

الافتتاح

أولاً- السيمياء السردية- سيمياء المحايثة

قدم سعيد بنكراد أبحاث غريماس وكورتيس وفيليب هامون، فيما يتعلق بالسيمياء السردية، ليسهم بذلك في إثراء الساحة العربية عموماً والمغربية خصوصاً بمفاهيمها ومصطلحاتها وكذا آلياتها الإجرائية التي رأى أنها تقوم على ركيزة المعنى وطرق إنتاجه وأنماط وجوده وانتشاره، ولإدراك "فحوى هذا التصور كان من الضروري الاستعانة بمجموعة من التصورات الفلسفية الخاصة بالإدراك وإنتاج القيم وتداولها"¹. مما يعني أن بنكراد قد أدرك أن الحديث عن أي نظرية يتطلب معرفة بالخلفية الاستمولوجية والأسس التي انبنت عليها، ثم النظر إلى مدى مردوديتها التحليلية، وهذا ما تبناه في جميع مؤلفاته، سواء أكان معرفاً بالنظرية السيميائية (أسسها، نشأتها، روادها...) أم مطبقاً آلياتها الإجرائية على النصوص.

موضوع السيمياء عند بنكراد غير محدد؛ فهي تطال كل مظاهر السلوك الإنساني، لذا من الصعب حصرها في مجال معين على اعتبار "أنها تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني، إنها أداة لقراءة كل مظاهر السلوك الإنساني، بدءاً من الانفعالات البسيطة مروراً بالطقوس الاجتماعية وانتهاءً بالأنساق الإيديولوجية الكبرى"²؛ فكل ما ينتمي إلى التجربة الإنسانية هو موضوع السيمياء بالإضافة إلى المعنى وأشكال وجوده، شريطة أن تكون هذه الموضوعات جزءاً من السيرورة الدلالية³ لتصبح السيمياء بذلك هي الطريقة المثلى والأداة الأفضل لدراسة التمفصلات الممكنة للمعنى؛ والكشف عن حالات تمنعه، فهي نظرية خاصة بالمعنى لا تكتفي بمجرد الوقوف عند تحديد مكونات الواقعة المدروسة ورصد تنويعاتها الممكنة؛ بل تقود في كل عملية تحليل إلى إنتاج المعرفة.

1- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 06.

2- سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص 16.

3- ينظر المصدر نفسه، ص 18.

درس بنكراد النصوص السردية وفق المنهج السيميائي السردية وطعمه وفعله بالأبعاد الأيديولوجية والسياق والثقافة، ليمتد تصوره إلى آفاق أوسع وأرحب من سيطرة النموذج الأوحد وسيطرته إلى تعددية احتوت الخفايا الأيديولوجية والثقافية المتوارية بين سطور النصوص السردية، خاصة في مدوناته (النص السردية نحو سيميائيات الأيديولوجيا) الصادر عام 1996 و(سيميوولوجية الشخصيات السردية) الصادر عام 2003 وكذا (السرد الروائي وتجربه المعنى) الصادر عام 2008، فقد سعى في المؤلف الأول الإجابة عن المشاكل الخاصة بسيرورات التدليل وفقا لما تجليه آليات النص السردية عبر الأيديولوجيا والسرد وعالم الممكنات، "إنها أبعاد مكونة لماهية النص ومكونة لأسس تلقيه وتأويله وسبل التفاعل معه".¹ آليات من شأنها الكشف عن المعنى المصاحب أو المعنى الخفي، أثار بذلك جدلية (المعنى/الأيديولوجية)؛ كيف يأتي المعنى إلى النصوص انطلاقا من الوضع الأيديولوجي؟ وكيف تأتي الأيديولوجية إلى المعنى؟ محاولة منه رصد البؤر التي يأتي عبرها وفيها المعنى إلى الأشياء ويستحوذ على السلوك. ويندرج هذا الجهد ضمن مسعى بنكراد ومحاولته لقراءة سيميائية السرد، بإسهابه في الشرح والتفصيل حول آليات إنتاج النص السردية، المتمثلة في: الأيديولوجيا، السرد، عالم الممكنات، وحتى نتمكن من الإلمام بالأطر النظرية السيميائية السردية عند سعيد بنكراد ارتأينا أن نجملها في امرين:

1- النص السردية في علاقته بالبعد الأيديولوجي.

2- النص السردية في علاقته بالبعد الثقافي (الشخصيات أنموذجا).

1- النص السردية في علاقته بالبعد الأيديولوجي

إن محاولة تحديد نمط وجود الأيديولوجيا ونمط اشتغالها داخل النصوص السردية، يمر عبر تحديد مفهوم (السنن Code)؛ ذلك أن عملية التسنين في حد ذاتها تتم من خلال

1- سعيد بنكراد، النص السردية، نحو سيميائيات الأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، ط1، 1996، ص05.

ما يفرزه السلوك اليومي من أشكال للوجود تتجاوز في نمط وجودها النسخ المتحققة، فالسنن هو "تمودج سلوكي مجرد يحتوي في داخله على سلسلة لا متناهية من الأشكال، وبعبارة أخرى انه الخزان الذي يغني السلوك الفردي الخاص والملموس، ويمنحه مصداقيته من خلال قياس درجة مطابقته مع نموذج الأصل"¹؛ والتسنين هو عملية تكثيف للسلوكيات والممارسات الإنسانية التي ستتحول بفعل التكرار إلى عادات ستكون معياراً عرفياً لا يمكن تجاوزه، لذلك أكد بنكراد على أهمية التسنين كمحدد لاستقراء السلوك الإنساني مقارنة بسلوك الشخصية السردية بمجمل مكوناتها، ليصل إلى أن السنن هو أحد أهم المحددات داخل النص السردية؛ فسلوك الشخصيات السردية لا يخرج عن سلوك الشخصيات الواقعية، ومعرفة (التسنين) تتطلب ثقافة موسوعية لدى المتلقي الذي سيؤول النص، وكذلك المبدع الذي يعيد "إنتاج التجربة الواقعية عبر العلامات الأيقونية"².

حدد بنكراد نمطين من التسنين:³

* **التسنين الأيديولوجي:** الذي يبدو من خلال إنتاج النص؛ أي ككون من مكونات النص لتظهر الأيديولوجيا هنا باعتبارها سلسلة من السلوكيات البسيطة التي تتميز ببيديتها، والهدف من هذا المنظور سيكون الوصول إلى تحديد نمط تفصل الجهاز المفهومي في جزئيات السلوكيات التي يصفها النص؛ أي الدراسة تركز على تحديد كيفية إنتاج سلوك معين للإيديولوجيا.

* **التسنين السردية:** المقصود به مجموعه القواعد العامة التي تحدد الأساس الفعلي لإنتاج نص سردي ما، سواء من المستوى الملفوظي (niveau énoncif) أو المستوى التلفظي (niveau énonciatif)، والملفوظ لا يستنفذ كامل إمكانياته الدلالية إلا من خلال

1- سعيد بنكراد، النص السردية، نحو سيميائيات الأيديولوجيا، ص14.

2- المصدر نفسه، ص16.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص23.

الأثار التي تتركها الذات المتلفظة لحظة إنتاجها لهذا الملفوظ،¹ هذه الفكرة على ما فيها من جدة "لا يمكن تسجيل أصالتها لبكراد، بل نجدها تعود إلى النحول الذي قاده جوزيف كورتيس في الفهم السيميائي".²

أثار الباحث ثنائيه (المجرد والمحسوس) من خلال حديثه عن السردية بين (الأكسولوجيا) و (الأيديولوجيا) والذي رأى أنهما ينتميان إلى كوني واحد؛ أي إلى النفق الدلالي الشامل كتعبير عن شمولية ما تنتجه الحياة، حيث تكون القيم في حاله الأكسولوجيا عامة ومحددة، بينما تصبح محسوسة ومشخصة في الحالة الثانية (الأيديولوجيا)، بمعنى أن هناك مستويين في وجود القيم: مستوى استبدالي ومستوى توزيعي.³

هذا الوجود القبلي للقيم (المجردات) والوجود البعدي (المحسوسات)، وحديث بنكراد عن المستوى الاستبدالي والتوزيعي، هو في الحقيقة تطابق بما أسماه غريماس (البنية السطحية) و (البنية العميقة)، فإذا كان "مفهوم الأكسولوجيا (وجودا قبليا للقيم)، فإنه يقابل البنية العميقة المجردة المتمثلة في خطاطة المربع السيميائي، ويمثلها المستوى الاستبدالي، في حين تقابل الأيديولوجيا بصفاتها وجودا بعديا لنفس القيم، البنية السطحية التي تمثل نظرية العامل".⁴

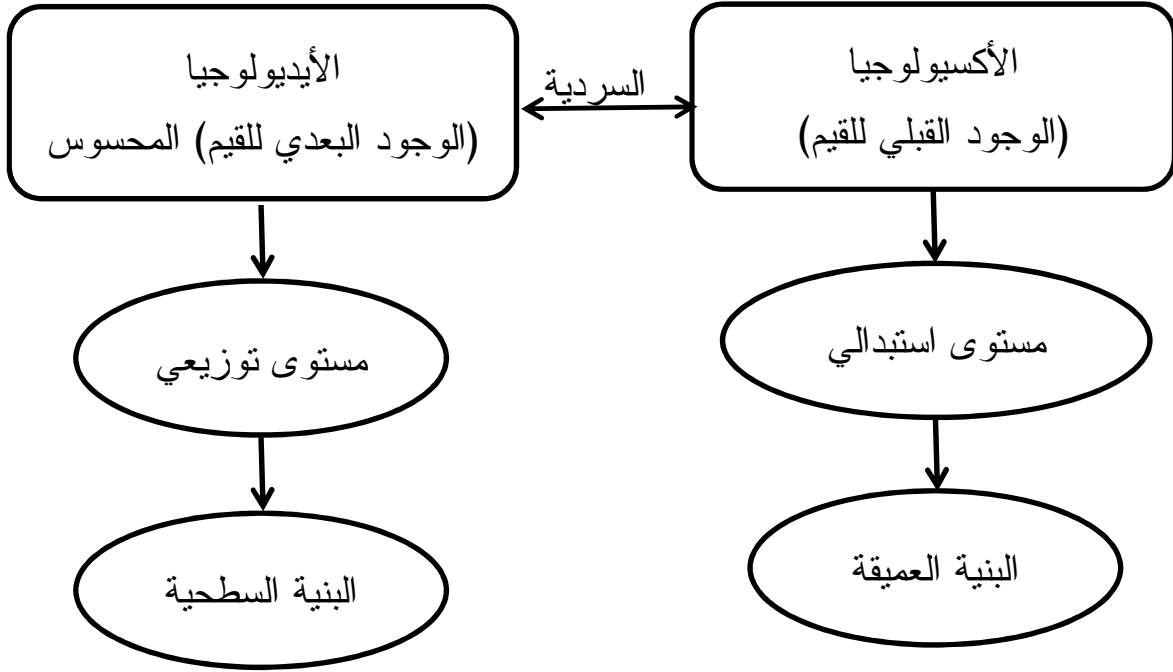
نلخص ما سبق في شكل مخطط.

1- ينظر: سعيد بنكراد، النص السردي، نحو سيميائيات الأيديولوجيا، ص25.

2- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، دار الأمان، الرباط، ط1، 2013، ص172.

3- ينظر: سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات الأيديولوجيا، ص36.

4- محمد فليح، مرجع سابق، ص173.



المصدر: من إعداد الطالبة

ليربط في الأخير الباحث بين نمطي التسنين (التسنين الأيدولوجي والسردية) باعتبارهما المصفاة التي يعاد عبرها إنتاج وتداول المضامين الأيدولوجية،¹ فالأدوات المعتمدة في تمثيل المادة القصصية تمثل المسلك الأول الذي تتسلل عن طريقه الرؤى الأيدولوجية، وهنا نتساءل: هل أدوات التمثيل هي الناقل الوحيد للرؤى الأيدولوجية؟ ماذا عن المضامين؟! لأن "المضامين هي الناقل الأول للأيدولوجية (...)" وهذه الأدوات جزء من المضمون".²

صفوة القول أن بنكراد جعل الإرغامات الأيدولوجية سابقة عن التجلي النصي، فهناك غاية ترسمها الأيدولوجيا وتقود النص للوصول إلى تمثيل حقيقي لتلك الغائية، ويصل بنكراد إلى أن الشخصيات تنتمي إلى النص انطلاقا من انتمائها الأيدولوجي من خلال سلوكيات معينة تعبر عن أيدولوجية ما.³

1- ينظر: سعيد بنكراد، النص السردية نحو سيميائيات الأيدولوجيا، ص43.

2- محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي، مرجع سابق، ص176.

3- سعيد بنكراد، النص السردية نحو سيميائيات الأيدولوجيا، ص94-98.

انطلاقاً من هذه الأفكار، وضمن مسعى البرهنة عليها، قدم الباحث في مؤلفه:
(شخصيات النص السردي - البناء الثقافي)، دراستين:

الدراسة الأولى: كانت في رواية (الضوء الهارب) لمحمد برادة، حيث درس إمكانات التحليل التي يحتضنها المكون السردي، فإذا "كان البناء تنفيذاً كلياً لمسار توليدي، فإن التحليل سيكون رحلة عكسية تعود بنا إلى الإمساك بالحالات التصويرية، مروراً بتكثيف مجمل الأفعال في دوائر تحدثنا عن فعل تركيب يدرج ضمن عمليات هي في الأصل الوجه الآخر لعلاقات أولية غير موجهة، لنصل في نهاية التحليل سالمين غانمين إلى المستوى البدئي؛ أي الإمساك بالمعنى الكلي والنهائي للمعنى"¹. يعني هو تحليل للبنى السردية بتجلياتها السطحية وانعكاساتها الدلالية، تحليلاً طموحاً لا يقف عند حدود النموذج وما يفرضه من خطاطات وبرامج سرديه، وإطلاق العنان أمام حركيه التدليل اللامتناهية، هذا ما فعله بنكراد في رواية محمد برادة، حيث قام باستخراج القواعد السردية التي تحكمت في بناء المشهد الجنسي، باعتباره الركيزة الأساسية التي يقوم عليها الفعل السردي، وحاول الكشف عن الواقع الأيديولوجي، من خلال تسريد الجسد عبر ثنائية الذكر والأنثى "الجسد كما يتم وصفه، وكما يتم سرده وكما تصوغه اللغة (...)"²، إذا، اشتغل بنكراد في البحث عن مظاهر التدليل والواقع الأيديولوجي، وفي الجزئيات بحث عن موقع المذكر والمؤنث.

أما قراءته الثانية لرواية (الشراع والعاصفة) لحنامينا، فقد وقف فيها عند حدود ضبط آليات اشتغال النص عبر المتناس الأيديولوجي، وضبط آليات المتناس الأيديولوجي عبر مكونات النص، وهو في الحقيقة جهد يثمن ويستحق الإشادة به، لأنه لا يتأتى إلا لمن امتلك ثقافة ومعرفة واسعين حتى يستطيع الإلمام والإمساك بتفرعات وتشعبات التحليل السيميائي الذي جمع فيه بنكراد بين السيمياء والسرد والأيديولوجيا.

1- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012، ص320.

2- سعيد بنكراد، النص السردي نحو سيميائيات الأيديولوجيا، ص140.

2- النص السردي في علاقته بالبعد الثقافي (الشخصيات)

أولى سعيد بنكراد اهتماما بالغا بالشخصية، وتعامل معها "باعتبارها الأساس الذي يبنى عليه الفعل السردي"¹، واجتهد في إخراجها من دائرة التفكير التقليدية التي لطالما اعتبرتها كائنات من ورق لا تتحدد إلا داخل عالم مخيالي لا تربطه بالعالم الخارجي أي صلة؛ رام الباحث إثبات أن الشخصية تتجاوز هذه الدائرة الضيقة إلى دائرة أوسع وأشمل على اعتبار "أنها بناء ثقافي، وإدراكها ونمط اشتغالها، كل ذلك لا يمكن أن يفهم إلا من خلال النص الثقافي العام باعتباره العنصر المولد لكل النصوص الخاصة"²، ومن أجل ذلك قدم بنكراد مجموعه من النماذج النظرية التي أولت اهتماما كبيرا للشخصية، وجعلتها المكون السردي المهم، فوقف عند جملة من النظريات والتصورات نوردها كالآتي:

* التصور البروبي لوظيفة الشخصية في النص الحكائي؛ حيث اعتمد بروب -حسب بنكراد- على المستوى المحسوس في دراسة الحكاية، وكان الأصل أن يعتمد المستوى التجريدي، فالإجراء التحليلي الذي يعتمد على التجريد لا بد أن يعود إلى الشكل المشخص للنص المدروس، فكل نص يحمل هوية خاصة، وإن كان ينتمي لخطاطة واحدة هي خطاطة الأم.³ وقد اعتبر بنكراد أن ما جاء به فلاديمير بروب هو في الأصل نظرية في الحكاية الخرافية؛ لأن المتن الذي اعتمد هو الحكاية الشعبية الروسية، ومن بين المآخذ التي سجلها الباحث أيضا ما أسماه النموذج العام الذي عرضه بروب عن طريق الوظيفة وعلاقته بالطابع المتغير للشخصيات، فقد رأى بنكراد إنما يمنح الحكاية خصوصيتها ودلالاتها يكمن في المتغير (الشخصيات).⁴

1- سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي -البناء الثقافي، سلسلة أبحاث ودراسات، ع1، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1994، ص14.

2- المصدر نفسه، ص07.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص24-25.

4- ينظر: سعيد بنكراد، شخصيات النص السردي -البناء الثقافي، ص26.

* تصور يوري لوتمان للشخصية وعلاقتها بالحدث، وكيفيه تسريد النص الإبداعي وتحويله من بناء مجرد إلى وجود محسوس، من خلال الأحداث والشخصيات، شرح بنكراد هذه المفاهيم، وكان شارحا بامتياز غير أنه أحيانا يخلط بين المفاهيم، فمثلا حين يقول: "يمكن... تصور نوعين من الشخصيات: شخصيات متحركة وشخصيات ثابتة، الأولى تؤكد العالم الذي تحتويه النصوص الفاقدة للمبنى كما تؤكد ثبات حدوده، والثانية تخترق هذه الحدود، وبعبارة أخرى تقوم بتفجير العنصر الساكن في عناصر مرئية، ومن مميزات الشخصيات الأولى أنها خاضعة لبنية النوع الأساسي الفاقد للمبنى، إنها تنتمي إلى التصنيف ومن خلال حضورها تؤكد هذا التصنيف ويحظر عليها اجتياز الحدود، في حين تبدو الشخصيات الثانية من خلال ديناميتها اختراقا للمحذور وتفجيراً للبنية الساكنة، ونقيض للشخصيات الثابتة، فهي شخصيات تمتلك الحق في اجتياز الحدود".¹ في الحقيقة نجد بنكراد عكس المفاهيم؛ فالشخصية المتحركة هي الشخصية الدينامية، المتغيرة، تتغير بالأحداث وتتفاعل معها وتتغير تبعا لذلك، بينما الشخصيات الثابتة مكتملة ساكنة غير متغيرة، لا تتفاعل مع أي تغير، إذا فالشخصية المتحركة هي من تخترق الحدود وتقوم بتفجير العنصر الساكن وليس الأولى كما رأى بنكراد.

* تصور غريماس: طرح بنكراد أفكار غريماس بأسلوبه الخاص، مركزة على المسار التوليدي التي تخضع له تلك النظرية عن طريق الوقوف عند مستويات التحليل السيميائي، والمتمثلة في المستوى السطحي والمستوى العميق، وفصل الباحث أثناء حديثه عن مستويات ارتأينا تلخيصها حتى يسهل استيعابها في شكل جدول.²

مكون دلالي	مكون تركيب		
الدلالة الأصولية	التركيب الأصولي	المستوى العميق	البنيات السيميائية السردية

1- المصدر نفسه، ص42.

2- ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط2، ص41.

الدلالة السردية	التركيب السردى السطحي	المستوى السطحي	
	الدلالة الخطابية * الثيمات * التصوير	التركيب الخطابي * الممثلون * الفضاء * الزمان	البنىات الخطابية

رام الباحث تحديد تخوم نظرية غريماس ورسم هيكلها العام، وكذا تحديد الأسس المعرفية التي قامت عليها الروايات التي ساهمت في بلورة هذه النظرية وإثرائها، وكان الهدف "إعطاء نظرة شاملة وواقية عن هذه النظرية وتقديمها إلى القراء من خلال شرح العناصر التي تكونها، وربطها بمنطلقاتها الأولى، وإسقاطها على النصوص الحديثة: الرواية، القصة القصيرة... وكان الهدف من هذا الإجراء إبراز قدرة أو عدم قدرة هذه النظرية على استيعاب المعطيات النصية الحديثة بكل تعقيداتها وأساليبها السردية الجديدة".¹

إن الإلمام بالنظرية وتشعباتها وتفرعاتها هو في الحقيقة ليس بالأمر الهين، بل يحتاج إلى فهم دقيق، ونظرة تفحصية عميقة وهذا ما تميز به بنكراد، غير أن ما نعتبره من المآخذ هو الطريقة التي طرح بها الأفكار، فكأنه كان ناقلا لا ناقدا، وشارحا لا محلا ومفسرا، حتى يكاد القارئ غير المختص يشعر أن الأفكار والتصورات المطروحة هي لسعيد بنكراد وليست لأصحابها، ما جعله يلعب دور الناقل السلبي.

هذا لا ينفي اجتهاده في بعض القضايا المتعلقة بالشخصية داخل النص السردى، حيث أقر أن تناول الشخصية لا يمكن فصله عن تناول السردية فقال: "... فسواء تحدثنا عن البنية الدلالية كما الشأن عند لوتمان، أو تحدثنا عن البنية الدلالية الأولية كما

1- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 91.

يتصورها غريماس، أو تحدثنا عن البنية أو الأشكال الأصلية في علاقتها بالأشكال المشتقة عند بروب، فإننا سنظل مطوقين بسياج نظري واحد".¹

أعطى بنكراد وجها تطبيقيا لما تم عرضه نظريا، فالنصوص وحدها هي الكفيلة بالكشف عن مردوديه أو محدودية النظرية، وبناء عليه درس الشخصيات في رواية (الشراع والعاصفة) لحنامينا، وقد ركز في دراسته على العناصر الآتية:²

* تحديد الخطاب الميتاسردي المؤدي إلى الانتشار السردي العام، وداخل هذا الخطاب حدد مقاييس التمييز التي تقود إلى التفكير في الشخصية الرئيسية.

* تحديد بنية الممثلين.

* تحديد البنية العاملة.

ركوحا إلى ما سلف، ومن خلال استقرائنا هذا المنجز النقدي للباحث بنكراد في مجال السيمياء السردية، يفضي بنا إلى تسجيل جملة من النقاط أهمها:

* تحرر بنكراد من سطوه النموذج الأوحى إلى تعددية احتوت الخفايا الأيديولوجية والثقافية المتوارية بين سطور النصوص السردية، لذلك جعل الإرغامات الأيديولوجية سابقة عن التجلي النصي.

* الشخصيات تنتمي إلى النص انطلاقا من انتمائها الأيديولوجي، فنقوم بسلوكات معينه تعبر عن أيديولوجية ما.

* كل نمط من الشخصيات يسلك طريقة خاصه في الدخول إلى مسرح الأحداث، وكل نمط يشير إلى أساليب خاصه تستعملها الشخصية للتسرب إلى الحكمة.

1- سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص99.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص126، 199-200.

* ركز بنكراد على جهد فلاديمير بروب منوها بأهميته وقيمته، وذلك بتركيزه على عناصر النص في تماسكها وترابطها ودخولها في علاقات مع بعضها البعض، ولعل ما شد وقوى عضد الإرث الشكلائي (بروب خصوصا) ظهور اللسانيات بمنهجها وأدواتها وتجلياتها التي أعادت الأدب إلى أرضه - اللغة.

* تناول الشخصية لا يمكن فصله عن تناول السردية.

* قسم بنكراد الدراسات الخاصة بالسرديات إلى اتجاهين:¹

- الأول يتعلق بالإجراء التلغفي، ويتلخص هذا الإجراء في الفعل السردية، أي تلك العملية التي تأخذ على عاتقها تمثيل مجموعة من الأحداث انطلاقا من وجود محفل منظم وضابط للحركة السردية.

- والثاني يتعلق بالملفوظ؛ أي دراسة الحكي باعتباره قصة أو مجموعة من الأحداث المترابطة في ما بينها مثل أعمال بيرموند (Beremond) الذي حاول إرساء قواعد للحكي، وكذا أعمال غريماس الذي ركز على عملية إنتاج المعنى انطلاقا من مجموعة الأحداث المرتبطة فيما بينها.

* استفاد سعيد بنكراد من آليات النموذج التحليلي الغريماسي، غير أنه لم يتعصب له مثل ما فعل رشيد بن مالك، بل تعامل مع المنهج باتزان، فقد استهل كتابه (السيمائية السردية - مدخل نظري) بقوله: "نقدم للقارئ بالعربية هذه المدرسة في خطوطها العامة والرئيسية، وبطبيعة الحال لم نحاول أن نجعل من هذه النظرية كيانا يعلو على كل النظريات، ولم نقدمها على أساس أنها البديل الأسمى لكل المقاربات، فلا وجود لنظريه من هذا النوع، ولا يمكن أن توجد نظرية تجيب عن كل الأسئلة".²

1- ينظر: سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، ص 27-28.

2- المصدر نفسه، ص 05.

* إذا ما قارنا الممارسة النقدية عند رشيد بن مالك بالممارسة النقدية عند سعيد بنكراد، فإننا نكتشف دون عناء جنوح بنكراد إلى التركيب المنهجي كقناعة معرفية، خلافا للناقد بن مالك الذي اتخذ من المنهج الأوحده خيارا لم يحد عنه ولم يرض بغيره بديلا.

نصل في الختام إلى نتيجة مفادها: لو اردنا مقارنة المصطلحات التي اعتمدها رشيد بن مالك بالمصطلحات التي اعتمدها بنكراد، سنجد شبه تطابق واتفاق بينهما، مع وجود اختلاف طفيف في بعض المصطلحات ولنا أن نمثل بـ:

المصطلح	ترجمته	اتفاق	اختلاف
Actant	عامل	+	
Acteur	ممثل	+	
Actualisé	محيية	+	
Adjuvant	مساعد	+	
Agresseur Opposant	معتدي (بن مالك) معيق (بنكراد)		+
Conjonction	اتصال	+	
Disjonction	انفصال	+	
Destinataire	مرسل	+	
Destinateur	مرسل إليه	+	
Devoir faire	وجوب الفعل	+	
Domination	هيمنة	+	
Conjonction, Embrayage	وصل		+ اختلاف في اعتماد المصطلح
Epreuve	مهمة (بن مالك)		+ اختلاف في اعتماد المصطلح

		تجربة (بنكراد)	
+ اختلاف طفيف		مقطوعة (بن مالك) مقطع (بنكراد)	Séquence
+ اختلاف في الترجمة		جدالي (بن مالك) سجالي (بنكراد)	Polémique
+ اختلاف في التعريب		طوبيقي (بن مالك) طوباوي (بنكراد)	Topique
+ بن مالك عرب وبنكراد ترجم		إيزوتوبيا (بن مالك) تناظر (بنكراد)	Isotopie
+ اختلاف في الترجمة		جهة (بن مالك) صيغ (بنكراد)	Modalité
+ اختلاف طفيف		ثيمي (بن مالك) ثيمي (بنكراد)	Thématique
+ اختلاف في الترجمة		رسم (بن مالك) خطاطة (بنكراد)	Schéma
+ اختلاف في اعتماد المصطلح		العلامة (بن مالك) سمة (بنكراد)	Marque, Étiquette

ثانيا- مقولات بنكراد حول سيمياء التأويل

سيمياء الانفتاح (التأويل)

كسر بنكراد قيود الفكر المحايث الذي طغى على معالم السيميائية المحايثة -السيمياء السردية- وسعى جاهدا إلى تفعيل مقترحات سيميائية تأويلية، بانبا مشروع النقدى على نظام الانفتاح لا المحايثة، متبعا ومقتفيا بذلك آثار بيرس وريكو وإيكو، وغيرهم من مشايخي اتجاه التأويلية التي تهتم بعملية التركيب والدلالة والتداول، أو ما يطلق عليه (السيميويزيس)؛ سيرورة التداويل ومهمته البحث عن المعنى المختفي، المستتر والمحتمل، وفي هذه "الحالة فإن التأويل هو الذي يتكفل بإعادة تنظيم العناصر وفق منطلقات دلالية خاصة"؛ أي هو الذي يعنى ببناء قصدية النص وفق مقتضيات السياقات التي تقتضي القراءات المتنوعة، والمقصود بالسياقات هي "سياق المؤلف وسياق النظام القيمي الذي يهتدى به، وخارج هذا السياق سيظل النص موصدا في وجه المؤول".¹

عمل بنكراد على إدماج تشكل المعنى ضمن النسق الثقافي، ما يجعله أكثر انفتاحا، وقد علل سبب هذا الإدماج في النقاط الآتية:²

* أن التعرف على المعنى جزء من سيرورة تكونه؛ فلا وجود لمعنى واحد، فالمعاني ليست كيانات منفصلة بعضها عن بعض.

* المعنى واقعة ثقافية، يحتاج إلى تعبئة كل المعارف التي يشير إليها النص وينبني عليها.

* المعنى كيان مرتبط بالنسق المولد له فما مولد له؛ فما يحيل على هذا المعنى ضمن هذا السياق، لا يمكن أن يقود إليه ضمن سياق آخر.

1- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائية، ص94.

2- سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والتطور، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، مجلد 35، يناير-مارس 2007، ص27.

* المعنى هو نتاج ربط علائقي، فارتباط الوحدات والعناصر النصية هي من يولد وينتج المعنى.

هذه الأسباب مجتمعة تعني أنه لا يمكن في أي حال من الأحوال إغفال ما يسمى بالغطاء الثقافي للنصوص؛ لأنه سبيل المحلل الوحيد للوصول إلى المعنى النهائي.

ثانيا- مقولات بنكراد حول مشروع سيمياء التأويل (الانفتاح)

(سيمياء الأنساق الثقافية/سيمياء الأنساق البصرية)

استعان سعيد بنكراد في مشروعه السيميائي بعنصر التأويل، كخط فاصل بين ما انتهت عنده سيمياء غريماس التي تركز على البنية الداخلية وممكناتها النصية، وبين الآفاق التي فتحتها سيمياء التأويل التي تركز على التجربة الإنسانية في كليتها؛ فالنص "لا يستقيم إلا إذا كان خزاناً للمعاني بعضها من النص وبعضها الآخر هو حصيلة ما تأتي به الذات التي تقرأ وتؤول"¹ وهو رد صريح ومباشر على مدرسة باريس السيميائية التي تؤمن بأن "النص مكتف بذاته، وينتج معانيه استناداً فقط إلى طاقته الذاتية"². وبالتالي يتقلص المعنى ويختزل عند حدود ما تقترحه الآليات والإجراءات، وكأن الأمر شبيه بالإيمان اللاهوتي الذي يضع المعرفة المحايثة في ذات عليا هي النقطة التي تضمحل وتتفكك عندها كل المتناقضات"³. ومن ثم يغدو مطلب الوصول إلى النقطة النهائية للنص مطلباً ضرورياً، تحققه القراءة الأحادية، على خلاف القراءة المتعددة التي تفجر النص ومساراته الدلالية المحتملة، باعتباره "يكتنز إichاءات ضمنية واستعارية، قادرة على تحديد الآليات الأساسية لسيرورات التأويل التي تثيرها القراءات المتعددة"⁴. ليصبح النص خزاناً

1- سعيد بنكراد، التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التلال، مجلة بحوث سيميائية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ومركز البحث العلمي والتلقي لتطوير اللغة العربية، العدد السابع والثامن، 2010-2011، ص23.

2- سعيد بنكراد سيرورات التأويل، مصدر سابق، ص321.

3- سعيد بنكراد، التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التلال، ص30.

4- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، مصدر سابق، ص318.

للقيم الثقافية وللمعاني، حيث "تلعب فيها ثقافة المحلل الدور الرئيسي؛ فالوصول إلى معنى ما لا تحدده الخطاظة التحليلية بل تقود إليه طبيعة السؤال الذي يطرحه القارئ على النص"¹؛ والقراءة المقصودة هي تلك التي لا تبحث عن كم معنوي مرصود، بل "تسقط سيرورات تأويلية هي نتاج فرضية للقراءة؛ أي الثيمات الممكن الحصول عليها استنادا إلى سؤال يطرحه المحلل"². وهذا يتطلب خصوبة الوعي لديه حتى يتمكن من إعادة تنظيم وحدات النص، استنادا إلى عمل اللغة أولا ومحيطات النص والمؤلف على حد سواء.

عنصر التأويل هو من يعطي الديناميكية والحركية للآليات الإجرائية التي تستتق النصوص والرموز والأنساق الثقافية والبصرية، ووفق هذا المنطلق، وضمن هذا المسعى اجتهد بنكراد بجدية، أعطت ثمارا تطبيقية، تبرهن على ما تبناه من تصورات وما قدمه من طروحات، فجاءت بحوثه التطبيقية ثرية متنوعة طالت بالتقريب جميع المجالات من قبيل (الإرساليات الإشهارية، الصور الفوتوغرافية، الرموز السياسية، الخطابات الدينية والرياضية، استراتيجيات التواصل بكل أنواعها، الحركات والإيماءات، الجسد، العطور الطقوس... الخ)، وهو في الحقيقة تنوع صعب علينا مأمورية الحديث عن الجهاز المفاهيمي للباحث، والإلمام ببحوثه التطبيقية، غير أننا اجتهدنا في الاقتراب أكبر قدر ممكن من هذه المفاهيم والمصطلحات والإجراءات المتعلقة بالتأويل؛ من خلال تركيزنا في جعل منجز بنكراد النقدي في قسمين: قسم يعنى بالأنساق البصرية المتمثلة في:

* تطبيقاته حول الصورة الإشهارية.

* الرموز السياسية كهوية بصرية.

* الصور الفوتوغرافية (بحثه المتميز حول ألبوم داود أولاد السيد).

وقسم يعنى بالأنساق الثقافية، والذي فضلنا أن نتحدث فيه عن:

1- سعيد بنكراد، التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التدلال، ص42.

2- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل، مصدر سابق، ص349.

* تحليله وتأويله لسر نجاح استراتيجية التواصل في الخطاب الديني، عمرو خالد أنموذجاً.

* استراتيجية التواصل الفعالة في اللعبة الأكثر شعبية وجماهيرية (كرة القدم) الاستراتيجية الحربية والاستيهام الجنسي.

أ- سيمياء الأساق البصرية

1- الصورة

شغلت الصورة حيزاً واسعاً من دراسات السيميائيين الذين أولوها عناية وأهمية خاصة، كونها وسيلة تعبيرية إبلاغية توصيلية مباشرة ومقنعة، ولها كل الفعالية في إيصال الأفكار والتأثير على النفس.

يعد بنكراد من بين أهم السيميائيين الذين نظروا وطبقوا في هذا الميدان الخصب، حيث تحدث عن الصورة والسنن الإدراكي وتوصل إلى أنّ تحديد طبيعة " الصورة " تتلخص في معرفة الطريقة التي تأتي من خلالها إلى العين وتستوطنها باعتبارها " نظيراً " للشيء الذي تقوم بتمثيله؛ فدلالة الصورة أمر يأتي من الصورة ذاتها دونما استعانة بمعرفة سابقة يمكن أن يوفرها التسنين الثقافي؛¹ والوقائع البصرية في تنوعها وغناها تشكل لغة مسننة أودعها الاستعمال الإنساني قيم الدلالة والتواصل والتمثيل.

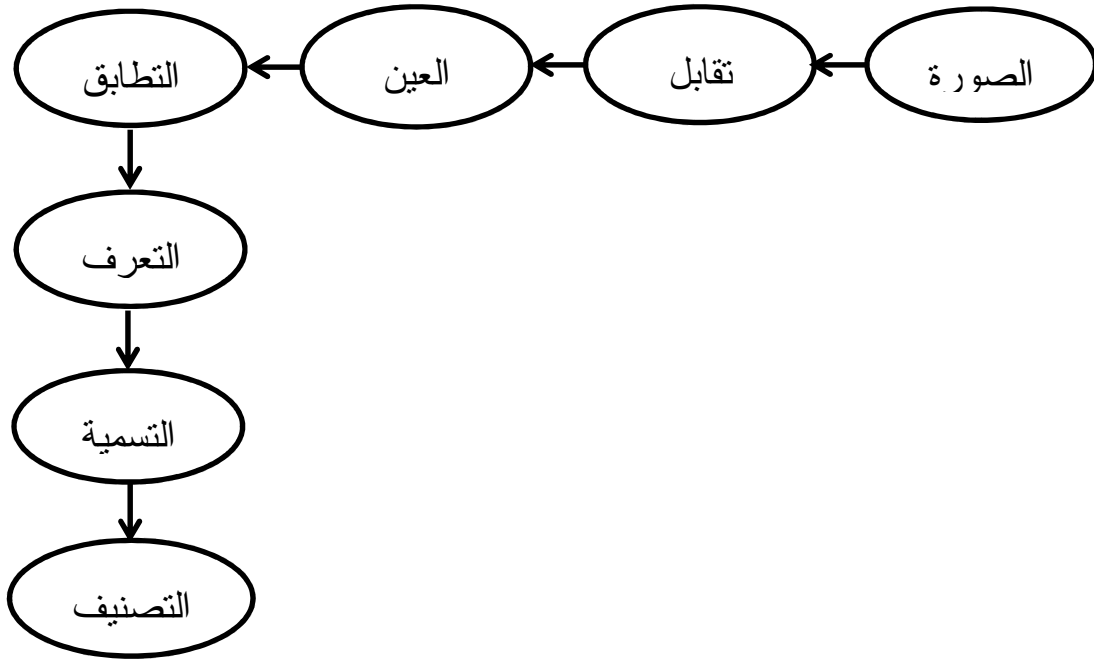
رأى الباحث أنّ عملية الانتقال من الدالّ الأيقوني إلى ما يحيل عليه يتم انطلاقاً من عملية تسنيئية قائمة على خلق بنية مكونة من عناصر هي حصيلة لقاء تجربتين: تجربة واقعية ثم اختصارها في عناصرها الأولية المميزة. وعلامة أيقونية تعيد بناء هذه العناصر وفق قوانينها الخاصة.²

1- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء مفاهيم وتطبيقات، ص79.

2- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء مفاهيم وتطبيقات، ص85.

اجتهد بنكراد في تحديد آليات إدراك الصورة (العلامة الأيقونية بصفة عامة) التي تأتي إلى العين من خلال خطاطة مجردة يطلق عليها البنية الإدراكية؛ فالعمل الإدراكي يبحث في المعطيات الموصوفة عما يتطابق مع الخطاطات المجردة التي تمدّ بها الثقافة متلقي الصورة وحيث هذا التطابق تبدأ عملية التعرف والتسمية والتصنيف.¹

يمكن أن نلخص آليات إدراك الصورة (العلامة الأيقونية) في الشكل الآتي:



أسهم بنكراد في سير شراع الذوق والقيم، بإسهامه معرفياً فيما يعرف بسيمياء الثقافة أو الأنساق الثقافية التي تُعنى بضرورة الامتثال لمنطق المعنى المشترك، من خلال تسليط الضوء على تداخل الثقافة واللغة في التجربة الإنسانية، لاكتشاف أن استعمال الفرد لعلامات الثقافة التي ينتمي إليها، استعمال يمر عبر مصفاة (التنسيق الثقافي)؛ فالعلاقة بين الفرد والثقافة تعود إلى فعل الاختلاف الذي ينتجه (السيموز)؛ والصورة مثلاً من الأنساق الثقافية البصرية "التي تخلق ولا تحاكي، والعين في هذه التجربة تستعيد موقعها ضمن

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 87.

فرجة التواصل وسيرورات التدليل"¹، ولتتطق الصورة وتتخذ بعدا لفظيا، يتطلب ذلك اتحاد طاقة العين وطاقة اللسان. ولكي يقرب بنكراد هذه المفاهيم النظرية، قام بإخراجها إلى حيز التطبيق، ليختار مجموعة من الصور اشتمل عليها ألبوم فوتوغرافي من إنجاز مصور مغربي يدعى (داود أولاد السيد)، فكيف حل وأول بنكراد صور الألبوم؟

1-1- الصورة كونا دلاليا

تعامل بنكراد مع ألبوم (داود أولاد السيد)، باعتباره يشكل وحدة منسجمة لها امتدادات في ذاتها من خلال عناصرها المكونة، "وهو بذلك يشتغل كنص يحيل على كون أو أكون، دلالية محدودة في الزمان والمكان"².

اتبّع في قراءته الطريقة الآتية:

* تأمل الصّور على اعتبار أنّها نصّا وكونا دلاليا.

* بدأ بالعنوان (مغاربة) باعتبار العنوان على حد تعبير الباحث المدخل والضمانة الأساس على تناسق وانسجام هذا الكون، وهو المفتاح لفهم وتأويل كلّ المعطيات التي تحملها الصور.

قراءة بنكراد للصّور فيها إجابة عن أسئلة من قبيل: أين تقع الفواصل بين (الظاهر) و(الباطن) في الصورة؟ وما الرابط بين المعطى المرئي والموحي به؟ ومن أين تستمدّ اللقطة المحدودة في الزّمان والمكان قدرتها على تجاوز موضوعها في اتجاه خلق سلسلة من الحالات الثقافية الخاصة بمجموعة اجتماعية ثقافية بعينها؟ ليجيب بنكراد في الأخير أنّ الصورة في الأصل حكاية.

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، المغرب، سلسلة شرفات، ع48، 2015، ص141.

2- سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص104.

ما يمكن ملاحظته على القراءة التحليلية للصور، توظيف بعض المصطلحات والألفاظ التي قد تثير بدورها أسئلة لدى القارئ، أسئلة الإجابة عنها تبقى عند سعيد بنكراد فقط؟ ولنا أن نمثل بالمقولة الآتية: "... كصورة الأطفال الذين يلعبون، وصورة امرأة مكبلة بالملابس والرزم ونظرات الرجال، ونساء محشوات داخل ثوب أسود ويسرن في دروب لا نهاية لها، ويدرن ظهورهن للحياة".¹

صور رأى بنكراد أنها تنسج بطريقتها حكايات ذاكرة حيّة مليئة بالوقائع والمآثر والبصمات، وهذا استنتاج منطقي إن لم نقل بديهي! لكن السؤال: لماذا وظّف الباحث كلمة (مكبلة) حين وصف ملابس المرأة؟ فقد تغيّر المسار القيمي والدلالي لكلمة " الملابس " فبدل أن تدل على الستر والحشمة في مجتمع مغربي لا يقبل غير ذلك أصبحت تدل مع بنكراد الملابس -في الصورة المقروءة- قيدا مفروضا بدليل لفظ (مكبلة) وتصبح المرأة تبعا لذلك أسيرة. وكذلك الأمر مع الدال " محشوات " بثوب أسود التي حملت في طريقة توظيفها ازدياء واستهزاء من لدن الباحث، فهل هنّ محشوات بفعل أجسامهن البدنية مثلا؟ أو لضيق أثوابهن؟ أو لحاجة في نفس باحثنا لا يعرفها إلا هو؟ خاصة إذا حاولنا الوقوف عند عبارة: ثوب أسود فهل المقصود به الجلباب؟ وإن كان كذلك فهو جزء من الهوية والثقافة العربية الإسلامية؟

ولا تختلف قراءته لهذه الصورة عن قراءته لصورة " المرأة المسنة التي تجلس في الواجهة، على أرائك تقليدية بعينين مستسلمتين تنظران إلى الرجل، حيث يقف في الواجهة الخلفية للصورة، وراء شباك غليظ للنافذة، وعيناه تطلان عليها من عل".² رأى بنكراد في تأويله لدلالات هذه الصورة، أنها تعكس استسلام المرأة واضطهادها في مجتمع ذكوري، استسلام تحول مع مرور الزمن في الثقافة العربية إلى قيم دلالية مغايرة تماما، تتمثل في

1- سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، ص106.

2- المصدر نفسه، ص119.

المحافظة والتسامح والرحمة.¹ قد نؤول المصدر على نحو مناقض تماما لما ذهب إليه بنكراد؛ فالمرأة المسنة امرأة محترمة تنتظر بحب وود للرجل الذي يطل عليها من عل، وفعل الإطلالة بحد ذاته يحمل من الوقار والهبة والاحترام الشيء الكثير، لأن الصورة لا تُظهر رجلا أدار ظهره أو أشاح وجهه كرها وازدراء، بل رجلا صوب نظره مباشرة إلى حيث تجلس المرأة المسنة، التي ربما من شدة احترامه لها لم يتجراً على الجلوس بجانبها، بل اكتفى بنظرة وإطلالة من وراء الشباك، ثم هل المصور نفسه (داود أولاد السيد) قصد ما ذهب إليه بنكراد في تأويلاته؟! أم أنه كمنتج لموضوعات سيميائية، وكفرد ينتمي إلى سنن ثقافي أراد أن تعكس هذه الصورة عمق تقاليد وعادات وحشمة وحياء المجتمع المغربي؟! خاصة أن المصور (داود أولاد السيد) عرف باشتغاله دوماً على المنسي والمهمش والانطلاق من الأشياء البسيطة التي نجح في تحويلها إلى نصوص.

2- الصورة الإشهارية

حرص بنكراد على تقديم نظرة وافية عن آليات صناعة الإشهار وأنواعه وخطاطاته وتقنياته واستعمالاته للموروث والمعطى الموضوعي والأساطير ويعد كتاب (الصورة الإشهارية آليات الإقناع والدلالة) مقدّمة لفهم آليات اشتغال الخطاب الإشهاري ومدخلا لمقاومته على حد تعبير بنكراد.²

إذا تأملنا أفكار الباحث، نستجلي بوضوح شديد عنايته بمحورين أساسيين هما: التواصل والإشهار.

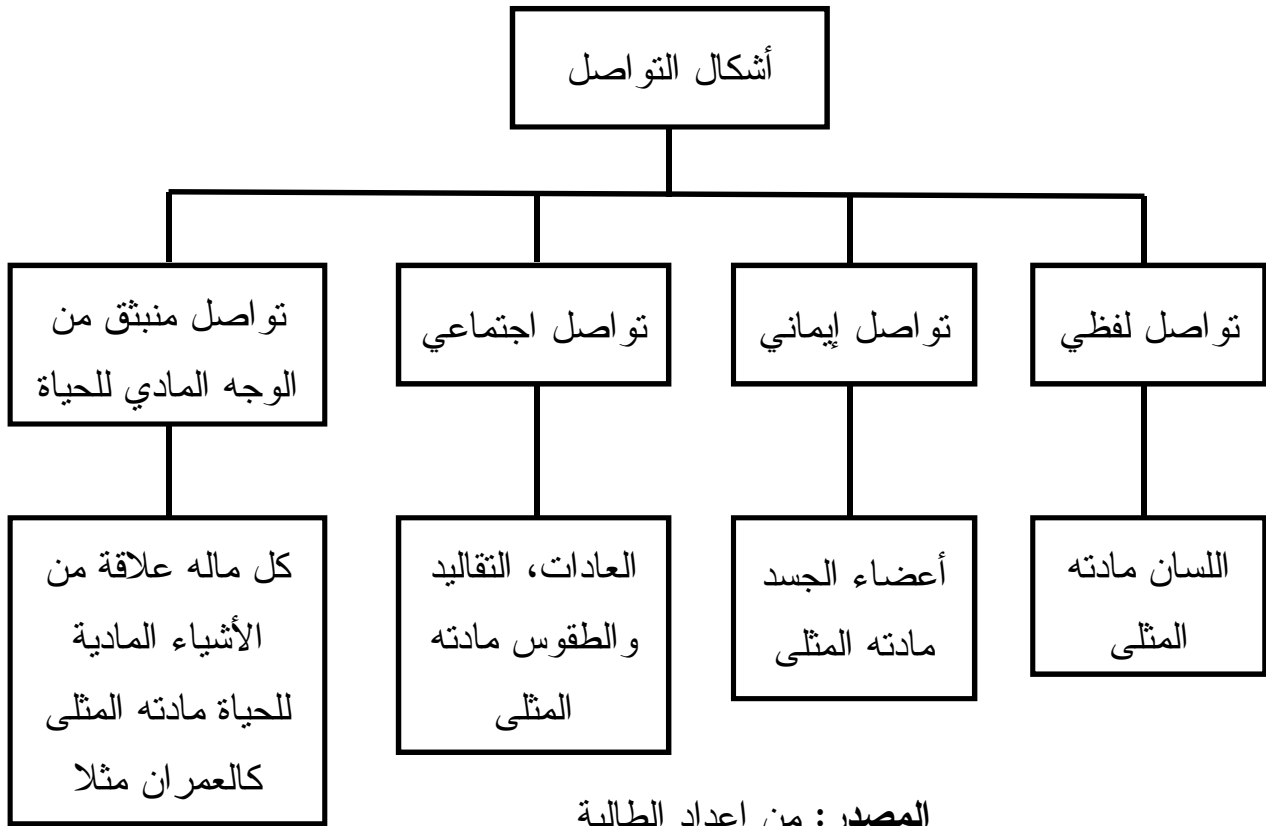
أ- التواصل

1- ينظر: سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقها، ص 119.

2- ينظر: سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي، ط 1. 2007. ص 09.

رأى الباحث أنّ -التواصل- جزئية مهمة تتخلل كل مظاهر الوجود الإنساني، وصنّفه ضمن دائرة الأولويات باعتباره حاجة إنسانية ملحة وضرورية؛ يتعلّم الفرد من خلاله كيف يتأقلم مع قوانين المجتمع ومقتضياته،¹ كما ميّز بنكراد بين أشكال وأدوات التواصل، فهو في المقام الأول تواصل لفظي يتخذ من اللسان أداة مثلى لصياغة الإرساليات ونقل الانفعالات، وقد يكون إيمائياً يستند إلى أعضاء الجسد، كما قد يكون اجتماعياً تتحوّل داخله الطقوس والعادات وردود الفعل الجماعية والفردية إلى حالات تواصلية تكشف عن العمق الثقافي للجماعة، كما قد يكون منبثقاً من الوجه المادي للحياة كالعمران...²

يمكن أن نوجز أشكال التواصل عند الباحث في المخطط الآتي:



المصدر: من إعداد الطالبة

1- ينظر: سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة، ص12.

2- ينظر المصدر نفسه، ص19-20.

ب- الإشهار

لروم الإشهار أن يكون جذاباً ومغرياً؛ إنه يمزج بين العاطفي والعقلي داخل الوصلات، ليستدرج المستهلك إلى عوالم الإستهام. فالغاية من الوصلة الإشهارية هي الاستفراء بالمستهلك وتوجيه رغباته وتحديد حاجاته.¹ والإشهار في نظر بنكراد مثيراً سريع الزوال يلبي حاجة ويختفي ليحلّ محله نصّ آخر يلبي الحاجة نفسها أو غيرها.

رأى الباحث أنّ الوصلة الإشهارية ليست بيعاً فحسب وإنما تكشف وتعكس ذهنيات؛² فهي ليست بالبراءة التي قد نعتقد - فمصمّم الإشهار يسجّل وصلاته الإشهارية بسجّل موجود عنده سلفاً، سجلّ يحمل الخصائص النفسية ونمط العيش... الخ، الإشهار يصوغ تصوّراً ثقافياً ويستغلّ ثقافة الشعب لبيع منتوجه، إنه (الآفيون الجديد) الذي اخترق الهوية، ومادته الدّسمة هي (الجسد).³

الإشهار حسب بنكراد ظاهرة ليست بالبسيطة كما يخيّل للبعض ولا بريئة "نحن مخدوعون باستمرار، وعلينا أن نعرف كيف نخدع".⁴ بل يذهب الباحث إلى أبعد من ذلك حين يصرّح ويعترف بخطورة الإشهار ويصفه بالقرصنة. بل أكبر قرصنة عرفها تاريخ التواصل البشري؛ ففيه يمتزج الإغراء بالبرهنة والحجاج والتعبير والخبر، إنها حسب الباحث أدوات صالحة من أجل الوصول إلى الغاية النهائية وهي: البيع.

رام المؤلف في هذا العمل تقديم صورة حقيقية عن الصورة الإشهارية، إذ أكّد أنّ الإشهار يتميّز بخاصية أساسية كونه يجمع في بنية واحدة بين ثلاثة أنشطة إنسانية متباينة من حيث الغايات والاشتغال؛ يتعلق الأمر بالتعبير والخبر والإقناع

1- ينظر: سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة، ص51.

2- ينظر المصدر نفسه، ص73-74.

3- حصة مشارف، Youtube AI Aoula TV، 19 أكتوبر 2008 (حوار تلفزيوني مع بنكراد).

4- حصة مشارف، Youtube AI Aoula TV.

وهي أنشطة أساسية في كل واقعة إبداعية كيف كان نوعها ومهما اختلفت سياقاتها إلى الحد الذي يجعل التواصل إقناعا وتعبيرا وخبرا في الوقت ذاته.¹

إذا أردنا تبسيط هذه الفكرة، فإننا ملزمون بالوقوف عند حدود (اللغة) باعتبارها عنصرا ضروريا وأساسيا لبناء الوصلة الإشهارية؛ كونها الفضاء الدلالي الذي يفصل الدال في خطيته المباشرة الصريحة الذي يضع (المنتج) للتداول وبين المدلول النهائي الذي يُعطي من شأن هذا المنتج ويغري المستهلك ويقنعه بضرورة اقتنائه، وهو "ما يعني أن المنتج ناطق في المتخيل، لا فيما يمكن أن يليه من حاجات؛ فكلما انزاحت اللغة عن الوصف والتعيين المباشر للكائنات والأشياء، كلما تعمقنا الهوية الفاصلة بين العين وما يأتيها من التمثيل البصري".²

تعتبر اللغة المحدد الأساسي للطبيعة الدلالية والثقافية، فهي "النسق الوحيد الذي يؤول نفسه ويؤول الأنساق الأخرى، فنحن لا نفهم رسائل الطبيعة ورسائل النفس التي تستوطن انفعالات الجسد دون الاستعانة باللسان"،³ ما يعني أن هناك تواطؤ دائم بين الأنساق الثقافية واللسان، والمعنى موجود في اللغة والأشياء والممارسات، وكل ما له علاقة بالإحياء؛ والإشهار واحد من أهم الأنساق التواصلية الذي يُبنى باللغة على اعتبار أنه إحياء وإغراء، وتعبير وإقناع في الوقت ذاته.

أثار بنكراد أسئلة مهمة ومفصلية أهمها:

* ما علاقة الإشهار بالقيمة والثقافة والهوية؟

* كيف يشتغل على اللاشعور؟ وكيف يشتغل الإشهاري ثقافة الشعب ليبيع منتوجه فهذه

غايته الأولى؟

1- ينظر سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية، آليات الإقناع والدلالة، ص 187.


2- سعيد بنكراد، مسالك المعنى: دراسات في الأنساق الثقافية، ص 145.

3- المصدر نفسه، ص 73-74.

* إذا كان الإشهار قرصنة ولعبة وخداعاً؟! ماهي الأداة الذكية والإجراء الناجع الفعّال لكشف اللعبة وفضح الخدعة وفك القرصنة؟!

يخلص بنكراد في الأخير إلى نتيجة تؤكد أنّ الإرساليات الإشهارية ظاهرة تخفي وراءها الكثير، وهي اللعبة والقرصنة ومسؤولية المؤلف هي أن يقدم للمستهلك أداة لفهم ووعي اللعبة الإشهارية وطاقتها الدلالية الكبرى، والسيمياء هي الأداة الذكية التي استطاعت التسرب لعمق المعنى بقدرتها على استيعاب العلامات وتحليلها وتأويلها قصد فضح هذه الوصلات الإشهارية.

يمكننا أن نتساءل بهدوء حذر: هل المشاهد للإرساليات الإشهارية يفكر في كلّ ما ذهب إليه بنكراد على أنها لعبة وخداع وقرصنة؟ وبالتالي من واجبه كشف اللعبة والتفطن للخدعة والنجاة من القرصنة؟! فيلعب بذلك دورا غير دوره وأقصد دور المحقق بدل المشاهد، أم أنه سيكتفي بأحد الأمرين: إما تعريه الإرسالية فيقتني المنتج إن استطاع إلى ذلك سبيلا، وإما أن تمرّ عليه مرورا عابرا فلا هي أغرته فاقتناها ولا هي خدعته فكشف زيفها وفضحها!

إنّ قراءة الإرساليات الإشهارية وتحليلها أمر غاية في التعقيد والتركيب، وربما لا يعدو أحيانا أن يكون مجرد تخمينات واهية، واجتهادات فردية قد تصيب وقد تجانب الصواب. خاصة إذا ما تعلق الأمر ببعض الشعارات الموظفة في الترويج لسلعة ما، ولنا أن نمثّل بواحد من أشهر أشكال اللوغو (logos) في مجال المعلوماتية والمجال التجاري؛ إنه نموذج التفاحة المقضومة لشركة (Apple) ، حيث قامت إحدى الباحثات في مقال بتحليل رسالة الشعار تحليلا سيميائيا بعد أن أقرت أنّ الشعار يجمع بين صفات كثيرة كالبساطة والإيحاء والإلهام والغواية والإدهاش. [هذا ما يتطابق مع ما جاء به بنكراد في أنّ الإشهار يجمع بين: الإقناع/التعبير/الخبر].

رأت الباحثة أنّ استخدام شعار التفاحة المقضومة مستوحى من خطيئة الإنسان الأولى،¹ التي منعت من التمتع بنعيم الجنة وأجبرته على معاناة ضنك الحياة! وهنا يحق لنا أن نتساءل: كيف إذا كان الشعار مستوحى من الخطيئة والتي كانت نتيجتها الطرد من الجنة والنعيم كيف يكون الشعار أيقونة إغراء وإقبال وترغيب واقتناء وبالتالي اقتناء للمنتوج؟ ربما القارئ البسيط يرى أنّ الشعار على اعتبار أنه مستوحى من الخطيئة وتبعاتها يرى أنه أيقونة ترهيب وتنفير وبالتالي إدبار وصد عن المنتوج؟! ثم إذا قبلنا قراءة الباحثة وتحليلها على أنّ الشعار مستوحى من قصة آدم وحواء (هذا إذا فرضنا ذلك): من قال أنّ الشجرة الممنوعة على سيدنا آدم أو شجرة المعرفة ثمرها التفاح؟! أين الدليل من القرآن والسنة؟ ثم إنّ مصمم الشعار (Rob Janoff) عندما سئل عن سر التفاحة المقضومة أجاب ببساطة قد تصل إلى حد السذاجة قال: ليتم تفرقتها وتمييزها عن البندورة والكرز! كما ذهب البعض أنّ التفاحة المقضومة في شعار (Apple) هو تخليد وإشارة لعالم الإلكترونيات مات في السجن بعد أن قضم تفاحة مسمومة.

ربّما وليس يقينا من وظف شعار التفاحة المقضومة رأى أنها مجرد فاكهة لذيذة لا تقاوم كما لا تقاوم هذه المنتجات. وربّما الصعوبة التي تعترى طريق الباحث في استنتاج الشعار وإعطائه البعد التأويلي الصحيح -نوعا ما- هو في كونه أيقونة تلفها بعض الضبابية وتعكس مفارقات تضع القارئ في منتصف الطريق أو بالأحرى في منتصف الفهم والاستيعاب والتأويل.

وعلى خلاف القراءة السابقة نجد قراءة سيميائية تقنع القارئ بما توصل إليه الباحث وأذكر على سبيل المثال قراءة لإشهار (نجمة) فضلا أنها تشير إلى اسم مؤسسة ومتعامل الهاتف النقال، تم ترصيعها بمدلول إضافي متمثل في أغنية (ما زال واقفين)، حيث قام كل من الباحثين **عبدة صبطي** و**داود جفافة** بقراءة متميزة لهذا الإشهار ركّزا فيه على

1- ينظر: نوال صالح، الملتقى الدولي السابع، السيمياء والنص الأدبي، سيمياء الشعار وسلطة الغواية في نموذج Apple، ص383.

دلالات الألوان، ومحاولتهما إقامة ربط مباشر بين الصورة الإشهارية وما تعنيه من دلالات، فقد ظهرت في الإرسالية الإشهارية " وردة الجزائرية " مرتدية ثوبا مزهرا، ورصعا بورد الربيع دلالة على ربيع الجزائر المتزامن مع إجراء تشريعات العاشر ماي، فصنعت الفنانة لوحة كان قلبها النابض ألوان العلم الثلاث:¹

- الأحمر: دم الشهداء.

- الأخضر: النماء.

- الأبيض: السلم.

كانت قراءة الباحثين للإرسالية الإشهارية غاية في السهولة فالقارئ البسيط يفهم ويستوعب تحليل هذه الإرسالية وتأويلها وفك رموزها، وبالتالي التسرب لعمق المعنى والوصول لطاقتها الدلالية.

لقد شكل الإشهار والصورة حقلان خصبان حاول الباحثون الاستثمار فيهما. بتعدد القراءات وثراء الدراسات وصلت التحليلات السيميائية للإرساليات الإشهارية حتى إلى صالون السيارات من خلال التحليل التفصيلي لكل ما ورد في الدليل من لغة مستعملة وصور وطريقة كتابة الأعداد (صغيرة أو كبيرة)... والخط السميك له دلالة والرفيع أيضا؛ وكذا الألوان المستعملة في الكتابة... ولعل السؤال الذي نطرحه هل القاصد لصالونات السيارات أو المشتري سيقراً الدليل ليحصل على المعلومات الضرورية فقط التي تفيده في اقتناء السيارة أم أنه سيحلل دلالة اللون الأسود ودلالة الأحمر، ولما كتب اسم الموقع الإلكتروني بخط سميك وآخر بخط رفيع؟ هل حقا كل ما يهم هو هذا؟ هل سيفهم الرسالة الإشهارية من خلال فتيات المعرض أم سينظر إلى الشريط الأحمر الملفوف حول عنقها ويحلل العلامة على أنها تحيل على دعاية إشهارية وأنّ اللباس الأسود مثلا دال على كذا وكذا... هل سيقنتع بالإشهار من خلال ربطة عنق حمراء

1- الصورة الإشهارية وبعدها السيميائي. قراءة سيميائية لإشهار نجمة للاتصالات، محاضرات الملتقى الدولي السابع، السيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة، أكتوبر 2013، ص423.

ولباس أسود أنيق؟! أعتقد في غير جزم أن تشعب التحليل السيميائي ليطال كل صغيرة وكبيرة وتتبع العلامات الموثقة في كل مظاهر الوجود الإنساني، سيجعل مسار السيميز يتعد وحجم التأويل يكبر مما قد يؤدي ربما إلى انزلاقات دلالية لا حصر لها تقود إلى فوضى عشوائية مقدمة في ثوب جميل! فانفجار المعنى وانتشاره يؤدي إلى استحالة تحقق الدلالة.

ولقد وجدت في كتاب بنكراد الموسوم (سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات) مقولة ربما تؤكد ما ذكرناه في الفقرة السابقة حين قال: "...فإنّ العلامة قد تحيل على مجموعة كبيرة من الدلالات، ولكنها لا تحيل على كلّ الدلالات إلا من باب العبث".¹

إذا أردنا أن نتحدّث عن القضايا التي أثارها بنكراد في كتابه هذا، فنجده قد تطرّق إلى ماهية التأويل وكذا عرض التصورات المتنوعة أو بالأحرى الهرموسيات المتنوعة بدء من شلاير ماخر وانتهاء بـغادمير وريكور، وأيضاً أشار إلى السيميائيات التأويلية.

عرّف الباحث التأويل بأنه مجرد قواعد يعتمدها المؤول من أجل تبين طريقة من وسط ركام هائل من نصوص تخفي عادة مقاصدها الحقيقية،² وهذا ما دفع الباحث إلى النظر في التأويل باعتباره أداة تمكن من التعرف على مناطق من ذواتنا وفي الطبيعة، فالتأويل ضرورة فرضها التباعد الزمّني وفرضتها الغربة الثقافية، كما فرضتها الاستعمالات المتعددة للغة.

استعمل بنكراد مصطلح (هرموسية herménétique) وقال أنها تشير في منابعها الأولى إلى التأويل. كما أشار إلى السيميائيات التأويلية التي رأى أنها تشير إلى دينامية

1- سعيد بنكراد، سيرورات التأويل: من الهرموسية إلى السمائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت، ط1. 2012. ص24.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص29.

مستمدة من الترابطات الممكنة بين العناصر الثقافية المشكّلة للموسوعة؛ فالمؤول لا يؤول ما بنفسه ولكنّه يؤول ما تبيحه الموسوعة أو ترفضه.¹

حمل كتاب بنكراد بصمة فلسفية في طريقة طرحه للأفكار لذلك قد يجد القارئ نوعاً من التعقيد والصعوبة في الفهم، ومرد ذلك غلبة النزعة الفلسفية وهذا أمر بديهي مع مواضيع كان منطلقها فلسفياً خاصة موضوع " التأويل " أو الهرموسية التي تفرّعت بدورها إلى هرموسيات (شلاير ماخر، غادمير، ريكور)، بالإضافة إلى موضوع السيميائيات التأويلية التي عدّها الباحث دينامية مستمدة من موسوعة، لذلك فالإلمام بمواضيع من هذا النوع يحتاج إلى ثقافة وجهد واجتهاد من لدن القارئ والمؤلف على حدّ سواء. جهد ينبش وسط ركام هائل من النصوص التي تخفي وراءها معاني لا تسلّم نفسها طواعية.

لقد فصل بنكراد قضية تقمّص المعاني للبيهي والمألوف والعادي، حتى تتسترّ على ما يمكن أن ينتجه السلوك النفعي من دلالات رمزية.²

فصل بنكراد في قضية تقمّص المعاني للبيهي والمألوف والعادي، حتى تتسترّ على ما يمكن أن ينتجه السلوك النفعي من دلالات رمزية.³

إشارتنا إلى اختفاء المعاني وتسترها وراء المعاني المألوفة والبيهيّة، يقودنا للحديث عن شكل من الأشكال التي تخفي وراءها المعاني: ونقصد الرموز، وتحديدًا الرموز السياسية، فكيف أولها الباحث بنكراد؟ وكيف قرأها؟

1- ينظر: سعيد بنكراد، سيرورات التأويل: من الهرموسية إلى السيميائيات، ص20.

2- ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى: دراسات في الأنساق الثقافية. ص96.

3- ينظر: المصدر نفسه، 06.

3- الرموز السياسية بين الإقناع والقناع

أولى سعيد بنكراد الرموز السياسية عناية فائقة لاسيما في ثماره لتطبيقية، باعتباره هوية بصرية بدلالات إيحائية و"تنظيما جديدا لوحدات دلالية وإضافية (سرية) لا تسلم نفسها إلا من خلال النقش في ذاكرة الرمز واستحضار أبعاده الثقافية المحلية أو الكونية".¹ فالرمز يحمل رواسب التاريخ والأسطورة، والدين والحكايات والإسقاطات النفسية الواعية واللاواعية، باختصار أنه "إحالات مكثفة لا تدرك بالعين المجردة".² إن كشف الدلالة الخفية للرموز السياسية لا يتم إلا عن طريق مؤول يستنطقه بوعي خصب، مؤول يصوغ أسئلة ويقوم وفقها بإعادة تنظيم وحداته؛ باختصار مؤول يستطيع التقمص الكلي لغايات وأهداف الرمز وما ظهر منها وما بطن. وهذا يتطلب المعرفة الواسعة فضلا عن شروط لا بد من توافرها وأهمها:³

* حركية الرمز الخاصة.

* الوسط الثقافي الذي أنتجه

* تحديد دوره في زمان ومكان معينين.

3-1- الرموز السياسية بين التناظر المكشوف واللغو الديماغوجي

إن الرمز السياسي ليس مجرد اختيار عابر أو اعتباطي؛ بل يجب أن ينتقى بوعي ومعرفة، واستثارة القوة الدلالية من مكنها (التاريخ، الأسطورة، الحكايات... الخ)، لأنه ليس واجهة تزيينية، إنه أداة تشكل قوة ضاربة للاستحواذ على وجدان المستهلك السياسي

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى: دراسات في الأنساق الثقافية، ص84.

2- المصدر نفسه، ص84.

3- المصدر نفسه، ص86.

عبر أقرب الطرق وأيسرها".¹ لما تحمله من رسائل ضمنية إيحائية حين يعلن انتماءه إلى القيم الإنسانية الجميلة.

رأى بنكراد أن جل الأحزاب السياسية كان اختيارها للرموز مبنيا على أمرين: التناظر المباشر المكشوف واللغو الديماغوجي،² والتناظر المباشر يكون بين الموضوع الذي ينتمي إلى محيط مألوف وبين الانفعالات التي يثيرها بطريقة يسهل التعرف على معناها؛ وأعطى مثلا على "رمزية الحمامة التي لا تضيف أي شيء إلى المضمون الفكري اللبرالي للحزب؛ فالسلام والبساطة والخفة والأمل والسعادة هي كلها صفات مستمدة من جمال هذا الطائر، ومضامينه غريبة عن هذا الحزب".³ ما يعني أن هناك إحالة محدودة، بسيطة ومباشرة، أو ما أسماه بنكراد (التناظر المكشوف)، الذي يحوي في معناه ما يسمى (اللغو الديماغوجي) الذي تغذيه الأمية السياسية، ويبرزه غياب أي سند إيديولوجي فكري "كحزب جبهة القوى الاشتراكية التي اتخذت من غصن الزيتون رمزا لها، ويعود سبب اختيار هذا الرمز إلى أن صاحب الحزب ينتمي إلى منطقة يكثر بها أشجار الزيتون".⁴ يتساءل بنكراد ساخرا: هل كان من الضروري أن أعرف موطن صاحب الحزب لكي أوول الرمز؟!⁵ فالباحث رأى أن هذا الربط بين الرمز وما يحيل إليه هو ساذج وبسيط، غير أننا نرى خلاف ذلك؛ إذ يمكننا أن نؤول (رمز غصن الزيتون) تأويلا إيجابيا بالنظر إلى ما يحمله من رواسب تاريخية حمولة ودينية، غصن الزيتون يحمل دلالات: الأصالة، العراقة والتشبث بالأرض والبلد...، وفي محكم تنزيله أقسم الله بالزيتون فقال: «والتَّيْنِ وَالزَّيْتُونِ وَطُورِ سَيْنِينَ وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ». [سورة التين، الآيات 1-3]، والله عظيم يقسم

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، ص104.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص92-93.

3- المصدر نفسه، ص91.

4- المصدر نفسه، ص92.

5- المصدر نفسه، ص92.

بالأمور العظيمة، وهو قسم يدل على رمزية الزيتون وقيمته، لذلك نرى أن أصحاب الحزب قد وفقوا في اختيار رمز غصن الزيتون كشعار لهم، فكان حسم التحليلي عميقا.

واصل الباحث تحليله وتأويله للرموز السياسية كتأويلية لرمز (العين) الذي اختاره حزب العمل، وحصر دلالاته في معنى (العين الساهرة)، رفض بنكراد هذا التأويل بشدة، لأن "رمزية العين أكبر من أن تحصى أو تحصر في هذا التأويل، فقد تحمل إحالات سلبية من قبيل التطير والخوف من شر العين الحاسدة..."¹

اتكأ بنكراد في تأويله للرموز السياسية على الفهم الفلسفي والممكنات الحضارية الثقافية، ومراعاة سلسلة القيم الدلالية التي يحملها داخل كيانه والتي "سينظر إليها لاحقا باعتبارها الوجه الدال على قيم بعينها"²، ووفق هذا المنطلق وضمن هذا المسعى حكم بنكراد على اختيارات بعض الأحزاب لرموزها السياسية بالسوء والسذاجة -كما في الأمثلة السابقة- وحكم على بعضها الآخر بالتوفيق وحسن الاختيار؛ كحزب اليسار الاشتراكي الذي اختار (الشمعة) رمزا له "ورمزية الشمعة تكمن في الاحتراق الهادئ الذي يطلق العنان للتأمل الشعري ويلهب المخيال (...). هي دالة على فكرة الاستشهاد والاحتراق والالتفاف حول ذات رغبة في حمايتها، مما قد يمس طهارتها ونقاءها الثوريين"³. لم يتوقف بنكراد عند حدود التأويل فحسب، بل راح يعقد مقارنات من قبيل مقارنة (رمز الشمعة) ورمز (المصباح) وفضل الرمز الأخير لأنه "ينير دون أن ينقص منه شيئا، عكس ضوء (الشمعة) التي تعطي لثموت"⁴، لكن يبدو لنا أن مقارنته لم تكن صائبة؛ فإذا كان مصير (الشمعة) الذوبان والانتهاه -الموت- فإن المصباح أيضا مصيره إلى التلف، وبالتالي الموت، مما يعني أنه ينير وينقص منه الشيء الكثير مع مرور الوقت.

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، ص93.

2- المصدر نفسه، ص87.

3- المصدر نفسه، ص96-97.

4- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية، ص98.

نصل في الأخير أن الباحث استطاع تفعيل مقترحات السيميائية التأويلية، فصال وجال في ميادينها المتنوعة وأنساقها المفتوحة على احتمالية الدلالات الممكنة والعديدة، المتوارية خلف الرموز والاستعارات، وكل ما له علاقة بالإيحاء (إرساليات إخبارية، صور بصرية، رموز سياسية...)، وواصل صنيعة التحليلي ليطال مجالات أخرى كالخطابات الدينية والرياضية، وهذا ما سنحاول التفصيل فيه، موضحين كيف حلل الباحث الأول استراتيجيات التواصل الناجحة متمثلة في الخطاب الديني الناجح (عمرو خالد) أنموذجا، والخطاب الرياضي (كرة القدم) أنموذجا.

4- الخطاب واستراتيجية التواصل الناجحة

4-1- الخطاب الديني

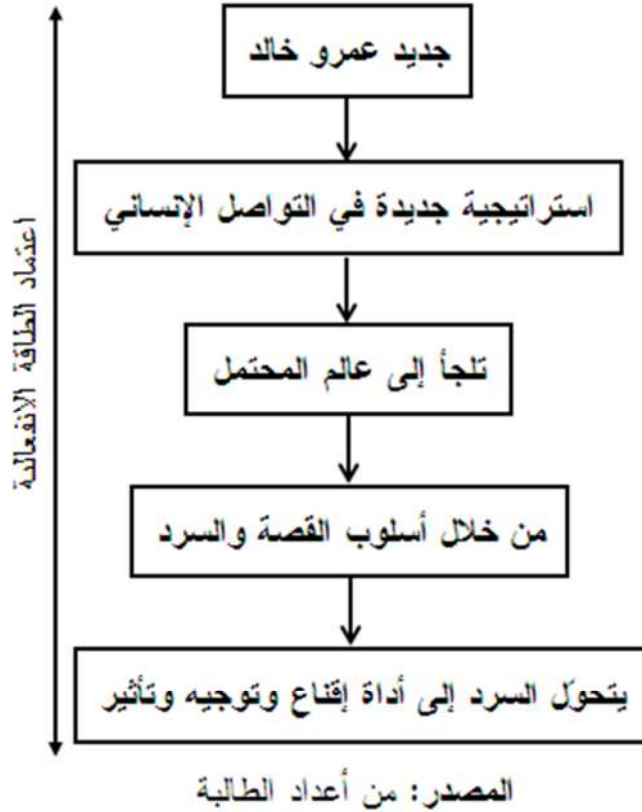
عد بنكراد الداعية المصري عمرو خالد ظاهرة مثيرة للاهتمام، إثارة لا تكمن في بعدها الوعظي الإرشادي، بل بما تثيره من جدة في طريقة الوعظ والإرشاد، حيث رأى الباحث أن الداعية عمرو خالد استطاع ببطنة الخروج من النمط المكرور التقليدي إلى نمط جديد يعتمد الأسلوب القصصي الذي تتمثل أدواته المثل في النصح والتبويه وتوجيه والتحذير، وأسلوب الحكيم ليس بالبسيط الذي يكتفي بسرد أحداث خاصة بحياة فرد أو مجموعة من الأفراد، بل يتعلق الأمر باستراتيجية جديدة في التواصل الإنساني يعتمد أساليب إقناعية تبتعد عن الوعظ المباشر واستمالة القلوب وافتتان العقول.¹

إن اختيار القصة أسلوبا للوعظ والإرشاد؛ معناه اختيار السرد أداة للإقناع والتوجيه، وهو ما يعني الانحياز إلى نظام المحتمل بكل آلياته،² والمحمّل بحسب بنكراد خطاب من نوع آخر، يعتمد الانفعال أسلوبا أمثل إلى لا شعور الآخر والتأثير فيه وتوجيهه.

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية، ص10.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص10.

تستمد الاستراتيجية التي تبناها عمرو خالد مصداقيتها -حسب الباحث- من السرد التاريخي (الإحالة المرجعية التي يمكن إثباتها تاريخيا، لكي تسرب منها حقائق جديدة).
باعتماده الطاقة الانفعالية التي هي في الأصل نتاج مؤول طاقي،¹ -بتعبير بيرس-
يمكن تلخيص رأي بنكراد وقراءته السيميائية لـ (ظاهرة عمرو خالد) فيما يلي:



4-2- الخطاب الرياضي والطاقة الانفعالية

ركز الباحث على ما يسمى (الطاقة الانفعالية) في مقاله الموسوم (كرة القدم: الاستراتيجية الحربية والاستيهام الجنسي، استهل مقاله بعنوان يسترعي الانتباه: لعب جدّي وجدّي في اللعب؟²) (والذي سأعود لمناقشته لاحقا) تكلم الرّجل بتفصيل عن اللّعب بصفة عامة في حياة الأطفال. باعتباره عنصرا مركزيا في ميكانيزمات إدراك الطفل لمحيطه الخارجي، وعدّه أيضا جزء من السيرورة التي تقوده إلى إسقاط وضعيات

1- ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية، ص11.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص113

مستقبلية تحضر بين يديه في شكل مواقف.¹

كما أشار أنّ اللعب ليس خاصية طفولية فالكبار يلعبون بنفس قوة وحماس الأطفال (يلعبون بالهواتف المحمولة، بالورق، الداما...)، الطابع الطفولي للعب يمرّ عبر خلق مجموعة من المظاهر التي تعقلن اللعبة وتضفي عليها طابعا جدياً وهو ما تؤكد الطقوس المصاحبة لكل لعبة، ككرة القدم؛ تأمل الباحث (الحالة الثقافية) التي عدّها فريدة والتي تمثلها كرة القدم، اللعبة التي تتميز بقدرتها على إثارة طاقة انفعالية هائلة تشلّ المتفرّج، حالات كثيرة تتناوبه: الصّعود، الهبوط، الصّرخة المدويّة، الصّمت الرهيب، الوقوف، الجلوس... تعدد وتنوع الانفعالات هو الذي يحولّها إلى خزّان لمواقف متعدّدة.²

يعقد الباحث مقارنة وتشبيها بين كرة القدم والمعركة القتالية، ويرى أنّهما لا يختلفان في شيء عن بعضهما، فكرة القدم "تستعيد من خلال الوصف الخارجي كلّ العناصر المكوّنة للمعركة بدء من الأجواء المصاحبة للحرب، مروراً بميقاتها وانتهاءً بفضاء وقعتها. وتلك هي العناصر التي تسهم في تحديد من ستؤول إليه الغلبة في نزال مصيري لا يبقي ولا يذر".³

نلاحظ مبالغة ومغالاة من لدن الباحث، فكرة القدم لا تعدو إلا أن تكون مجرد لعبة الفوز فيها للأفضل، أقلّ الخسائر فيها هزيمة، أمّا المعركة القتالية الكلّ فيها مغلوب وخاسر وإن بدى عكس ذلك! وشتان بين لعبة تدخل وتصنف ضمن الأساطير تستهوي الأفتدة وتأسر النفوس وبين معارك قتالية تدخل دائرة الحقيقة المرّة دائرة الدّم والدّمار، فلا شبه بينهما ولا نقاط تلاقي أو اتفاق.

وتصل المبالغة ذروتها حين قال وهو يشبه كرة القدم بالمعركة القتالية: "...وجود جيشين على أهبة الاستعداد لخوض معركة يلعب فيها الاستعداد النفسي والتوقيت وامتياز

1- ينظر: سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية ، ص113.

2- ينظر: المصدر نفسه، 114.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص119.

الأرض الدور الرئيسي، يضاف إلى ذلك وجود خطة للحرب وقائدا يدير أطوارها، ومساعدين ومرافقين... ومن يتكفل بإسعاف الجرحى والمعطوبين، وطاقما للدعاية والتشويش على العدو والنيل من نفسيته... هناك كتائب تحمل على العدو من اليمين (اليمين) وأخرى تكرر عليه من اليسار (الميسرة)، وثالثة تمثل رأس الحرب، فهي قلب الهجوم المكلف بإحراق أكبر الخسائر في صفوف العدو".¹

تبعاً للمقولة السابقة قد تتحول كرة القدم من معبودة الجماهير إلى قاتلة ومعذبة الجماهير! تتحول من مجرد لعبة إلى لعنة حقيقية تشجع على العنف والخراب، وكما بالغ بنكراد في تشبيه كرة القدم بالمعركة، بالغ أيضاً فيما أسماه (الإستهام الجنسي)؛ حيث حل مجمل ما يقع في زمن المباراة، تحليلاً جنسياً فيه الكثير من المغالاة إن لم نقل مجانبة الصواب. ولنا أن نمثل بقوله: "فمع انطلاق المباراة تبدأ (مداعبة) الكرة و (ملاستها) من أجل (معانقة الشباك) و (اختراق المرمى)، إلا أن الكرة عنيدة، فهي (تتمنع) و (تتدلل)، وترتد إلى الوراء، ثم نتقدم. تقترب من الهدف ثم تبتعد، تأتي ثم تمضي تنتقل من اليمين إلى اليسار، وكلما ازدادت (حركة الكرة) وازدادت ثقلاً من لاعب إلى آخر ضمن حركة فنية وبدأت تقترب من المرمى...، إن الأمر قريب جداً من حالات (المرادة) و (التهيو) و (التمنع) و (الرغبة المتأججة)، ثم الانكفاء على النفس في حركة يائسة تعبر عن رغبة لم تتحقق أو لذة لم تكتمل".²

بالإضافة إلى توظيفه مصطلحات مقترنة بالجنس مثل: التغزل، الاستمتاع بالمفاتيح، الولوج النهائي، الانتشاء، الاغتصاب، المتعة...³ يعطي الباحث للعبة (كرة القدم) الطابع الذكوري، فيقول: "فاللعبة رجولي، وتدخلات اللاعبين رجولية، والواقف أمام المرمى

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية، ص119.

2- المصدر نفسه، ص124

3- ينظر: المصدر نفسه، ص234

أسد، ويتكوّن الجمهور في أغلبيته الساحقة من الرّجال، والكرة وحدها مؤنثة، لذلك يداعبها الرّجال...¹.

تعليق على هذه الفقرة السابقة، سيكون في شكل سؤال أوجهه للباحث، ماذا عن كرة القدم انسائية؟ إذا كان المنظار جنسيا لهذا الحد، كيف ستتعامل اللاعبات (المؤنثات) مع الكرة المؤنثة؟! أم أنهن سيدرجن ضمن قائمة الشاذات جنسيا؟!

أراد الباحث أن يقبض على المعنى لمتواري خلف هذه اللعبة الشعبية، فلعب دور المحلل المؤول الدينامي النشط، الذي حمل اللعبة ما لم تحتل من دلالات ممكنة، خاصة عندما ربطها ربطا مباشرا بالجنسين، فبالغ في الوصف والتحليل والتأويل، فبدل أن يقبض على المعنى فجره تفجيرا مروعا حوله إلى أشلاء على عتبات الشتات والضياح؛ لأن القارئ لا يجد أي صلة منطقية بين (كرة القدم) كلعبة محبوبة شكلت قوة إقناعية إغرائية على وجدان الجمهور عبر أنظف الطرق، وبين تأويلات واهمة لا تمت للعبة بصلة، غير أننا نجده محقا في تأويله للعبة على أنها حرب ومعركة، وقولنا محق لا تعني القبول بالمبالغة التي وصف فيها اللعبة كحرب، حيث جاء بعبارات (الدم، القتل، الجرحى والمعطوبين، كتائب الميمنة والميسرة؟!...) .

صفوة القول أن كرة القدم مجرد لعبة شعبية جماهيرية، وليست غريزة جنسية، ولو اردنا ربطها بالجنس وجب علينا توخي التعقل والثبات حتى لا نهوي في منحدرات الطيش والانفلات، كيف ذلك؟ سأحاول التوضيح عندما تهز الكرة الشباك فإنها في ذات اللحظة تحرك حالة نفسية فريدة من نوعها؛ وأقصد ما يسمى من المنظور النفسي -النشوة- أو اللذة سواء عند اللاعبين أم الجماهير الغفيرة، نشوة منبعثة من أعماق لاواعية ممتدة إلى زمن بعيد، تترجم هذه الحالة بمجموعة من التصرفات، كأن ينزع اللاعب قميصه العلوي، يجثو على ركبتيه أو يرقص أو يسجد أو... أما الجمهور فنترجم في شكل: صرخات،

1- سعيد بنكراد، مسالك المعنى، : دراسات في الأنساق الثقافية، ص125.

الهتاف بشعارات سياسية أو أغاني اجتماعية، قفزات، عناق، قبلات، ما يعني أن هناك مكبوتات تخرج عن السيطرة إلى الواجهة، بل وتتفلت من أي سلطة أو رقابة، وهذا ما يسمى عند علماء النفس بالانفعالات أو الزلات.

من هذا المنطلق يمكن أن نرى كرة القدم بعين علماء النفس (الجنس تحديداً)، غير أننا نؤكد ونكرر أن هذا الربط هو ربط غير مباشر ولا مبالغ فيه على خلاف ما قدم سعيد بنكراد من قراءة وتحليل حول هذا الخطاب الرياضي.

خلاصة جزئية

توصلنا في نهاية فصلنا هذا إلى جملة استنتاجات تخص آراء وأفكار الباحث سعيد بنكراد ووجهات نظره في قضايا نقدية هامة نوجزها كما يلي:

وجهة نظره في السيمياء

ماهيتها: هي نظرية خاصة بالمعنى، تدرس النسق اللساني وكل الأنساق التواصلية الأخرى.

موضوعها: غير محدد في مجال معين، تهتم بكل مجالات الفعل الإنساني.

شرطها: أن تكون هذه الموضوعات جزء من السيميوز (السيرورة الدلالية).

ب- وجهة نظره في سيمياء الأيديولوجيا والشخصيات:

* أثار الناقد جملة من المصطلحات من قبيل: السرد، الأيديولوجيا، عالم الممكنات، الأكسيولوجيا...

* أقر أن تحديد نمط الأيديولوجيا يجب أن يمر عبر سنن (CODE)، وعرفه بقوله: "السنن ليس شيئاً آخر سوى نموذج سلوكي مجرد يحتوي في داخله على سلسلة لا متناهية من الأشكال، وتمثل هذه الأشكال مجموعة كبيرة من إمكانات التحقق، وبعبارة أخرى إنه

الخزّان الذي يغني السلوك الفردي الخاص والملموس ويمنحه مصداقيته من خلال قياس درجة تطابقه مع النموذج الأصل".

* استنتج أنّ للتسنين نمطين: تسنين أيديولوجي وتسنين سردي.

* رأى أنّ أيّ بناء للعالم الممكن هو تعبير عن موقف أيديولوجي.

* وضع السردية بين مصطلحين: الأكسيولوجيا (قيم مجردة خارج أي سياق) والأيديولوجيا (أفعال محسوسة محدّدة داخل سياق).

* أوضح أنّ التلاقي بين السرد والأيديولوجيا هو تلاقي بين إنتاج القيم وإعادة إنتاجها، ورأى أنّ الرواية هي أفضل خزّان للقيم.

* أكّد في حديثه عن الشخصيات في النصّ الروائي أنّها عبارة عن بناء ثقافي وليست مجرد كائنات من ورق تتحرّك داخل عالم مخيالي.

ج- وجهة نظره فيما يخصّ الأساق البصرية:

* اعتبر الناقد الوقائع البصرية في تنوعها وغناها (تشكل) لغة مسنّنة أودعها الاستعمال الإنساني قيم الدلالة والتواصل والتمثيل.

* خلص إلى أنّ الانتقال من الدالّ الأيقوني إلى ما يحيل عليه يتم من خلال عملية تسنينية قائمة على خلق بنية مكونة من عناصر هي حصيلة لقاء تجربتين:

- تجربة واقعية.

- علامة أيقونية.

* رأى أنّ الصورة تشكل وحدة منسجمة لها امتدادات في ذاتها. على اعتبار أنّها نصّاً وكوناً دلاليّاً.

* فيما يخصّ الإشهار أولاه الباحث عناية خاصة، وفصل الحديث عن أنواعه وخطاطاته وتقنياته واستعماله للموروث والأساطير، وأكّد أنّ صناعة الإشهار تحتاج إلى آليات.

* عدد أشكال التواصل وأدواته:

- تواصل لفظي.

- تواصل إيماني.

- تواصل اجتماعي.

- تواصل منبثق من الوجه المادّي للحياة.

* رأى أنّ الإشهار يعكس ذهنيات، وأنّه خدعة ولعبة بل وقرصنة، والسيمياء هي الأداة الذكية لكشف الخدعة.

* صرّح بأنّ الإشهار (أفيون جديد) ومادّته الدّسمة (الجسد).

* توصل إلى أنّ الإشهار يجمع في بنية واحدة بين ثلاثة أنشطة إنسانية متباينة من حيث الغايات والاشتغال: العبير - الخبر، الإقناع.

د- وجهة نظره في قضية التأويل والسيمياء التأويلية:

* عدّ الباحث التأويل قواعد يعتمدها المؤول من أجل تبين طريقة من وسط ركام هائل من النصوص تخفي عادة مقاصدها الحقيقية.

* التأويل أداة تمكّن من التعرف على مناطق من ذواتنا وفي الطبيعة.

* التأويل ضرورة فرضها التباعد الزمّني وفرضتها الغربة الثقافية، كما فرضتها الاستعمالات المتعدّدة للغة.

* تشير السيمياء التأويلية إلى دينامية مستمدة من الترابطات الممكنة بين العناصر الثقافية المشكّلة للموسوعة.

* أكد أنّ المعاني لا تسلّم نفسها طواعية؛ بل إنّها تتقمّص البديهي والمألوف والعادي حتّى تنتسّر على ما يمكن أن ينتجه السلوك النفعي من دلالات رمزية.

كانت هذه جملة من النقاط التي توصلت إليها من خلال قراءتي المتواضعة لأحد أهم النقاد في الساحة العربية عموماً والمغربية خصوصاً، فإن أخطأت فمن نفسي وإن وفقت فمن الله.

ملاحظة مهمة

مع نهاية هذا الفص، سأحاول إجمال المصطلحات التي اعتمدها سعيد بنكراد -على الأقل- في مؤلفاته التي أشرنا عليها طيلة هذه المرحلة العلمية، حتى يسهل على القارئ معرفتها والإلمام بها، وهي كالتالي:

المصطلح باللغة الأجنبية	ترجمته إلى اللغة العربية
Actant	عامل
Acte narratif	الفعل السردي
Acteur	ممثل
Actualisé	محنة
Adjuvant	المساعد
Anaphore	استنكار
Anaphorisant	مستذكر
Anaphorisé	مستذكر
Anthropomorphe	مشخص
Articulation	تمفصلات
Aspect duratif	المظهر الاستمراري
Aspect inchoatif	المظهر البدئي
Aspect inchoatif	المظهر البدئي
Attribution	منح
Cataphore	استباق
Cataphorisant	مستبق
Cataphorisé	مستبق
Catégorie sémique	مقولة معنمية
Centre d'orientation	مركز توجيه
Circulation	تداول

تصنيف	Classification
سنن	Code
تسنين	Codification
الأهلية	Compétence
الأهلية الموسوعية	Configuration encyclopédique
التشكلات الخطابية	Configuration discursive
مواجهة	Confrontation
اتصال	Conjonction
متواصل	Continu
إرغامات	Contraintes
تعاقد	Contrat
متن	Corpus
زوج	Couple
الوقف	Debrayage
انشطار	Dédoublement
مرسل إليه	Destinataire
مرسل	Destinateur
وجوب الفعل	Devoir faire
بعد ذهني	Dimension cognitive
بعد تداولي	Dimension pragmatique
لا متواصل	Discontinu
خطاب	Discours

خطاب مسرد	Discours narrativisé
خطاب منقول	Discours rapporté
خطاب متركب	Discours transposé
تخطيب	Discurvisation
انفصال	Disjonction
هيمنة	Domination
أثر القراءة	Effet de lecture
أثر الواقع	Effet de réel
أثر معنوي	Effet de sens
الوصل	Embrayage
ملفوظ	Enoncé
تجربة	Epreuve
فضاء	Espace
فضاء شبه طوباوي	Espace paratopique
فضاء طوباوي	Espace utopique
سمة	Etiquette
سمة دلالية	Etiquette sémantique
الفعل التركيبي	Faire syntaxique
التصوير	Figurativisation
نهائية	Finale
وظيفة	Fonction
اشتغال	Fonctionnement

توليد	Génération
النحو الأصولي	Grammaire fondamentale
النحو السردى	Grammaire narrative
تراتبية	Hiérarchie
كلجزئى	Hyperonymique
جزكلى	Hyponymique
مخيال	Imaginaire
محايثة	Immanence
محفل	Instance
قصديّة	Intentionalité
مؤول	Interprétant
مؤول نهائى	Interprétant final
فعل تأويلى	Interprétatif (faire)
القلب	Inversion
استثمار	Investissement
تناظر	Isotopie
اللغة	Langage
اللسان	Langue
لكسيم	Lexème
دائرة التحول	Lieu de transformation
مقروئية	Lisibilité
تجلي	Manifestation

تحريك	Manipulation
لغة واصفة	Métalangage
ميتا - سردي	Méta – narratif
صيغ	Modalité
نمط	Mode
نمط الوجود السيميائي	Mode d’existence sémiotique
نموذج	Modèle
النموذج التكويني	Modèle constitutionnel
سرد	Narration
تسريد	Narrativisation
سرد	Narrativiser
السردية	Narrativité
سرديات	Narratologie
مستوى	Niveau
موضوع	Objet
المعيق	Opposant
استبدالي	Paradigmatique
جذر	Paradigme
مسار	Parcours
مسار تصويري	Parcours figuratif
مسار توليدي	Parcours général
مسار سردي	Parcours narratif

مسار ثيمي	Parcours thématique
الكلام	Parole
الإنجاز	Performance
شخصية	Personnage
فعل اقتناعي	Persuasif (faire)
إقناع	Persuasion
سجالي	Polémique
قدرة الفعل	Pouvoir faire
محمول	Prédicat
الإجراء	Procès
برمجة	Programmation
برنامج	Programme
برنامج سردي	Programme narratif
مواصفة	Qualification
محقق	Réalisé
حكي (لفظي، حدثي)	Récit, récit de parole, récit d'événement
تقليص	Réduction
عرض بصري	Représentation visuelle
دور	Rôle
دور عاملي	Rôle actantiel
دور ثيمي	Rôle thématique
الجزاء	Sanction

معرفة الفعل	Savoir faire
خطاطة	Schéma
انتقاء	Sélection
معنم	Sème
مقطع	Séquence
دال	Signifiant
مدلول	Signifié
مدلول منطقي	Signifié logique
مدلول بلاغي	Signifié rhétorique
بدني	Somatique
تلخيص	Sommaire
تفضيء	Spatialisation
وضع	Statut
وضع عاملي	Statut actantiel
مقولة	Stéréotype
بنية	Structure
تتابع	Succession
متتالية	Suite
ذات	Sujet
تزامنية	Synchronie
توزيعي	Syntagmatique
التركيب العاملي	Syntaxe actantielle

التركيب السردى	Syntaxe narrative
نسقى	Systematique
نص نسقى	Systematique (texte)
تصنيفية	Taxinomie
تزمين	Temporalisation
تحول	Transformation
تثليث	Triplication
وحدة	Unité
وحدات سردية	Unités narratives
الكون القيمي	Univers axiologique
القيمة	Valeur
مثنى	Valorisé
تنويع	Variation
السنة	Verbalisation
محتملة	Virtuel
تبصير	Visualisation
إرادة الفعل	Vouloir faire
احتمالي	Vraisemblable

الفصل الرابع
التجربة السيمائية

عند محمد الناصر

العجمي

أولاً- الجهاز المفاهيمي للنظرية السيميائية السردية عند عبد الناصر العجيمي

توطئة

إن محاولة استيعاب الجهاز المفاهيمي للنظرية السيميائية السردية عند الناقد العربي عموماً والمغاربي خصوصاً، ليس أمراً يسيراً كما يخال البعض؛ فقد واجه الناقد العربي مشكلة الترجمة والنقل لاسيما أن المصطلح "ينبني على مستوى عال من التذليل والترميز يرجح أن يكون لغة داخل اللغة، أو علامة من نوع خاص، لأن أصوله التكوينية معقدة، بوصفه حصيلة لقوى جذب متباينة"¹. وأسباب هذا التعقيد يمكن أن نردها إلى تداخل فروع العلم والمعرفة ذات الصلة بهذه النظرية؛ كالمنطق والرياضيات والفلسفة والدلالة... الخ.

يعد محمد الناصر العجيمي من أوائل الدارسين الذين حاولوا تقم فكر غريماس من خلال كتابه (في الخطاب السردية، نظرية غريماس)، حيث أشار في مقدمة هذا الكتاب أن تقم فكر غريماس مجازفة ومغامرة، والسبب راجع "إلى أن غريماس لم يؤلف دراسة تستوعب في نظره تأليفية جامعة جهازاً نظرياً يتيح للدارس مرجعاً ميسور التناول، وهي علاوة على هذا على حظ وافر من الثراء بحيث تتطلب جهداً لتعريفها وفك رموزها"²، ومن أجل ذلك سعى العجيمي إلى عرض وتبسيط نظرية غريماس بمفاهيمها ومصطلحاتها وشرح آلياتها الإجرائية من خلال تطبيقه على نص من التراث (الأرانب والفيلة) من كتاب كليلة ودمنة، مدعياً أنه يطرق بذلك أرضاً بكرًا فيقول: "...ومما يزيد مهمتنا عناء أن هذه النظرية لم تصادف من نفوس الدارسين العرب الهوى، فلم يتوفر على دراستها وتقديمها إلا عدد محدود منهم حتى ليداخلنا شعور بأننا نطرق أرضاً بكرًا"³. وفي الحقيقة كلام العجيمي فيه كثير من المبالغة، فالدراسات التي طرقت باب النظرية كثيرة نذكر على

1- فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج، النظرية، المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994، ص78.

2- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية -نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993، ص07.

3- المصدر نفسه، ص13.

سبيل المثال لا الحصر: **هدى وصفي** بدراستها (تحليل سيميولوجي لمسرحية الأستاذ) و(حادثة الميلودراما)، حيث حاولت من خلال عملها التعمق في نظرية غريماس، كذلك نذكر **أمينة رشيد** (السيميوطيقا، مفاهيم وأبعاد)، **سامية أسعد** (سيميولوجيا المسرح)، **سمير المرزوقي** (مدخل إلى نظرية القصة)... الخ، ولقد اخترت هذه العينات لأنها كانت أسبق من دراسة العجيمي.

ادعاء الأسبقية في هذا المضمار جعل نظرة العجيمي لمن سبقه نظرة الغائبة، أو بالأحرى نظرة استعلائية، حيث جاء في تعليقه على الدراسات التي سبقته والتي ذكرتها في المثال السابق كما يلي:¹

* علق العجيمي على دراسة **سمير المرزوقي** (مدخل في نظرية القصة) قائلاً: إنها على قدر من الثقة، ولكن غلبة التوجه الممعن في التعليمية حد من أهميتها العلمية بالنسبة إلى من يروم بسطاً نسبياً في النظرية. سنجد لاحقاً العجيمي يقع في نفس المطب، مطب التعليمية، حيث تطبيقه على نص (الأرانب والفيلة).

* علق على دراسة **أمينة رشيد** (السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد)، بأنها عبارة عن خلط وتفكك.

* علق على دراسة **سامية أسعد** (السيميولوجيا المسرح) تعليقا يصل حدود الاحتقار فقال: "تعالج الدراسة موضوعاً ليس لها به معرفه ولا عليه سيطرة، فجااء خليطاً من المفاهيم المتنافرة والمشوهة".²

* رأى أن دراسة **هدى وصفي** (تحليل سيميولوجي لمسرحية الأستاذ) كانت دراسة لا تخلو من السطحية، كما أوردت بعض المفاهيم في غير تنظيم، والملاحظ أن العجيمي لم

1- ينظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص13-14.

2- المصدر نفسه، ص14.

يعط أمثلة عن هذه المفاهيم، أما عن دراستها الثانية (حادثة الميلودراما)، حكم العجيمي عليها بالفوضى والغموض، دون أن يقدم تبريرات ولا أمثلة، بل أطلق حكما عاما وكفى. ويصل انتقاد العجيمي لبعض الدراسات حد التزلف والتهكم كما حدث مع دراسة ماري زيادة (النص المسرحي والحداثة)، علق قائلاً: "لا نتردد في وصف هذه الدراسة (الدلالية) بالتمحل والهزلة الفكرية".¹

والسؤال الذي نوجهه بدورنا للناقد: لم هذه النظرة الدونية تجاه الآخر؟ ولماذا هذا التجريح؟ النقد البناء له آليات وبيروم إلى تحقيق أهداف، والناقد الموضوعي يختار بعناية ألفاظه وعباراته ولا يصدر أحكاماً جزافية من أجل أن يبرز تفوقه وأسبقيته إلى هذا الميدان أو ذاك، ثم ما هو المعيار الذي جعله يختار هذه النماذج دون غيرها. لا بد أن تتسم قراءة ناقد النقد بالموضوعية، وتبتعد عن التزلف والتهكم والسخرية، فإن أبدى العجيمي اعتراضات على دراسات بعينها، كان حري به أن يقدم تصويبات لا أن يطلق أحكاماً دون مبررات ولا مسوغات، والأجدر به أن يكون تصوراً منصفاً لكل ما كتب لا أن يلعب دور القاضي والجلاد.

1- إشكالات المنهج والمصطلح عند العجيمي

نشير في البداية أن محمد الناصر العجيمي اعترف بصعوبة إيجاد المقابل الدقيق والمنطقي للمصطلح المترجم في اللغة العربية، وذلك راجع صرامة المنهج، يقول: "إن الدارس يواجه حشداً من المصطلحات بالغ الوفرة، على نحو لا نكاد نجد له نظيراً في المناهج النقدية الحديثة، وفي ظننا أن هذه الظاهرة -ظاهرة وفرة المصطلحات- لا تدل كما يتبادر إلى الذهن على تحذلق علمي بقدر ما تعكس صرامة المنهج".² صرامة المنهج ووفرة المصطلحات لا يعطينا الحق في الوقوع في الخطأ والخلط أثناء الترجمة؛ كما

1- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص14.

2- المصدر نفسه، ص13.

حدث مع العجمي الذي أدخل القارئ فيما يسمى بفوضى المصطلح وتغريبه بدل إنارتته وتقريبه، وهذا ما سنحاول التدليل عليه في صفحاتنا الموالية.

استعمل الناقد مصطلح (علم الدلالة) وهو يقصد به السيمياء، فقال: "علم الدلالة يطلق على العلم نفسه تسمية (العلامية) ترجمة للمصطلح الغربي sémiotique أو sémiologie".¹ والمعروف أن علم الدلالة هو ترجمة للمصطلح الغربي sémantique وهو غير العلامية، وهنا وقع العجمي في الخلط، ثم يواصل شارحا الأمر: "...والاختلاف في المصطلح لم يكن في بداية نشأة العلم المعني بريئا، بل يعود إلى أسباب تخص مجال الدراسة الدلالية وحدودها، فهل يقتصر البحث على المجال اللغوي مقصيا بحسم مظاهر النشاط الإنساني الأخرى، أم أنه يهم جميع المجالات الدالة، ليشمل إضافة إلى النتاج الأدبي والأساطير والنظام الاجتماعي وما يرتبط من مظاهر القرابة والصلات الاجتماعية والعلامات الثقافية العامة؟ وهل تطلق التسمية المذكورة على الموضوع المعني بالدراسة أم على الدراسة ذاتها وطريقة تناولها الموضوع".²

لم يقدم العجمي إجابة لهذه التساؤلات، فمقولته تجمع بين مصطلحين مختلفين (علم الدلالة) و(علم السيمياء)، والذي عددهما نفس العلم، نجيب ببساطة إذا اقتصر البحث عن المجال اللغوي فهذا يندرج ضمن علم الدلالة، أما إذا اتسعت دائرته وشملت كل مظاهر السلوك الإنساني بدءا بالعادات والتقاليد والطقوس والأعراف، وانتهاء بالأنساق الإيديولوجية الكبرى، فهذا يندرج ضمن علم السيمياء.

طرح العجمي الكثير من الأسئلة، لكنه لم يقدم الإجابة، بل اكتفى بتوجيه القارئ إلى مجموعة من الدراسات التي يمكن الاستعانة بها لإضاءة جوانب الموضوع، وعذره في ذلك أن المسألة دقيقة يكتنفها الغموض واللبس، فأثر عدم الخوض فيها، يكون بذلك العجمي قد أدخل القارئ في متاهة السؤال بدل التبسيطية التي زعمها في البداية، فكان

1- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص21.

2- المصدر نفسه، ص21.

حري به أن يجيب على بعضها على الأقل، لا أن يوجهنا إلى مراجع ومصادر ذكرها كالآتي:¹

1- Mounin, introduction à la sémiologie, Paris édition minuit, 1970.

2- Pietro, la sémiologie in le langage (direction Martinet), encyclopédie la pléiade, 1973.

3- Barthes, éléments de sémiologie dans (communication) N 4, 1964.

واصل العجمي أفكاره وآراءه حول ما اصطلح عليه (علم الدلالة) التي وضعها كمقابل للمصطلح الأجنبي (sémiologie) محاولاً تعرف الخطوط الكبرى لهذا العلم أصولاً ومنهجاً بالقدر الذي يسمح له -على حد تعبيره- بوضع نظرية غريماس في إطارها المعرفي العام، فرأى أن هذا العلم -ويقصد علم الدلالة sémiologie في حدود ترجمته- علم تأسس منذ ما يزيد على عقدين من الزمن، رداً على الألسنيين الذين ركزوا في دراساتهم اللغوية على الدال مقصيين المدلول باعتباره غير قابل للتقسيم وفق الوحدات المميزة، فهو مشروع يرمي إلى تأسيس وعي بنيوي للاستقراء الدلالي، ويعني بذلك وصف القواعد العامة لإنتاج المعنى الإنساني وصفاً دقيقاً.²

الحقيقة أن علم الدلالة غير السيميائي، هناك فرق بينهما، فعلم الدلالة يهتم بدراسة المعنى عادة في اللغة؛ أي التمييز بين الدال والمدلول داخل اللغة، أما السيميائي فتهتم بالبحث عن المعنى في كل مظاهر السلوك الإنساني ومظاهره المختلفة، يعني التمييز بين الدال والمدلول يتم من خلال رموز خارج اللغة (الحركات، الصور، الإيماء، الرموز، الثقافة... الخ)، فما يستهوي السيميائي ليس المعنى المعطى الجاهز، بل المعنى المتمنع، الذي لا يسلم نفسه طواعية، يتجاوز الظاهر إلى الخفي المستتر، على خلاف علم الدلالة الذي يحاول فهم أسرار اللغة ومعرفة أساليب التراكيب وما يتعلق بها (ألفاظ/معاني)، ثم إن العجمي عندما يقول: "...رداً على اللسانيين الذين ركزوا في دراساتهم اللغوية على

1- ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص21.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص22-23.

الدال مقصيين المدلول".¹ فهل فعلا أقصى اللسانيون (المدلول)؟ لا نعتقد ذلك، فقد اعتبروا (الدال/المدلول) وجهين لعملة واحدة أو ورقة واحدة، ما لفت انتباهنا أيضا حديث العجمي وإقراره أن sémiologie - علم الدلالة بترجمته - علم يسعى لتأسيس وعي بنيوي للاستقراء الدلالي، من خلال تلك القواعد العامة التي تتحكم في إنتاج المعنى، يكون العجمي قد أثار ثنائية (الكلام/اللغة) بطريقة غير مباشرة، على اعتبار أن هذا التميز كان له الأثر الكبير في الأعمال البنيوية.

حديثنا عن اللسانيات والسيميولوجيا، يقودنا للحديث عن السؤال الذي طرحه ناقدنا والمتمثل في: أي العلمين الأصل وأيها الفرع؟ استشهد بمقولة سوسير بأن الألسنية ليست سوى فرع من علم العلامات العام، وكذا بمقولة بارث الذي خالف فيها سوسير.

وما سجلناه أن العجمي هذه المرة لم يستعمل مصطلح (علم الدلالة)، بل (العلامية)، فقال: "يستوقفنا في نص بارث قوله أن العلامية تتخذ من الوحدات الدلالية الكبرى مادة لدراستها".² ثم تراجع واستعمل مصطلح (الدراسة الدلالية)، وذلك عندما فرق بينها وبين الألسنية والتي رأى أنها ترمي إلى عزل الوحدات الدالة الصغرى المتميزة انطلاقا من الجملة، في حين أن (الدراسة الدلالية) - يقصد بها السيميائية - تستهدف استقراء النظام الدلالي استنادا إلى وحدة أكثر اتساعا من الجملة وهي الخطاب، ثم عندما تحدث عن وظيفة هذا العلم عاد إلى استعمال مصطلح علم الدلالة.³

خلاصة القول أن العجمي ترجم مصطلح sémiologie تارة بـ (علم الدلالة) وتارة (الدلالية) و(العلامية) و(الدراسات الدلالية)، وبهذا ينم باعتقادي عن عدم فهم أو تخبط في نقل المصطلح، تخبطا سيدخل القارئ في متاهة تغليط وتشويش، متاهة تتعقد مسالكها وتشتد وعورتها بطرح الناقد لتساؤلات دون إجابات، وعذره في ذلك أنه لا يجرؤ "على

1- ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي - نظرية غريماس، ص23.

2- المصدر نفسه، ص25.

3- ينظر: المصدر نفسه، ص26.

المجازفة بالإجابة عن هذه التساؤلات في حدود هذه الدراسة الضيقة".¹ وبدل أن يخرج العجيمي القارئ العربي من التيه أدخله فيه، وذلك راجع إلى عجزه في ضبط المصطلح، ورسم الحدود الفاصلة بينه وبين المصطلحات في حقول معرفية أخرى، فكان ذلك إيذانا لفوضى المصطلح.

تحدث العجيمي لاحقا عن نظرية غريماس، وأشار إلى المستوى السطحي والمستوى العميق، حيث ذكر تشعب المستوى السطحي إلى مكونين:²

- المكون السردى: سلسلة التغيرات الطارئة على حالة الفواعل.

- المكون التصويري: ويطلق عليه العجيمي مصطلح المكون (البياني)، ومجاله استخراج الأنظمة الصورية المبنوثة على نسيج النص ومساحته.

كما ذكر أن المستوى العميق يختص بدراسة البنية العميقة استنادا إلى نظام الوحدات المعنوية الصغرى.

إن من أوجه وصور الفوضى عند العجيمي ما يمكن أن نسميه الترجمة الحرفية للنصوص، ترجمة ضيقت المعنى وشوشت ذهن القارئ، ومن قبيل ذلك قوله " يحل غريماس العملية السردية في مرتبة نظام حسابي - وهو يقصد "algorithme".³ ويضيف إلى ذلك قوله: "تقوم السردية على مجموعة من الملفوظات المتتابعة والموظفة المستندات - هو يقصد بالمستندات ترجمة -prédictat- فيها تتشاكل -السنيا- جملة من التصرفات الهادفة إلى تحقيق مشروع".⁴ فنحن لم نفهم معنى السردية، بهذه الترجمة الحرفية التي نعتبرها ضربا من ضروب العبث والتشويش، ويمكن أن نسوق مثلا آخر على هذه العبثية من قبيل قول العجيمي وهو يتحدث عن تصنيف غريماس للموضوعات، يقول: "ينتقل

1- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى -نظرية غريماس، ص23.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص30.

3- المصدر نفسه، ص35.

4- المصدر نفسه، ص35.

غريماس إلى تحديد أنواع الموضوعات فيصنفها ضربين: موضوعات محملة بقيم ذاتية وأخرى بذات مدى موضوعي".¹ استوقفتنا الجملة الأخيرة (بذات مدى موضوعي)، لأننا لمحا فيها ضعفا في الصياغة والتعبير، وكان الأجدر به أن يكتب: موضوعات محملة بقيم ذاتية وأخرى بقيم موضوعية.

أسلوب العجيمي في الكتابة خاصة أثناء الترجمة، هو في الحقيقة أسلوب مريبك للقارئ حتى ليستولي عليه الشعور بعدم الفهم والاستيعاب، فماذا يقصد مثلا ب(الطابع الحسابي)؟ ولماذا أطلق على (النموذج العاملي) تسمية (الأنموذج العالمي)، فقد كتب: "...أن الوحدات تكتسب معناها بعلاقات مع بعضها البعض عبر محور التوزيع... وأن الدراسة المختصة بتحديد هذه العلاقات هو الأنموذج العالمي".²

ونماذج فوضى الترجمة في المصطلح كثيرة عند العجيمي، نذكر منها ترجمته للمصطلح الأخير (destinateur) بالمؤتي ومصطلح (destinataire) بالمؤتى إليه، في حين أن الكثير من النقاد أجمعوا على مصطلحي (المرسل والمرسل إليه)، فقد عددهما العجيمي وحدتين عامليتين في الخطاب السردي، يقومان على مجموعة من القيم، والعلاقة بينهما تراتبية، "المؤتي يتبوأ مركزا فوقيا وتكون علاقته بالمؤتى إليه موجهة من الكل إلى الجزء، فيما تنتظم علاقة المؤتى إليه بالمؤتي في اتجاه معاكس أي من الجزء إلى الكل".³ هناك خلط كبير في المفاهيم، فشتان بين مصطلحي (المرسل/المرسل إليه) و(المؤتي والمؤتى إليه).

يستعمل الناقد مصطلحات تجعلنا نبحت عن معناها مثل ترجمته للمصطلح الأجنبي (objet) بالمصطلح العربي (الطلبية)، فقال: "...تعد العلاقة بين الفاعل والموضوع بؤرة النموذج العاملي، وتبدو من جهة غريماس محملة بالشحنة الدلالية الكامنة في الرغبة،

1- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص41.

2- المصدر نفسه، ص38.

3- المصدر نفسه، ص42-43.

يحدد الفاعل من هذه الرغبة العامل الراغب المتحرك بينما تمثل الطلبة موضوع الرغبة".¹ ويواصل العجمي ترجماته، فوجدناه هذه المرة يترجم مصطلح (effet de sens) ب(أصداء معنوية) فقال: "إن مباشرة قراءة نص، تجعل القارئ يكتشف تدريجياً أصداء معنوية تتكشف وتتضح معالمها كلما تقدمنا في القراءة".² في حين تم الإجماع على ترجمة مصطلح (effet de sens) بأثر المعنى (رشيد بن مالك، سعيد بنكراد...)، وكذلك نجده يترجم مصطلح (acteur) بالقائم بالفعل، في حين نجد تم الإجماع على ترجمته بالمثل، يقول العجمي: "...أوجد غريماس مصطلح (القائم بالفعل) لتعيين الدور الغرضي والدور العامل مجتمعين".³ وهو يضع مصطلح (الدور الغرضي) كمقابل للمصطلح الأجنبي (rôle thématique).

إن هذا التخبط في إيجاد المصطلح الدقيق والمنطقي في اللغة العربية يرجعه العجمي إلى وفرة المصطلحات التي تدل على منهج صارم، يقول: "إن الدارس يواجه حشداً من المصطلحات بالغ الوفرة، على نحو لا نكاد نجد له نظيراً في المناهج النقدية الحديثة، وفي ظننا أن هذه الظاهرة -ظاهرة وفرة المصطلحات- لا تدل كما يتبادر إلى الذهن على تحذلق علمي بقدر ما تعكس صرامة المنهج".⁴ وهذا اعتراف صريح من قبل ناقدنا بصعوبة عملية الترجمة وقصورها في الكثير من الحالات، صعوبة جعلته يقر أن ترجمته للمصطلحات تحتاج إلى إعادة نظر وتعديل: "إننا واجهنا القدر الكبير من المصطلحات بمجهود فردي أساساً، وإن استعنا في حالة نادرة بما عرضه علينا بعض الزملاء من ترجمات، لذا نقر بأن المصطلحات المترجمة تحتاج إلى إعادة نظر وتعديل".⁵ وهذا تحديداً ما نعيبه على محمد الناصر العجمي، فالترجمة ليست جهداً فردياً، بل هي

1- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص40.

2- المصدر نفسه، ص75.

3- المصدر نفسه، ص81.

4- المصدر نفسه، ص13.

5- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص17.

موضوع تحر جماعي، وكنا قد أشرنا في فصل سابق أن أي مشروع علمي يراد له نجاح التأسيس والتبليغ مرهون في نجاحه إلى الحوار العلمي، وذلك لا يتم إلا بالرجوع لأهل الاختصاص من العرب والغرب، على خلاف ما فعله محمد الناصر العجيمي، إذ عوم خطابه النقدي بترسانة من المصطلحات التي خالفت في معظمها ما تم الإجماع عليه، ويمكن أن نوجزها في الجدول الآتي (ذكر عينات فقط):

محمد الناصر العجيمي	ما تم الإجماع عليه	المصطلح باللغة الأجنبية
فاعل	ذات	Sujet
طلبة	موضوع	Objet
الإنبي	محايت	Immanent
معان	هيئة	Instance
الوكل	الارتداد إلى الماضي	Débrayage
أصداء الحقيقة	أثر الواقع	Effet de réel
أصداء دلالية/معنوية	أثر معنوي	Effet de sens
لفظ	ليكسيم	Lexème
مكيفات	جهة/صيغ	Modalité
مؤتي	مرسل	Destinateur
مؤتى إليه	مرسل إليه	Destinataire
القطب الدلالي	تناظر/تشاكل	Isotopie

ذات الفاعل	ذات الفعل	Sujet de faire
القائم بالفعل	ممثل	Acteur
دور غرضي	دور تيمي	Rôle thématique

إن إشكالية ضبط المفاهيم والمصطلحات من المشكلات التي أرقت النقاد والقراء على حد سواء، ولعل ما أوردناه من أمثلة دليل على عمق هذه الإشكالية وخطورتها والمزلق المترتبة عنها من سوء فهم وقلة استيعاب قد تصل بالقارئ إلى العزوف عن مثل هذه النظريات والمناهج.

وحتى لا نكون جاحدين لفضل الناقد، ولكي لا نبخس حقه من الاجتهاد، وجب علينا الإشادة بما قدمه من شروحات لنظرية غريماس، خاصة ما تعلق بالنموذج العاملي في حركيته، حيث اجتهد العجمي في تقريب المفاهيم وتبسيطها، بإعطاء أمثلة توضيحية، شرح فيها أنواع الانتقال التي ضبطها في أربعة وجعلها في قسمين:¹

- نوعان من التحويل الاتصالي: هما الاكتساب والوصل.

- نوعان من التحويل الانفصالي: هما التنازل والانتزاع.

وحديثه عن أنواع الانتقال جعله يشير إلى الهبة والاختبار (الاختبار التشريحي، الاختبار الرئيسي، الاختبار التمجيدي)، كما أسهب في الحديث عما أسماه (المكيفات les modalités)، أو نوعية العلاقات التي يمكن أن تنتظم بين الفاعل وفعله، ورأى أنه مثلما يتعين على الدارس توضيح كيفية تطور الكفاءة من مرحلة إلى أخرى، كذلك يتوجب عليه تتبع مراحل المصادقية.²

1- ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص50.

2- ينظر: محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص69.

اجتهد محمد بن الناصر العجيمي في رسم الحدود الفاصلة بين مصطلحين كثيرا ما تم الخلط بينهما، ونقصد الخطاب السردي والسردية، فأقر أن الخطاب السردي ليس معادلا للسردية، فكل منهما مفهوما خاصا وحدودا خاصة به، ويمكن أن نلخص آراءه كما يلي:¹

* الخطاب السردي: يدل على النص المقروء في حقيقته المادية، ومن حيث هو نص مكتوب بلغة معينة تستغرق قراءته وقتا معلوما، كما تخضع لترتيب زمني خطي.

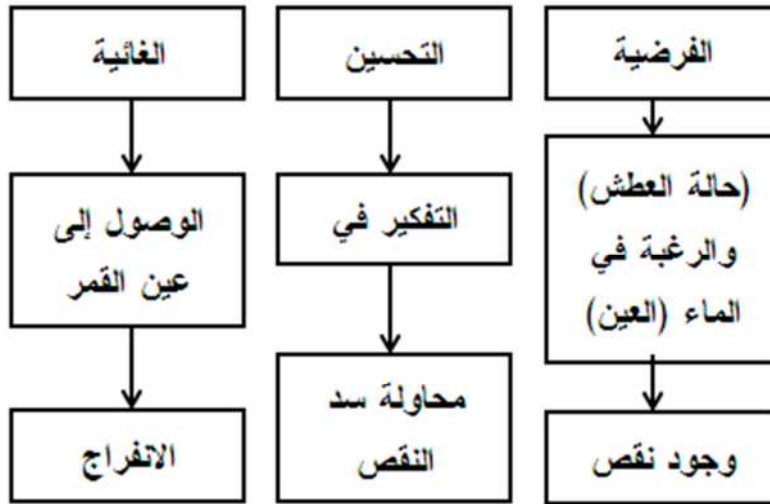
* السردية: تحيل على النقيض من ذلك ضرب معين من القراءة وطريقة خاصة في وصف المادة وتنظيمها؛ أي إعادة كتابتها انطلاقا من فرضية مؤداها أن المعنى ليس معطى قريبا، إنما يستخلص من فنون التآلف والاختلاف والتقابل القائمة بين الوحدات التركيبية العالمية، والتحويلات المتتابعة في المحور البياني، كما أن السردية لا تختص بالخطاب الأدبي فحسب، بل يجوز تطبيق مقولاتها على نصوص غير موسومة أدبيا، كالنصوص الفكرية والسياسية والقانونية.

ولكي يبرهن العجيمي عن مدى تمثله وفهمه للمفاهيم النظرية، كان لابد من نص يطبق عليه ويشغل من خلاله في مجال السيميائية السردية، لأن مصداقية النظرية تكمن في مدى تمثل الأدوات الإجرائية، وعليه وقع اختياره على نص من التراث (الأرانب والفيلة) -كتاب كليلة ودمنة- وفيما يلي سنحاول الوقوف على الجانب الإجرائي عند الناقد.

ثانيا- الجانب الإجرائي عند محمد الناصر العجيمي

1- ينظر: المصدر نفسه، ص 77.

بداية اعترف الناقد وهو يطبق على نص (الأرانب والفيلة) أنه نص لا يستجيب للتقطيع لغياب معايير كثيرة فيه، ومن هذه المعايير غياب مؤشرات الزمان والمكان، إلا أنه اجتهد في تقسيمه إلى ثلاثة أقسام مستندا في هذا التقسيم "على تطور الحدث ومراحل سيرورته"¹. وقد رأى العجيمي أن النص بدأ بالوضعية البدئية وهي وصف حالة العطش التي تمكنت من الفيلة، ثم تتوالى الأحداث وتستمر، ليتوجه الأرانب إلى عين القمر وتحدث التحول عبر تفكيرها في حيلة تمكنها في نهاية الوضعية من استرجاع العين والتخلص من الجبروت، وبالتالي عودة الاستقرار والطمأنينة، ويمكننا أن نلخص ذلك وفق الشكل التالي:



المصدر: من إعداد الطالبة

حدد العجيمي مجمل الحالات والتحويلات التي تحكمت في بنية الحكاية، إذ يقوم ملفوظ الحالة (sujet d'état) على أساس العلاقة القائمة بين الفاعل والموضوع، ويتم التمييز بين ملفوظين:²

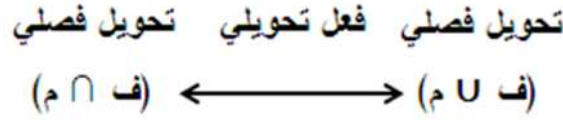
* ملفوظ حالة وصلي: الفاعل في وصلة بالموضوع.

* ملفوظ حالة فصلي: الفاعل في فصلة عن الموضوع.

1- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص114.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص50-51.

يحدث الفاعل المنفذ (sujet opérateur) في القصة كان الفاعل المنفذ (فيروز) تحولات للدخول إلى وصلة بموضوع القيمة، وفي هذا ميز العجيمي بين تحويلين:



وقد أشار الباحث إلى ذلك في قوله: "يخضع النص في شكله العام إلى بنية داخلية تقوم بين البداية والنهاية على تحول من وضعية اتصال انعكاسي (conjonction réflexive) لذات فاعلة إلى وضعية انفصال متعد (conjonction transitive)... وتردد الوضعية من الاتصال إلى الانفصال أو العكس، يعد من المقومات الأساسية لمفهوم الاختبار (épreuve) وفق النموذج العاملي (modèle actantiel).¹

ظل الباحث وفيما لمفاهيم نظرية غريماس، فقد حدد البرامج السردية وتتبع حالات الاتصال والانفصال بين الذوات والموضوعات، وحدد أوضاع القوى الفاعلة في البناء السردية، ونمط صلاتها ببعضها البعض، وذكر سمات الممثلين الفاعلين في النص، التي اختزلها في مجموعة أدوار موضوعاته، بحيث يتم الانتقال من الوحدات المعجمية إلى المواضيع على النحو الذي يشير كل ضمناً إلى فعل معين تقوم به ذات أو ممثلاً معيناً.

ما لاحظناه أيضاً مدى مراعاة العجيمي في تحليله للمقاطع، آليات اشتغال الخطاب الحجاجي في النص، وتنقل الموضوعات من هيئة الالفاظ إلى هيئة الملفوظ له، والمرتهنة أصلاً في وجودها إلى فعل تلفظي، فوقف عند ظاهرة (التضمين) في نصوص (كليلة ودمنة) لتأكيد فعل الإقناع والحجاج، باعتبارهما الدعامة البارزة في هذه الحكاية، فمن الحكايات والقصص المضمنة يصل الباحث إلى الدلالات التي جاءت بها القصص الإطار.

ختم الباحث دراسته بتحليله للبنى التحتية، ورأى أن الدراسة الدلالية تقتضي في هذا المستوى تفكيك الوحدات المعانمية إلى مكوناتها الصغرى المميزة، وصولاً إلى استخلاص

1- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردية -نظرية غريماس، ص113.

حرمات من الثيمات الدلالية الأساسية، وقد شرح بعض المصطلحات من قبيل: المعانم السياقية، القطب الدلالي، القطب السيميائي، حيث سجلنا بعض الخلط في استعمال المصطلحات، إذ استعمل مصطلحي (sémantique, isotopie sémiologique) للدلالة على تسمية وترجمة واحدة هي (القطب السيميائي).¹ كما أفرد مصطلح (isotopie) لما أسماه (القطب الدلالي)، فيقول شارحا مفهومه "تتوالى على امتداد الخطاب الواحد مجموعة أو مجموعات من المعانم الموصولة بعضها بعض بوشائج أو المتوالية فيما بينها (...). ويطلق على المجموعة من هذه المجموعات اسم القطب الدلالي".² يكون الباحث بذلك قد خالف ما تم الإجماع عليه من قبل الدارسين حول ترجمة مصطلح (isotopie) والذين اتفقوا على مقابلته بمصطلح (التناظر) أو (التشاكل)، والذي يعرفه عبد الملك مرتاض بأنه "نواة تركيبية لوحدات لسانية ظاهرة أو غير ظاهرة، منتمة إما إلى التعبير، وإما إلى المضمون، أو هو بوجه عام تكرار لوحدات لسانية".³ ليوسع مرتاض مفهوم التشاكل (isotopie) ليشمل مكونات الخطاب: الصوتية والتركيبية والمعنوية، على خلاف العجيمي الذي حصرها فقط في المعانم المرتبطة فيما بينها داخل مجموعات، وهو في الحقيقة يخلط خطأ فظيحا بين مصطلح الحقل الدلالي (القطب الدلالي) والتشاكل، بل ويصل به الأمر إلى المقارنة بين مصطلحي القطب الدلالي والقطب السيميائي فيقول: "إن القطب السيميائي، يخص تواتر المعانم السياقية، ويأتي في مرتبة أعلى من القطب الدلالي".⁴ وهنا نضع علامات استفهام كثيرة؟؟

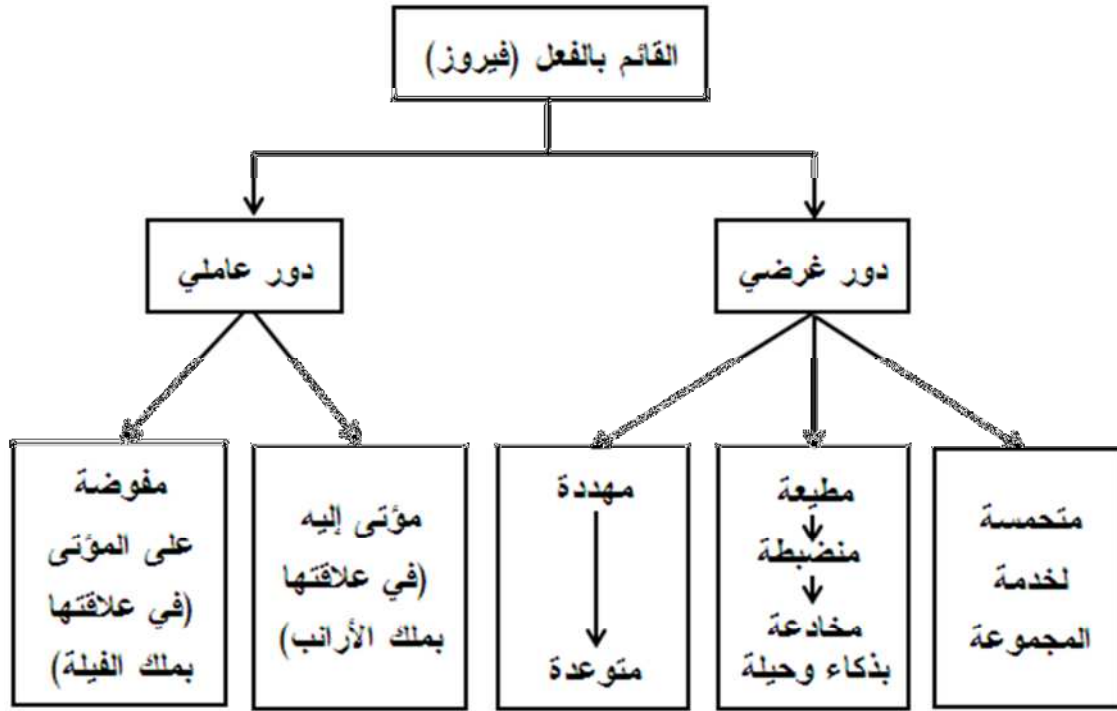
إذا أردنا أن نختم القول حول الجهود الإجرائي للعجيمي، وتطبيقه على نص (الأرانب والفيلة)، فإننا سنجمل ذلك في شكل مخطط.

1- ينظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص88.

2- المصدر نفسه، ص91.

3- عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، 2003، ص113.

4- محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص91.



إن وفاء الباحث للنظرية السيميائية السردية أدخله في دائرة التطبيق الآلي القصري لمفاهيم النظرية، فكان أسلوبه تعليمياً تلقينياً بالدرجة الأولى، ثم إن اعتماد العجمي في الترجمة على مجهوده الفردي، أدخله في متاهة المصطلحات والفوضى التي جعلته يعترف بصعوبة إيجاد المقابل الدقيق والمنطقي للمصطلحات الأجنبية في اللغة العربية فيقول: "إن الدارس يواجه حشداً من المصطلحات بالغ الوفرة، على نحو لا نكاد نجد له نظيراً في المناهج النقدية الحديثة وفي ظننا أن هذه الظاهرة، ظاهرة وفرة المصطلحات لا تدل كما يتبادر إلى الذهن على تحذلق علمي بقدر ما تعكس صرامة المنهج"¹. إن صرامة المنهج تتطلب تظافر الجهود العلمية، خاصة في مجال الترجمة والنقل، وتستدعي ضرورة التحري الجماعي على خلاف ما قام به العجمي؛ إذ اعتمد في ترجمته للمصطلحات على المجهود الفردي، وهو يعترف بذلك فيقول: "إننا واجهنا القدر الكبير من المصطلحات بمجهود فردي أساساً، وإن استعنا في حالات نادرة بما عرضه علينا بعض الزملاء من الترجمات، لذا نقر بأن المصطلحات المترجمة تحتاج إلى إعادة نظر وتعديل"². وفعلاً

1- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى -نظرية غريماس، ص13.

2- محمد الناصر العجمي، في الخطاب السردى -نظرية غريماس، ص17.

مصطلحات العجيمي بحاجة ماسة إلى إعادة النظر وإعادة الترجمة والصيغة، لأننا وقفنا سابقا على عينات ونماذج من الخط وفوضى مصطلح غير مبررة.

إن تحقيق الكمال والوصول إلى ترجمة دقيقة، هو في الحقيقة أمر صعب إن لم نقل مستحيل، لذلك وجب علينا أن ننصف الرجل في كونه اجتهد في تقريب مفاهيم النظرية، رغم وجود النقائص والمطبات، فحسبه أنه من أوائل النقاد الذين خاضوا في مجال التجربة السيميائية السردية، غير أننا لا نبرر وقوعه في الأخطاء العلمية والمعرفية؛ وذلك حين خلط بين مفاهيم بعض المصطلحات.

ثالثا- المصطلح السيميائي بين الفوضى والتأزم (العجيمي) والدقة والتحكم (بوطاجين)

إن طريقة محمد الناصر العجيمي الآلية في التحليل الهادفة إلى حفظ النظريات ونقدها، طريقه تلقينية أدخلته في كثير من المرات في ممرات التشتت والتناقض، ولو قمنا بتقديم مقارنة بسيطة بينه وبين الناقد الجزائري السعيد بوطاجين سنرى الفرق جليا، سواء على مستوى التعريف بالنظرية أم التطبيق، ولقد وقع اختيارنا على مؤلفه (الاشتغال العملي: دراسة سيميائية لرواية غدا يوم جديد لابن هذوقة)، حيث تفادى بوطاجين التحليلات الآلية المائلة إلى حفظ النظريات ونقدها، ورأى أن المناهج في حركة مستمرة دؤوبة لامتلاك النص، والتطبيقات المكررة لأدوات إجرائية تدفع إلى التساؤل عن ديمومتها ومآلها، وعن مدى قدرتها على الإلمام بإنتاجنا المعرفي وخصوصياته، وعلى خلاف نظرة محمد الناصر العجيمي الإلغائية لجهود من سبقه، نرى تواضعا وتقبلا للآخر من لدن بوطاجين، حيث أنه اعترف بمجهودات عبد السلام المسدي وجميل شاکر وسمير المرزوقي وميشال شريم، واعتبرهم نماذج للأعمال الرائعة.

كانت طريقة بوطاجين في بسط مفاهيم النظرية، طريقة مركزة مختصرة، حيث ركز على الموضوع البؤري الذي يتمثل في إشكالية العامل الذي يتقاطع مع الشخصية والممثل والوظيفة"¹.

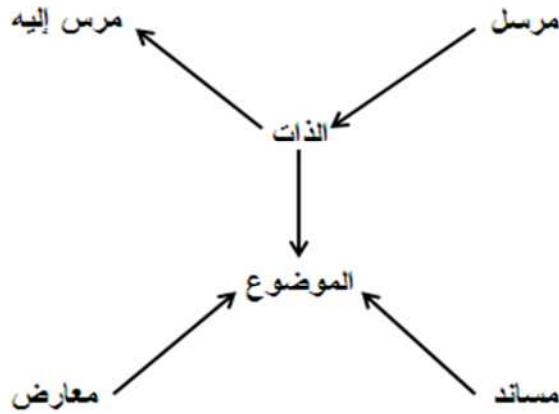
اعتمد بوطاجين في توضيح هذه المفاهيم بما، يمكن أن نسميه الومضات المعرفية التي تختصر المحطات، فقد أشار إلى جهود الشكلايين الروس خاصة التحليل المورفولوجي البروبي، باعتباره أول من شكلن القصة واعتبرها مجرد وظائف تظهر وتختفي بحسب نصوصية النص، ثم عرج على مجهودات تنيير Tesniere، وكيف حول مصطلح الوظيفة إلى عامل، معرفا إياه بالقائم بالفعل أو متلقيه، ليقف عند نظرية غريماس الذي أكمل ما جاء به بروب وتنيير، محتفظا بستة عوامل تنظم العوالم والأفكار والقيم عامة، ممثلة -على حد تعبير بوطاجين- في عوامل البلاغ المتمثلة في السارد والمسرود له، وبين عوامل السرد أو (الملفوظ، الذات/الموضوع، المرسل/المرسل إليه)².

أشار بوطاجين إلى كتاب (lire le théâtre) للمسرحية آن أوبرسفالده (Anne Ubersfeld)، والتي أعادت النظر في ترسيمة غريماس العاملة من حيث مقروئيتها، إذ لم تكن الترسيمة مقنعة بفعل خلل أو موقعة العوامل في خاناتها الحقيقية، فاقترح ترميما لما رآته خلا بتقديم الترسيمة الآتية:³

1- ينظر سعيد بوطاجين، الاشتغال العملي: دراسة سيميائية -غدا يوم جديد لبن دوقه، رابطة الاختلاف، ط1، أكتوبر 2000، ص13.

2- ينظر المصدر السابق، ص13-14.

3- المصدر نفسه، ص17.



أقر بوطاجين بوجود خلل آخر وجب ترقيعه، لأنه طرح مشكلا في المقرئية، ويتجلى ذلك في السهم المتجه من الذات إلى المرسل إليه، والذي يجب أن يصل الموضوع بالمستفيد منه؛ وتبريره في ذلك أن المرسل غير معني بالذات كذات، إنما بغايتها بموضوع المسعى.¹

تختلف الدراسة التطبيقية التي قدمها بوطاجين عن دراسة محمد الناصر العجيمي، حيث اكتفى بوطاجين بدراسة البنى العاملة الشاملة، مغفلا عمدا البنى الصغرى، والسبب أن دراسة البنى الصغرى -حسبه- يتطلب عملا موسوعيا، لذلك قام أثناء تحليله للرواية بانتقاء الذوات الكبرى المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السرديّة الممكنة لاستخراج التحليل، ولأن رواية (غدا يوم جديد لابن هذوقة) تقوم على عدد من الملفوظات، اصطفى بوطاجين ما رآه جوهريا، معتمدا على نظام المقطوعات التي تحتوي على ذوات بينة، لخصها الباحث في خمس جمل يتمحور حولها الخطاب.²

- مسعودة تريد الذهاب إلى العاصمة.

- مسعودة تريد تدوين حياتها.

- الحبيب يريد الذهاب إلى الزاوية.

- عزوز يريد الحصول على الأراضي.

1- ينظر: محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردي -نظرية غريماس، ص18.

2- ينظر: المصدر نفسه، ص08-12.

- العمة حليلة تريد تزويج خديجة بقدر.

اتسم أسلوب بوطاجين في القراءة والتحليل بالبساطة والبعد عن التعقيد والمعادلات الرياضية، أو اللجوء إلى الإحصاء والرموز على خلاف الكثير من الدارسين السيميائيين، كما نجد بوطاجين قد كان أكثر دقة في اختيار مصطلحاته وضبطها، مما خلق عنده لغة علمية منضبطة وأقرب إلى اللغة الأصلية، حيث اجتهد اجتهادا مقنعا بمستوى منهجي ومعرفي راقى، يدل على فطنة ووعي ترجمهما في عدم إغفاله للسياقات الفكرية والمعرفية للمصطلحات التي وظفها، والتي ثبتها في آخر عمله، وفضل استعمال اللغتين العربية والفرنسية، والتي سنذكر أمثلة عنها لنبين دقة ترجمته ومدى فهمه بالمنقول.

المصطلح الأجنبي	المقابل العربي
programme narratif	برنامج سردي
programme narratif d'usage	برنامج سردي استعمالى
micro programme narratif	برنامج سردي أصغر
anti programme narratif	برنامج سردي ضديد
macro programme narratif	برنامج سردي أكبر
Structure	بنية
structure actanciel	بنية عاملية
structure absente	بنية غائبة
Microstructure	بنية صغرى
macro structure	بنية كبرى
Structuration	بنينة

تجلى	Manifestation
تحيين	Actualisation
تشخيص	Personnification
تمفصل	Articulation
خطاب	Discours
خطاب صوتي	discours phonétique
خطاب راوي	discours racontant
خطاب مروى	discours raconté
خطاب منقول	discours rapporté

أمثلة التميز والبراعة في الترجمة والنقل، كثيرة اكتفينا بذكر بعضها فقط لنقرب للقارئ فكرة واحدة؛ والمتمثلة في تحكم بوطاجين بالمصطلح وضبطه ضبطاً منهجياً دقيقاً، جعله يبتعد عن شبح فوضى المصطلحات الذي لاحق محمد الناصر العجيمي وحال دون توصيل المعرفة على أكمل وجه، وهذا ما استقصت إبرازه من خلال عقد هذه المقارنة البسيطة بين الرجلين.

خاتمة

إن استقراء المنجز النقدي للنقاد المغاربة موضوع دراستنا، قادتنا إلى التوصل لجملة من النتائج أهمها:

* استطاعت النظرية السيميائية أن تطرق جميع المجالات، لتكون بمثابة القبس الذي آخى بين علوم وحقول كثيرة، لعل أهمها الحقل الفني الأدبي، الذي أنيرت ساحته بفضل الآليات والاستراتيجيات القرائية المهمة التي فتحتها السيميائية.

* تتبته الدارسون العرب إلى ضرورة الإفادة من منجزات السيميائية، لاسيما سيميائية السرد، فرحبوا بهذا الوافد الجديد وتبنوه، لتتوالى الدراسات بين تنظير وترجمة وتطبيق، خاصة النقاد المغاربة (الجزائر، تونس والمغرب)، الذين حققوا قصب السبق في هذا المجال، واجتهدوا في استحداث أقسام علمية أكاديمية في الجامعات، تأخذ على عاتقها رعاية هذا المنهج، فأقاموا المؤتمرات العلمية وأسسوا الجمعيات والنوادي والمختبرات، فضلا عن المجالات التي تختص بالبحوث السيميائية، ولعل السبب يعود إلى قربهم من الثقافة الفرنسية، وامتلاكهم أداة هامة تتمثل في اللغة التي تساعدهم في الفهم والاستيعاب.

* إن ما ميز النقاد المغاربة أنهم نهلوا من ينابيع التجربة الغربية بطريقة مباشرة، إما عن طريق أخذ المعرفة من مضانها الأصلية أو التلمذ على يد كبار النقاد والمنظرين.

* استطاع النقاد موضوع الدراسة إثراء الساحة النقدية العربية عموما والمغربية خصوصا، على صعيد مستويات متنوعة؛ وأقصد مستوى التأسيس والتأصيل، ومستوى التطبيق وكذا مستوى الترجمة، خاصة الناقلين رشيد بن مالك وسعيد بنكراد.

* يتميز النص العربي بخصوصية ثقافية وحمولة حضارية فكرية، دفعت الكثير من النقاد العرب إلى توظيف الآليات السيميائية وفق ما يتلاءم وهذه الخصوصية، وهذا ما خلق نوعا من التجزئة الانتقالية التي قد لا تضيء كل جوانب النص المدروس، بالإضافة إلى مشكلة المصطلح، إذ حاول كل ناقد وضع معجم مصطلحي خاص به، والسبب قد يعود إلى محاولة إظهار إمكانياتهم الفردية في الفهم والاستنباط، ومن ثم الترجمة، وربما ود

بعضهم الآخر ركوب موجة الحداثة بالجوء إلى الغموض المقصود الذي خلق في كثير من الأحيان تيهًا نقديًا ولغةً مراوغةً.

* إننا لا نملك نقدًا خالصًا، فالنظريات والأدوات عربية مستعارة، وهذا نوع من الاستيلاء والذوبان.

* توجد أسباب لفوضى المصطلح نحصرها في النقاط الآتية:

- الخلط في المفاهيم.

- تغييب أو تجاهل الخلفيات والمرجعيات الخاصة بكل نظرية أو تصور.

- عدم ضبط وتحديد اللغة الواصفة، مما خلق هوة فاصلة بين مفردات النص ومصطلحاته، وبين إطار حصيلة القارئ اللغوية.

- عدم مراعاة خصوصية النص العربي عند التطبيق والتحليل.

- المبالغة والتهويل في استعمال الترسيمات والجداول والتشجيرات.

- سيطرة العقل المنفعل لا الفاعل، وغياب مبدأ المساءلة والاكتفاء بالنقل والابتداع، وتقبل المناهج والنظريات الوافدة كحقائق ومسلمات.

- محاولة علمنه النقد، الذي قاد بعض النقاد إلى الانسياق وراء الحرفية والآلية في تطبيق المناهج.

إن الإشارة إلى المشكلة يستدعي وجوبًا اقتراح الحلول، لأن الحد من ظاهرة تفشي فوضى المصطلح يتطلب بعض الحلول والتي اخترتها أن تكون في شكل نقاط:

- الوعي: على الناقد أن يكون على درجة عالية من الوعي حتى يتمكن من نقل المصطلح من ثقافة إلى أخرى، مغايرة من حيث الفكر والمرجعية واللغة.

- التكيف اللغوي والثقافي: ويقصد به تحديد مدلول المصطلحات الغربية وفق طبيعة الأدب والثقافة العربية ووفق أصولها المعرفية واللغوية.

- فهم المصطلح وإفهامه: يتطلب استعمال المصطلح دراية خاصة من أهل الاختصاص.
- التواشج بين الكاتب والمكتوب: إن الصلة بين الكاتب والمكتوب حميمة، سواء أكان الكاتب ناقدًا أو مبدعًا أو مترجمًا.
- القراءة العميقة للنص المترجم: من خلال ثلاث مراحل للتأويل والترجمة: (الفهم، الاستكناه، التعبير)، فالمترجم مؤول قبل أن يكون مترجمًا.
- إنتاج المعرفة: الباحث المتميز هو الذي يتعدى دوره من الاستنساخ والتكرار إلى إنتاج المعرفة والتوصل إلى استخلاص الحقائق المنهجية التي تعد بمثابة القفزة النوعية على الصعيد العلمي والمعرفي.
- * إن الإشكالية الحقيقية بنظرنا لا تكمن في المصطلح ولا فوضاه، بقدر ما تتعلق بالمصطلح السيميائي في حد ذاته، إذ يتسم بالصعوبة والتوعر، ناهيك عن غياب سيميولوجيا واحدة متوفرة على تجانس منهجي ومفاهيمي.
- * ما قدمه النقاد المغاربة، يندرج ضمن الإضافات البحثية المتميزة في مجال السيميائيات، وعينات بحثنا نموذجًا حيا على ذلك.
- * استطاع رشيد بن مالك إيجاد استراتيجيات نقدية في نقل المعرفة السيميائية ترجمة وتأطيرا وممارسة، ونجح في تقريب مفاهيم النظرية للقارئ العربي، وهذا دليل على حسن تمثّل الأسس وفهمها ووعيها واستيعابها بآلياتها الإجرائية، ومن ثم تبسيطها.
- * اعتمد رشيد بن مالك أثناء الترجمة على التحري الجماعي والحوار العلمي.
- * ظل بن مالك وفيًا للنظرية السيميائية السردية واعتبرها الخيار المنهجي الوحيد؛ أي اعتماده على أحادية المنهج، مما جعله يقع في فخ الآلية أحيانًا.

* كان سعيد بنكراد أكثر مرونة في التعامل مع المنهج، حيث اعتمد في المقاربة على ما يسمى التركيب المنهجي، وقام بتطعيم وتفعيل المنهج السيميائي بأبعاد الأيديولوجيا والسياق والثقافة، فانفتحت السيمياء عنده على آفاق أرحب وأوسع.

* برع سعيد بنكراد في استنطاق العلامات والرموز بالاستعانة بما يسمى سيمياء الانفتاح أو التأويل، غير أننا لاحظنا أن هذا الاستنطاق والتأويل أحيانا حمل النصوص ما لا تطيق وما لا يتقبله القارئ العربي، كما فعل مع تأويله للخطاب الرياضي -كرة القدم- حيث أعطاه بعدا جنسيا يفوق حدود المنطق والتقبل.

* توصل بنكراد إلى أن التلاقي بين السرد والأيديولوجيا، هو تلاقي بين إنتاج القيم وإعادة إنتاجها، ورأى أن الرواية هي أفضل خزان للقيم.

* الشخصية عند بنكراد هي بناء ثقافي وليست مجرد كائنات ورقية.

* اهتم بنكراد بالإشهار، وتوصل إلى أنه يعكس ذهنيات وهو ليس بالبراءة التي نعتقد، فهو لعبة وخدعة وقرصنة، والسيمياء هي الأداة الوحيدة -بمنظوره- الذكية القادرة على كشف اللعبة والخدع.

* الإشهار حسب نفس الباحث أفيون جديد ومادته الدسمة هي: الجسد.

أما عن الباحث التونسي محمد الناصر العجيمي، فقد سجلنا عدة ملاحظات حول جهازه المفاهيمي نجملها في الآتي:

* استعمل الباحث مصطلح (علم الدلالة) وهو يقصد بها (السيمياء) أو كما اصطلح عليها (العلامية) ترجمة للمصطلح الغربي (sémiologie)

* اعتمد طريقة طرح التساؤلات، لكن للأسف لم يقدم لنا الإجابات، وعذره في ذلك أن المسألة دقيقة وغامضة، فأثر عدم الخوض فيها.

* استعمل مصطلحات غريبة عن القاموس السيميائي المعروف من قبيل الأنموذج العالمي: الطلبة، المؤتى، المؤتى إليه، الأصداء المعنوية....

* فرق بين مصطلحي: الخطاب السردي والسردية، وأقر أنهما مختلفان، فكل منهما مفهومه وحدوده.

* استعمل مصطلحي (isotopie و isotopie sémiologique) للدلالة على تسمية واحدة هي (القطب السيمانتيكي)، وكان قد ترجم مصطلح isotopie بالقطب الدلالي، على خلاف ما تم الإجماع عليه (التناظر) أو التشاكل.

* اعتمد العجيمي في الترجمة على جهده الفردي بدلا من التحري الجماعي والحوار العلمي، ما جعل خطابه النقدي يعوم بترسانة من المصطلحات التي خالفت في معظمها ما تم الإجماع عليه، وقد ذكرنا عينات في فصولنا السابقة.

* كان أسلوب الباحث في التطبيق أسلوبا تلقينيا تعليميا، إذ كان هدفه حفظ النظرية وتقديمها للقارئ العربي.

* على خلاف العجيمي، نجد سعيد بوطاجين الذي نجح في اختيار مصطلحاته وضبطها، وأحسن اختيار اللغة العلمية، بحيث انتقى الأقرب إلى اللغة الأصلية.

* تجنب بوطاجين التكرار والإطناب وركز على تطبيق آليات المنهج السيميائي.

* ابتعد عن استعمال الرموز والأشكال والمعادلات.

* درس بوطاجين البنى العاملة الشاملة، وانتقى الذوات المهيمنة نصيا وربطها بالبرامج السردية الممكنة لاستخراج التحليل.

* اعترف الباحث بقيمة الدراسات التي سبقته، ووصف أعمالهم بالرأفة، عكس العجيمي الذي ادعى الأسبقية واصفا بعض الأعمال التي سبقته بقلة النضج، بل والهزطقة.

ختاماً نشير إلى أن هذه النتائج إذا كانت بمثابة خاتمة لدراستنا، فإننا نأمل أن تكون بداية لبحوث أخرى قادمة تتناول موضوع بحثنا بالتوسع والتعمق، فتصل إلى ما لم نتوصل نحن إليه، وتسد نقص بحثنا، ولهذا نهيب بالباحثين المغاربة إلى العناية بالنقد السيميائي المغربي، ففيه قضايا تحتاج إلى الدراسة والبحث، وننوه في الأخير بالمنجز النقدي الثري للنقاد موضوع الدراسة (بن مالك، بنكراد، العجمي وبوطاجين)، الذين برهنوا من خلال منجزهم عن وعي نقدي وتحكم منهجي وتوفيق في طرحهم النظر.

ولا يفوتني التذكير أنني ركزت في بحثي عن مسائل ثلاث:

- مسألة الاستيعاب،.

- مسألة المصطلح في دقة ضبطه وتحديد دلالاته ضمن سياقه الفكري الذي أنتجه.

- مسألة تمثل الساحة النقدية المغربية للسيمياء.

ولا يسعني في النهاية إلا أن أحمد الله تعالى على نعمة إتمام هذا البحث، وأسأله أن

يكون نافعا لمن اطلع عليه، والله ولي التوفيق.

ملاحق

الملحق الأول

رشيد بن مالك

الدكتور رشيد بن مالك باحث وناقد وأستاذ جامعي جزائري الأصل، ولد سنة 1956 بمدينة تلمسان، تحصل على شهادة البكالوريا سنة 1976، ثم التحق بجامعة تلمسان وتخرج منها سنة 1981 بشهادة الليسانس في الأدب العربي، سافر إلى فرنسا لإكمال دراسته حيث تحصل في جوان 1982 على شهادة الدراسات المعمقة في المنهجية ثم دكتوراه الدرجة الثالثة تخصص الأدب الجزائري في فيفري 1984، ليعود إلى الجزائر حيث ناقش دكتوراه دولة في السيميائيات سنة 1995 بجامعة تلمسان.

النشاطات العلمية للناقد رشيد بن مالك

توزعت أعماله بين الترجمة والتأليف والممارسة، إضافة إلى تميزه بحضور علمي داخل وخارج الوطن من خلال عقده لمؤتمرات وتنظيمه لندوات ومحاضرات وغيرها.

المؤلفات المنشورة

* قاموس مصطلحات التحليل السيميائي للنصوص (عربي، فرنسي، إنجليزي).

* مقدمة في السيميائية السردية، دار القصة الجزائرية، 2000.

* السيميائية أصولها وقواعدها والتاريخ، ترجمة رشيد بن مالك للمؤلفين: لوي بانیه، جان كلود كوكي، جان كلود جيرو وجوزيف كورتيس، دار مجدلاوي، الأردن، 2008.

دراسات الناقد المطبوعة في المجالات:

أثرى الناقد المجالات العلمية بعدة مقالات نورد منها:

* تمفصلات النص، القصة العربية، قراءة سيميائية في قصة العروس للروائي غسان كنفاني، نشرت بمجلة كتابات معاصرة بيروت. العدد 34. جويلية 1998م.

* إشكالية السيرورة غير المستحبة، دراسة نشرت بمجلة اللغة والأدب بجامعة الجزائر. العدد 14. 1999م.

* التحليل السيميائي بقصة عائشة لأحمد رضا حوحو، طبعت بمجلة علامات العدد 38. ديسمبر 2000م.

* قراءة سيميائية لعواصف جزيرة الطيور للروائي خلاص جيلالي. نشرت بمجلة القسرة الثقافية. العدد 7. 2000م.

* السيميائية التداولية. دراسة منشورة بمجلة اللغة والأدب العربي جامعة الجزائر. عدد 17. جانفي 2006م.

* تحليل سيميائي لرواية الصحن للكاتبة سميحة خريس، نشرت بمجلة علامات. جدة العدد 26. 2006م.

* قراءة سيميائية في كلية ودمنة، دراسة تحليلية نشرت بمجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية. العدد الثاني، ديسمبر 2006م.

* المكون السردي في النظرية السيميائية، دراسة نشرت بمجلة فيلادلفيا. العدد 6. 2010م.

* البحث السيميائي المعاصر واقع وأفاق، دراسة منشورة بمجلة بحوث سيميائية، مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية العدد 7 و8. 2010م.

الملتقيات

* قراءة سيميائية لنص المقريري: إغاثة الأمة بكشف الغمة، محاضرات ضمن فعالية الملتقى الدولي حول علم النص. 25 أفريل 2001. بكلية الآداب. الجزائر.

* المكونات الدنيامية للتبليغ والترجمة، مداخلة ضمن ملتقى دولي حول استراتيجيات الترجمة من 06 ماي الى 08 ماي. كلية الآداب جامعة وهران. الجزائر.

* قراءة سيميائية لنص ريح الجنوب. ضمن فعاليات الملتقى الدولي حول كتابات عبد الحميد بن هدوقة. 16 ديسمبر 2002. دار الثقافة برج بوعريريج. الجزائر.

* السيميائية بين النظرية والتطبيق والتحليل السيميائي للنص السردي وتحليل الآليات الإجرائية، محاضرة ضمن أعمال الندوة العربية حول السرديات من 03 إلى 10 فيفري 2008، جامعة الحسن الثاني المغرب.

الملحق الثاني

سعيد بنكراد

سعيد بنكراد باحث وأكاديمي ومترجم مغربي، متحصّل على دكتوراه دولة في السيميائيات، يعمل كأستاذ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة محمد الخامس الرباط (المغرب)، هو المدير المسؤول لمجلةّ علامات المجلة الثقافية التي تصدر مرتين في السنة منذ 1994 وهي مجلةّ متخصصة تهتم بالدراسات السيميائية، حاز على جائزة المغرب في الترجمة عام 2010 وكذا جائزة الأطلس الكبير في الترجمة في فرنسا 2006 كما حصل على جائزة بدر عبد الحق التي تمنحها رابطة الكتاب الأردنيين.

يعد من النقاد الأوائل الذين أبدوا اهتماما منقطع النظير بالمنهج السيميائي، بتبنيه استراتيجية نقدية في نقل المفاهيم والمصطلحات السيميائية ترجمة وتنظيرا وممارسة؛ فكان له مسارا علميا حافلا، كلّ بمؤلفات قيّمة قرّبت صورة للسيميائي للقارئ العربي عموما والمغربي خصوصا نذكر منها:

* تجليات الصورة، سيميائيات الأنساق البصرية.

* سيميائيات النص، مراتب المعنى.

* بين اللفظ والصورة، تعدّدية الحقائق وفرجة الممكن.

* لبحث عن المعنى.

* الشرعية وسلطة المتخيّل.

* الدستور المغربي الجديد. في سيميائيات الخطاب السياسي.

* وهج المعاني، سيميائيات الأنساق الثقافية.

* سيرورات التأويل. من الهرموسية إلى السيميائية.

* السيميائيات السردية.

- * استراتيجيات التواصل الإشهاري.
- * الصورة الإشهار: آليات الإقناع والدلالة.
- * السرد الروائي وتجربة المعنى.
- * مسالك المعنى -دراسة في بعض أنساق الثقافة العربية.
- * سيميائيات الصورة الإشهارية -الإشهار والتمثلات الثقافية.
- * السيميائيات والتأويل، مدخل إلى سيميائيات شارل سندر س بيرس.
- * السيمياء مفاهيمها وتطبيقاتها.
- * النصّ السردى: نحو سيميائيات للأيديولوجيا.
- * شخصيات النصّ السردى -البناء الثقافي.

الكتب المترجمة

- * علم الدلالة، إيرين تامبا.
- * فولتير: قول في التسامح.
- * دافيد فيكتوروف، الإشهار والصورة. صورة الإشهار.
- * أمبرتو إيكو، اعترافات روائي ناشئ.
- * الصورة: غي غويتي.

بالإضافة إلى ترجمات أخرى ومقالات كثيرة. سنحاول في مبحثنا هذا التطرق إلى جملة من القضايا التي أثارها بنكراد من خلال مؤلفاته والتي اخترت منها ما يقارب سبع مدونات لاستخراج بعضا من آرائه وأفكاره وطرحه الخاص بالسيمياء وآليات تطبيقه للمنهج، تمثلت هذه المدونات السبع في:

- * السيمياء مفاهيمها وتطبيقاتها.

- * شخصيات النص السردي - البناء الثقافي - .
- * مدخل إلى السيمياء السردية.
- * النص السردي نحو سيميائيات للأيديولوجيا.
- * الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة.
- * مسالك المعنى: دراسات في الأنساق الثقافية.
- * سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائيات.

الملحق الثالث

محمد بن ناصر العجمي

ولادته ودراسته

ولد محمد بن ناصر العجمي بالجَهراء في الكويت عام (1960 م)، وتخرج في كلية الشريعة بجامعة الكويت، وعمل في وزارة الأوقاف، وقام برحلات علمية كثيرة في أقطار العالم الإسلامي، رحل إلى بلدان كثيرة للقاء العلماء، والقراءة على الشيوخ المُسندين، فحظيَ بصلات علمية متينة مع علماء ومحدثين ومسندين ومحققين وباحثين من مشرق العالم الإسلامي ومغربه.

حصل على دكتوراه فخرية من الجامعة الإسلامية بمنيسوتا، التي يرأسها الدكتور وليد بن إدريس المنيسي، في فبراير 2024م، عن مجمل أعماله من تحقيقات تأليف وبحوث.

مسيرته المهنية

ألّف وحقق محمد بن ناصر العجمي عشرات الكتب طوال مسيرته المهنيّة لعلّ أبرزها كتاب «تحقيق كتاب: نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس لابن رجب» وهناك أيضاً كتاب «من بيوتات العلم بدمشق آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل» الذي صدر عن دار البشائر الإسلاميّة في 264 صفحة وفيه يتناول الكاتب البيوت العلميّة الشهيرة في دمشق والتي أنجبت عدداً من العلماء والأدباء، ويُركّز على آل الخطيب الذين توارث بعض علمائهم الخطابة في الجامع الأموي، وبنو الكزبري الذين اشتهروا بعلم الحديث النبوي، وعلوّ السند فيه، وتدريسهم له تحت قبة النسر بالجامع الأموي أيضاً، وآل الأسطواني الذين تولى غير واحد منهم القضاء بدمشق، وأسرة بني عابدين المعروفون بالفقه الحنفي، وآل الشطي الحنابلة المتميزون بمعرفة الفقه الحنبلي

وعلم الفرائض، وبنو العطار المشهورون بالعلم، وبنو البيطار الذين خرج مهم أجلة من العلماء والشعراء، وآل الحلواني الذين كانوا مشايخ القراء، وغيرهم من تلك الأسر العلمية العريقة بدمشق التي بقي بعض سائلها الدالة على أسلافها. يُركّز الكتاب في عددٍ من فصوله على آل القاسمي الذين يصفهم الكاتب ببيت علم وأدب، وذو المقام العلمي الرفيع. يُركّز الكاتب أكثر ضمن العائلة على الإمام محمد جمال الدين القاسمي الذي برز في عصره واعتُبر حينها أحد قادة حملة العلم والإصلاح في القرن الماضي في سوريا.

ذكر في الكتاب نبذة قصيرة عن أفراد عائلة القاسمي، في حين رتب التراجم على النحو الآتي: قاسم الحلاق الذي يُنسب آل القاسمي، أبناء قاسم الحلاق، محمد سعيد القاسمي، عبد الرحمن القاسمي، محمد القاسمي وذريته، وعبد الغني القاسمي وذريته. ذكر العجمي أيضاً في كتابه ثلاث تتمات: الأولى: نماذج من خط الشيخ محمد سعيد القاسمي وعناوين بعض كتبه بخطه. الثانية: في نسب الشيخ محمد القاسمي من جهة والدته. الثالثة: نماذج من شعره. صدر للعجمي أيضاً كتاب «وليد القرون المشرقة إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي» وفيه يتحدث الكاتب عن محمد جمال الدين أبو الفرج بن محمد بن سعيد بن قاسم بن صالح بن إسماعيل بن لأبي بكر المعروف بالقاسمي الذي كان إماماً في عصره، حيث يُفصّل الكاتب في كيف نشأ في أسرة علمية تهتمّ بالعلم والدين والأدب ويُرجع لها الفضل - ولعوامل أخرى - فيما يُسمّيه نبوغ القاسمي وتدرجه في معالي الرتب. حكى العجمي في هذا الكتاب عن تفاصيل حياة القاسمي ومرّ بكل مراحل حياته تقريباً من الولادة إلى الطفولة فالمرحلة ثم المسار المهني وأخيراً الوفاة والتركة .

نشر العجمي في وقتٍ ما كتاباً بعنوان «علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره» وهو الكتاب الذي عرّف به بالعلامة عبد القادر بن بدران

الدمشقي أحد علماء القرن الرابع عشر الهجري، فقد كان من العلماء الأجلاء - بحسب العجمي - الذين أخذوا من العلم بحظ وافر، إلا أنه قد أُوذِيَ من أبناء زمانه ولم يعرفوا قدره ومكانته، ولكنه صمد أمامهم إلى أن ذاع صيته وفضله. ألف عبد القادر عشرات المؤلفات في الحديث والفقهِ وأصوله والتاريخ إلى غير ذلك من الفنون الأخرى .

من بين كتب العجمي هناك كتاب (أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار؛ حياته وإجازاته) الذي تحدث فيه عن المؤرخ والعالم عبد الرزاق البيطار الذي كان من العلماء البارزين في عصره وبلده عن كونه مقرئاً وشاعراً. أصبحَ عبد الرزاق البيطار - حسب كتاب محمد بن ناصر العجمي- في آخر سنوات حياته من كبار دعاة الإصلاح جرأةً في قول الحق من غير محاباة ولا مداراة. نشر العجمي كتاب (علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان؛ حياته ومراسلاته العلمية وآثاره)، وفيه تحدث عن العالم عبد الله بن خلف الدحيان المتوفي سنة 1349هـ، الذي يقول الكاتب أنه كان له أثر ظاهر في إحياء العلم في الكويت وربط الطلبة بالعلوم الشرعية،^[11] وإحياء دراسة كتب السلف. تناول محمد بن ناصر العجمي جوانب كبيرة وكثيرة من حياة الرجل مركزاً في ذلك على اهتمامه بالعلم والكتب، ومراسلة كبار علماء زمانه وإجابته لهم.

أعماله العلمية

من أبرز أعمال محمد بن ناصر العجمي :

- 1- الأربعون الحنبلية المسموعة.
- 2- علامة الشام عبد القادر بن بدران الدمشقي حياته وآثاره.
- 3- أديب علماء دمشق الشيخ عبد الرزاق البيطار.
- 4- وليد القرون المشرقة إمام الشام في عصره جمال الدين القاسمي.

- 5- كشكول العلامة ابن بدران الدمشقي.
- 6- العالم المؤرخ الشيخ زهير الشاويش وخزانتة الشاويشية.
- 7- سر الاستغفار عقب الصلوات.
- 8- صفحات في ترجمة الإمام السفاريني.
- 9- علامة الكويت الشيخ عبد الله الخلف الدحيان :حياته ومراسلاته العلمية وآثاره.
- 10- آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل: القنديل الأخير من آل القاسمي الشيخ محمد سعيد القاسمي الدمشقي (1345-1440هـ).
- 11- قلائد المقالات والذكريات في شيخ الحديث العلامة محمد يونس الجونفوري محب وشارح صحيح البخاري.
- 12- الأربعون في فضل المساجد وعمارتها.
- 13- تحقيق كتاب: نور الاقتباس في مشكاة وصية النبي صلى الله عليه وسلم لابن عباس، لابن رجب الجنبلي.
- 14- القواعد الفقهية (المنظومة وشرحها).
- 15- من بيوتات العلم بدمشق آل القاسمي ونبوغهم في العلم والتحصيل.

الملحق الرابع

السعيد بوطاجين

السعيد بوطاجين هو كاتب وقاص وروائي وناقد ومترجم وأكاديمي جزائري من مواليد تاكسنة بولاية جيجل في 06/01/1958.

تحصل على ليسانس الآداب من جامعة الجزائر سنة 1981، ثم على دبلوم الدراسات المعمقة من جامعة السوربون بفرنسا سنة 1982. بعد ذلك، حصل على شهادة الماجستير (نقد أدبي) من جامعة الجزائر سنة 1997 و شهادة الدكتوراه (المصطلح النقدي والترجمة) من نفس الجامعة سنة 2007.

عضو في اتحاد الكتاب الجزائريين، و عضو في اتحاد الكتاب العرب، كما أنه عضو مؤسس لاتحاد المترجمين الجزائريين، وعضو مؤسس للملتقى الدولي عبد الحميد بن هدوقة.

عمله في الإعلام

للسعيد بوطاجين عدة تجارب إعلامية منها:

- * رئيس تحرير مجلة الثقافة. وزارة الثقافة. 2000 - 2002
- * كاتب عمود (من رؤى عبد الوالو). مجلة الاختلاف
- * كاتب عمود (تجليات مغفل) بجريدة الجزائر نيوز
- * كاتب عمود (كتاب الضوء) بجريدة الجزائر نيوز
- * كاتب مقالات متنوعة في جريدة الخبر، الشروق اليومي، الخبر الأسبوعي، صوت الأحرار، جريدة الشعب، السلام، جريدة المساء، العالم السياسي، إلخ.

أعماله الأدبية

مجموعات قصصية

- * وفاة الرجل الميّت، منشورات دار الاختلاف. 2000
- * ما حدث لي غدا، منشورات دار الاختلاف. 2002

- * اللغنة عليكم جميعا، منشورات دار الاختلاف
- * حذائي وجواربي و انتم، منشورات دار الاختلاف
- * تاكسانة، بداية الزعتر، آخر الجنة، دار الأمل للنشر والتوزيع. 2009
- * جلالة عبد الجيب، منشورات دار الاختلاف. 2017
- * للأسف الشديد، إدارة الدراسات والنشر بدائرة الثقافة في الشارقة. 2017
- * نقطة، إلى الجحيم. الجزائر تقرأ^[4]2018^[5]

روايات

- * أعوذ بالله. دار الأمل (تيزي وزو) 2006 و دار الاختلاف 2016

بعض الأعمال التي ترجمها

- * الانطباع الأخير وهي ترجمة لكتاب مالك حداد.
- * عش يومك قبل ليك و هي ترجمة لكتاب حميد قرين
- * قصص جزائرية وهي ترجمة لموسوعة Nouvelles algériennes لكريستيان عاشور.
- * Etres en Papier وهي ترجمة جماعية لكتاب كائنات من ورق لنجيب أنزار.
- * حي الجرف و هي ترجمة لكتاب La cité du précipice لصادق عيسات.
- * عام الكلاب و هي ترجمة لكتاب L'année des chiens لصادق عيسات.
- * نجمة تائهة و هي ترجمة لكتاب étoile errante للكاتب الفرنسي الحائز على جائزة نوبل جان ماري غوستاف لو كليزيو.
- * أفلام حياتي و هي ترجمة لكتاب Les films de ma vie للكاتب فرانسوا تريفو.
- * أدين بكل شيء للنسيان و هي ترجمة لكتاب مليكة مقدم . Je dois tout à ton oubli.
- * رقان حبيبتي وهي ترجمة لكتاب فيكتور مالو سيلفا. Reggane mon amour.
- * نجمة و هي ترجمة لكتاب كاتب ياسين. Nedjma.
- * معركة سطيف، ترجمة لرواية La bataille de Sétif لعبد القادر بن عراب
- * فلسطين المخدوعة، ترجمة لمسرحية Palestine trahie لكاتب ياسين

- * ملك الغرب ، ترجمة لمسرحية Le roi de l'ouest لكاتب ياسين
* شبح حديقة مونسو، ترجمة لمسرحية le spectre du parc Manceau لكاتب ياسين

ترجمة أعماله إلى لغات أخرى

ترجمت بعض أعمال السعيد بوطاجين إلى اللغة الفرنسية واللغة الإيطالية.

أعماله الأكاديمية

كتب

- * الاشتغال العملي، دراسة سيميائية لرواية غدا يوم جديد لعبد الحميد بن هدوقة،
2006.

* السرد ووهم المرجع: مقاربات في السرد الجزائري الحديث 2006.

* الترجمة والمصطلح: دراسة في إشكالية المصطلح النقدي الجديد

* مرايا عاكسة في قلب الحراك - منشورات دار الوطن - 2019

* عين الكلمة مقالات صحفية في الوطن اليوم.

الجوائز والتكريمات

* وسام الاستحقاق الثقافي الوطني قسنطينة 1991.

* البرنس الأدبي الجزائري الجلفة 2004.

* وسام الفنان. الجزائر العاصمة 2004.

* الدرع الوطني للثقافة البويرة 2006 .

* الدرع الوطني للثقافة باتنة 2006 .

* تكريم مؤسسة ثقافة وفنون لمدينة الجزائر الجزائر 2008.

* تكريم من جامعة خنشلة حول مجمل أعماله خنشلة 2009.

* تكريم في ملتقى مالك حداد الوطني الرابع. قسنطينة 2011.

* تكريم في ملتقى أكادير الثالث للرواية بالمغرب (13-16 ديسمبر 2013).

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

المصادر والمراجع

أولاً - المصادر

1. رشيد بن مالك، مقدمة في السيميائية السردية، دار القصبه للنشر، الجزائر، ط1، 2000.
2. رشيد بن مالك، من المعجميات إلى السيميائيات، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 2014.
3. رشيد بن مالك، من مقدمة كتابه الترجمي: السيميائية، أصولها وقواعدها لميشال أريفي وآخرون، منشورات الاختلاف، الجزائر، د ط، 2000.
4. سعيد بنكراد، السيمياء، مفاهيمها وتطبيقاتها، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2012، ص104.
5. سعيد بنكراد، السيميائيات السردية، مدخل نظري، المغرب، د ط، 2001، ص05.
6. سعيد بنكراد، السيميائيات والتأويل، مدخل لسيميائيات ش. س. بيرس، المركز الثقافي العربي، مؤسسة تحديث الفكر العربي، الدار البيضاء-بيروت، ط1، 2005، ص53.
7. سعيد بنكراد، الصورة الإشهارية: آليات الإقناع والدلالة، المركز الثقافي العربي. ط1. 2007.
8. سعيد بنكراد، المصطلح السيميائي: الأساس المعرفي والبعد التطبيقي في قضايا المصطلح، الجزء الأول، فاس، المغرب، 2000.
9. سعيد بنكراد، النص السردى، نحو سيميائيات الأيديولوجيا، دار الأمان، الرباط، ط1، 1996، ص05.
10. سعيد بنكراد، سيرورات التأويل من الهرموسية إلى السيميائية، دار الأمان، الرباط، ط1، 2012.
11. سعيد بنكراد، سيرورات التأويل: من الهرموسية إلى السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون. بيروت، ط1. 2012.
12. سعيد بنكراد، شخصيات النص السردى - البناء الثقافي، سلسلة أبحاث ودراسات، ع1، جامعة المولى إسماعيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مكناس، المغرب، 1994.

13. سعيد بنكراد، مدخل إلى السيميائية السردية، منشورات الزمن، الرباط، د ط، 2001.
14. سعيد بنكراد، مسالك المعنى، دراسات في الأنساق الثقافية، منشورات الزمن، المغرب، سلسلة شرفات، ع48، 2015.
15. محمد الناصر العجيمي، في الخطاب السردى - نظرية غريماس، الدار العربية للكتاب، تونس، 1993.
- ثانيا- المراجع العربية**
16. ابن منظور، لسان العرب، مادة (س.و.م)، تحقيق عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف، القاهرة، د ط.
17. أبو حيان التوحيدي، المقابسات، تحقيق محمد توفيق حسين، دار الأدب، بيروت، ط1، 1989.
18. إدوارد سعيد مقدمة ترجمة كتاب الثقافة والامبريالية ، ط2، دار الآداب، بيروت، 1998.
19. أوسيمة درويش، مسار التحولات، قراءة في شعر أدوني، دار الآداب، بيروت، ط1.
20. بشير خليفي، الفلسفة وقضايا اللغة - قراءة في التصور التحليلي، الدار العربية للعلوم ناشرون - منشورات الاختلاف، بيروت - الجزائر، ط1، 2010.
21. جابر عصفور، آفاق العصر، الهيئة المصرية العامة للكتابة، ط 1997.
22. جمال حضري، سيميائية النصوص، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 2015.
23. حاتم مولاي علي، الدرس السيميائي المغاربي، مصطلحات النقد العربي السيميائي الإشكالية والأصول والامتداد، منشورات اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ط1، 2005.
24. حسن مسكين، مناهج الدراسات الأدبية الحديثة من التاريخ إلى الحجاج، مؤسسة الرحاب الحديثة للنشر والطباعة، بيروت، ط1، 2010.
25. حفناوي بعلي، فضاءات المقارنة الجديدة، العولمة، جماليات التلقي، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، 2002..
26. سعيد بوطاجين، الاشتغال العملي: دراسة سيميائية - غدا يوم جديد لبن دوقة، رابطة الاختلاف، ط1، أكتوبر 2000.

27. السعيد بوطاجين، الترجمة والمصطلح، دراسة في إشكالية ترجمة المصطلح النقدي الجديد، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2008.
28. سمير حجازي، النقد العربي وأوهام رواد الحداثة، طيبة للنشر وتوزيع، القاهرة، 2005.
29. سيزا قاسم ونصر حامد أبو زيد، أنظمة العلامات في اللغة والأدب والثقافة، مدخل إلى السيميوطيقا، مقالات مترجمة ودراسات، دار إلياس العصرية، د.ت.
30. شكري عزيز ماضي، محاضرات في نظرية الأدب، دار البعث، قسنطينة، الجزائر، 1984.
31. طه عبد الرحمان، فقه الفلسفة، الفلسفة والترجمة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط1، 1995.
32. عادل فاخوري، تيارات في السيمياء، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط1، 1990.
33. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984.
34. عبد العالي بوطيب، مستويات دراسة النص الروائي، مطبعة الأمنية، الرباط، 1999.
35. عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة والعربية، منشورات عويدات، بيروت، ط1، 1986.
36. عبد القادر شرشال، تحليل الخطاب السردي وقضاياها، دار القدس العربي، وهران، الجزائر، ط1، 2009.
37. عبد القادر شرشال، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الدار الجزائرية، ط1، 2005.
38. عبد القادر شرشال، مدخل إلى السيميائيات السردية، منشورات الدار الجزائرية، الجزائر، 2015.
39. عبد الكريم شرفي، من فلسفة التأويل إلى نظريات القراءة، دراسة تحليلية نقدية في النظريات الغربية الحديثة، منشورات الاختلاف-الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر-بيروت، ط1، 2007.

40. عبد الله إبراهيم وآخرون، معرفة الآخر، مدخل إلى المناهج النقدية الحديثة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1990.
41. عبد الله الغزالي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريرية، النادي الأدبي الثقافي، جدة، السعودية، ط1، 1985.
42. عبد الملك مرتاض، نظرية القراءة: تأسيس النظرية العامة للقراءة الأدبية، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر، 2003.
43. عصام خلف كامل، الاتجاه السيميولوجي ونقد الشعر، دار فرحة، القاهرة، ط2003.
44. عمار زغموش، النقد الأدبي المعاصر، قضايا واتجاهاته، مطبوعات جامعة منتوري، قسنطينة، الجزائر، 2000-2001.
45. فاضل ثامر، اللغة الثانية في إشكالية المنهج، النظرية، المصطلح في الخطاب النقدي العربي الحديث، المركز الثقافي العربي، بيروت، ط1، 1994.
46. فريال غزول، مجلة فصول، المجلد 16، العدد الأول، الهيئة المصرية العامة للكتاب مصر، 1997.
47. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، الدار العربية للعلوم ناشرون-منشورات الاختلاف، بيروت-الجزائر، ط1، 2010.
48. فيصل الأحمر، معجم السيميائيات، منشورات الاختلاف، الدار العربية، ط1، 2010.
49. فيصل الأحمر، معجم اللسانيات، الدار العربية، منشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
50. محمد بنيس، الحدائث المعطوبة، دار توبقال للنشر، المغرب، ط2، 2004.
51. محمد خرماش، إشكالية المناهج في النقد الأدبي المغربي المعاصر، البنيوية التكوينية بين النظرية والتطبيق، ج3، أنفوبرانت، فاس، المغرب، ط1، 2001.
52. محمد عزام، النقد والدلالة، نحو تحليل سيميائي للأدب، وزارة الثقافة السورية، د ط، 1996.
53. محمد فليح الجبوري، الاتجاه السيميائي في نقد السرد العربي الحديث، منشورات ضفاف دار الأمان، الرباط، ط1، 2013.
54. المعجم الوسيط، معجم اللغة العربية، القاهرة، ط3، 1998.

- 55.المعداوي أحمد، أزمة الحداثة في الشعر العربي الحديث، دار الآفاق، الإمارات لعربية المتحدة، ط1، 1993.
- 56.نادية بوشفرة، مباحث في السيميائية السردية، الأمل للنشر والطباعة، تيزي وزو، الجزائر، 2008.
- 57.وسيمة درويش، مسار التحولات، قراءة في شعر أدونيس، دار الآداب، بيروت، د.ط.
- 58.يوسف أحمد، السيميائيات الواصفة وجبر العلامات، منشورات الاختلاف، المركز الثقافي العربي، ط1.
- 59.يوسف وغليسي، إشكالية المصطلح في الخطاب النقدي العربي الجديد، منشورات الاختلاف، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 2008م.
- 60.يوسف وغليسي، النقد الجزائري المعاصر من الأسلوبية إلى الأسنوية، إصدارات رابطة إبداع الثقافية، قسنطينة، الجزائر، 2002.
- 61.يوسف وغليسي، في ظلال النصوص، تأملات نقدية في كتابات جزائرية، جسور للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ط1، 2009.

ثالثا- المراجع الأجنبية

62. Greimas Algirdas Julien, au sens 1, essais sémiotique, Seuil, Paris, 1970
63. De Saussure, cours de linguistique générale ,éd paythéoque, 1973.
64. Gemar .J.C traduire ou l'art d'interpréter 151.
65. J.Dubois, Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage.
66. Mohamed Dani, Semiotics and picture, Semat international, 2013.
67. O.Ducrot, J.M Schaffer et autres, Nouveau dictionnaire des sciences, édition du Seuil, Paris, 1972.
68. Roland Barthes, S/Z ,éd Seuil, point, 1976.
69. Seleskovith Lederer.D.et lederer.M Interpreter pour traduire.

رابعا- المراجع المترجمة

70. أمبرتو إيكو، السيميائية وفلسفة اللغة تر: أحمد الصمعي، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2005.
71. أندرياس ساندرس بيرس، تطبيق العلامات، تر: فريال غزول، ضمن كتاب أنظمة العلامات.

72. برنار توماس، ما هي السيميولوجيا، تر: محمد نظيف، دار إفريقيا-الشرق، المغرب، ط2، 2002.
73. تشولز، البنيوية في الأدب، تر: حنا عبود، منشورات اتحاد الكتاب العرب، سوريا، 1984.
74. جان كلود كوكي، السيميائية، مدرسة باريس، تر: رشيد بن مالك، دار الغرب للنشر، وهران، الجزائر.
75. جان ماري كلينكنبرغ، الوجيز في السيميائية العامة، تر: جمال حضري، مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والتوزيع، بيروت، ط1، 2015.
76. جوزيف كورتيس، مدخل إلى السيميائية السردية، تر: جمال حضري، منشورات الاختلاف، الجزائر، 2007.
77. جيرار دولودال، السيمياء أو نظرية العلامات، تر: عبد الرحمن بوعلي، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2000.
78. دانيال تشاندلر، أسس السيميائية، تر: طلال وهبة، مركز دراسات الوحدة العربية، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ط1، 2008.
79. دولودال، السيميائيات أو نظرية العلامة، تر: عبد الرحمان بوعي، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ط1، 2004.
80. رولان بارت، درس السيميولوجيا، تر: عبد السلام بنعبد العالي، دار توبقال، المغرب، ط2، 1986.
81. رولان بارت، لذة النص، تر: منذر عياشي، دار لوسي، باريس، ط1، 1992.
82. رولان بارت، مبادئ علم الدلالة، تعريب محمد البكري، دار الحوار، سوريا، ط1، 1987.
83. م. روزنتال وب. يودين ونخبة من العلماء السوفييات، الموسوعة الفلسفية، تر: سمير كرم، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط3، 1981.
84. مارسيلو داسكال، الاتجاهات السيميولوجية المعاصرة، تر: حميد لحميداني وآخرون، إفريقيا-الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 1987.

85. نورثروب فراي، تشريح النقد، تر: محمد عصفور، منشورات الجامعة الأردنية، الأردن، 1991.

خامسا- الأطروحات والرسائل

86. عبد الحميد بورايو، تنظيم المسار السردي في بعض حكايات ألف ليلة وليلة، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه، جامعة جيجل، الجزائر، 1995-1996.

سادسا- المجلات والدوريات

87. أحمد حماد، الترجمة الأدبية بين قيود النص وحرية الإبداع، مجلة عالم الفكر، ع4، 30 أبريل، يونيو، 2002.

88. بدرة فرحني، النقد لعربي بين حقيقتي الإبداع والإلتباع، مجلة التناس، العدد السابع، قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة جيجل، الجزائر، مارس 2007.

89. تمثلات المرأة في اللغة والفن، مجلة علامات، العدد 37، 2012.

90. سرور حشيشة، اللغة والمعجم، مجلة علامات، العدد الرابع، 2013.

91. سعيد بنكراد، التأويل بين إكراهات التناظر وانفتاح التدلّال، مجلة بحوث سيميائية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، الجزائر، ومركز البحث العلمي والتلقي لتطوير اللغة العربية، العدد السابع والثامن، 2010-2011.

92. سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والتطور، مجلة عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ع1، مجلد 35، يناير-مارس 2007.

93. سعيد بنكراد، السيميائيات: النشأة والموضوع، مجلة عالم الفكر، مج 35، العدد الثالث، مارس 2007.

94. سعيد بنكراد، إمكانات النص ومحدودية النموذج، مجلة بحوث السيميائية، جامعة أبي بكر بلقايد، تلمسان، ع2، مح2، ديسمبر 2006.

95. صلاح فضل، بلاغة الخطاب وعلم النص، سلسلة عالم المعرفة، العدد 164، المجلس الأعلى للثقافة والفنون، الكويت، أغسطس 1992.

96. عبد الحميد هيمة، الموقف في المناهج النقدية الغربية، مجلة الأدب الإسلامي، رابطة الإبداع الإسلامي العالمية، السعودية، ع68.

97. عبد العزيز حمودة، المرايا المقعرة، عالم المعرفة، الكويت، أغسطس 2001..

98. عبد المالك مرتاض، القراءة بين القيود النظرية وحرية التلقي، تجليات الحداثة، العدد الرابع، جامعة وهران، الجزائر، 1996.
99. عبد المالك مرتاض، في نظرية الرواية، بحث في تقنيات السرد، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، رقم 240، ديسمبر 1998.
100. عز الدين إسماعيل، مناهج النقد الأدبي بين المعيارية والوصفية، فصول مجلة النقد الأدبي، مج1، ع2، يناير 1981.
101. العوفي نجيب، عن الغزو المنهجي" في مجال النقد الأدبي المغربي، المنهج بين الاستيعاب والاستلاب"، مجلة الفكر الديمقراطي، ع11، 1990.
102. فريال جبوري غزول، عرض الدوريات الإنجليزية، مجلة فصول، مج1، ع2، يناير، 1981.
- سابعا- الملتقيات**
103. الصورة الإشهارية وبعدها السيميائي. قراءة سميائية لإشهار نجمة للاتصالات، محاضرات الملتقى الدولي السابع، السيمياء والنص الأدبي، جامعة بسكرة، أكتوبر 2013.
104. مجموعة من المؤلفين، الأدب الجزائري في ميزان النقد (السيميائية والنص الأدبي)، أعمال ملتقى معهد الآداب واللغات، عنابة، 1995.
105. نوال صالح، الملتقى الدولي السابع، السيمياء والنص الأدبي، سيمياء الشعار وسلطة الغواية في نموذج Apple.
106. يوسف الأطرش، المقاربة السيميائية في قراءة النص، الملتقى الوطني الأول للسيمياء، النص الأدبي.
- ثامنا- حوارات متلفزة**
107. حصة مشارف، Youtube Al Aoula TV، 19 أكتوبر 2008 (حوار تلفزي مع بنكراد).

فهرس المحتويات

الصفحة	العنوان
01	مقدمة
07	مدخل
الفصل الأول: التلقي العربي للسيمياء	
17	أولاً- سيمياء المصطلح والإجراء: الأصول والمرجعيات
17	مصطلح السيمياء
18	1- مصطلح السيمياء
18	1-1- في المعاجم اللغوية
21	1-2- اصطلاحاً
23	2- الخلفيات الفلسفية والأصول المرجعية للسيمياء
23	2-1- الأصول الفلسفية عند الغرب القدامى
23	أ- العلامة عند الإغريق (أفلاطون/أرسطو)
25	ب- الرواقيون
30	2-2- الاتجاهات السيميائية
30	أ- الاتجاه الأمريكي
35	ب- الاتجاه الفرنسي
35	* السيميولوجيا السوسيرية (دي سوسير)
38	أ- محور التواصل
38	ب- محور العلامة
40	2-3- اتجاه سيميائية باريس السردية
48	أ- الاتجاه الروسي

48	ب- الاتجاه الإيطالي
49	2-4- مبادئ السيمياء
50	أ- التحليل المحايت
50	ب- تحليل بنيوي: (مبدأ الاختلاف)
51	ج- تحليل للخطاب
51	2-5- البعد الإجرائي للتحليل السيميائي
51	أ- القراءة والتحليل
52	ب- التحليل والتأويل
52	2-6- مستويات التحليل السيميائي (السيمائية السردية)
54	أ- السطحي
54	ب- المستوى العميق
55	2-7- حقول السيمياء
56	2-8- أهمية المنهج السيميائي
58	ثانيا- التلقي العربي للسيمياء والخصوصية الحضارية
60	1- إرهاصات انتقال النظرية السيميائية إلى الساحة العربية
61	1-1- التعرف على النظرية في مجالها الأصلي
61	1-2- زمن التعرف على النظرية
61	1-3- قنوات نقل النظرية
61	1-4- الصورة التي وصلت بها النظرية إلى النقد العربي المعاصر
62	2- فعل التلقي العربي للنظرية السيميائية وإشكالية المصطلح
69	2-1- أزمة المصطلح النقدي ومشكلة الترجمة
70	2-1-1- أسباب فوضى المصطلح

70	أ- الخلط في المفاهيم
70	ب- تغييب أو تجاهل الخلفيات والمرجعيات الخاصة بكل نظرية أو تصور ..
71	ج- عدم ضبط وتحديد اللغة الواصفة
71	د- عدم مراعاة خصوصية النص العربي عند التطبيق أو لتحليل
72	هـ- المبالغة والتهويل
72	و- العقل المنفعل لا الفاعل
75	ز- محاولة علمنة النقد
76	ح- غياب الجهود الجماعية
78	2-1-2- الحلول المقترحة للحد من الفوضى المصطلحية
78	أ- الوعي
79	ب- التكيف اللغوي والثقافي
79	ج- فهم وإفهام المصطلح
80	د- التواشج بين الكاتب والمكتوب
80	هـ- القراءة العميقة للنص المترجم
الفصل الثاني: المشروع السيميائي عند رشيد بن مالك	
86	أولاً- المنهج السيميائي عند رشيد بن مالك -المصطلح والإجراء
86	1- مراحل الخطاب النقدي
87	1-1- خطاب التأسيس والتأصيل
93	1-2- خطاب الترجمة والتعريب
100	1-3- خطاب التأليف القاموسي
106	1-4- خطاب التطبيق والممارسة
118	ثانياً- تثبيت مصطلحات رشيد بن مالك

الفصل الثالث: سعيد بنكراد بين سيمياء المحايثة وسيمياء الانفتاح	
124	أولاً- السيمياء السردية- سيمياء المحايثة
126	1- النص السردى فى علاقتة بالبعد الأيديولوجى
130	2- النص السردى فى علاقتة بالبعد الثقافى (الشخصيات)
137	ثانياً- مقولات بنكراد حول سيمياء التأويل
137	سيمياء الانفتاح (التأويل)
138	مقولات بنكراد حول مشروع سيمياء التأويل (الانفتاح)
138	(سيمياء الأنساق الثقافية/سيمياء الأنساق البصرية)
139	أ- سيمياء الأنساق البصرية
139	1- الصورة
142	1-1- الصورة كونا دلاليا
144	2- الصورة الإشهارية
145	أ- التواصل
146	ب- الإشهار
153	3- الرموز السياسية بين الإقناع والقناع
153	3-1- الرموز السياسية بين التناظر المكشوف واللغو الديماغوجى
156	4- الخطاب واستراتيجية التواصل الناجحة
156	4-1- الخطاب الدينى
157	4-2- الخطاب الرياضى والطاقة الانفعالية
الفصل الرابع: التجربة السيميائية عند محمد الناصر العجمى	
174	أولاً- الجهاز المفاهيمى للنظرية السيميائية السردية عند العجمى
176	1- إشكالات المنهج والمصطلح عند العجمى

فهرس المحتويات

187	ثانيا- الجانب الإجراءي عند العجيمي (نص الأرانب والفيلة) أنموذجا
190	ثالثا- المصطلح السيميائي بين الفوضى والتأزم (العجيمي) والدقة والتحكم (بوطاجين) ..
196	خاتمة
203	الملاحق
217	المصادر والمراجع
226	فهرس المحتويات

الملخص

تتناول هذه الأطروحة موضوع تلقي السيميائية في الساحة النقدية المغربية، وما انتهت إليه منجزات بعض النقاد المغاربة من أمثال: رشيد بن مالك، السعيد بنكراد، محمد الناصر العجيمي. حيث حاولنا استتطاق متون مدوناتهم للوصول إلى ثلاث مسائل:

- مسألة الاستيعاب.
- مسألة المصطلح ودقة ضبطه وتحديد دلالاته ضمن سياق التلقي.
- مسألة تمثل الساحة النقدية المغربية للسيميائية، خاصة السيميائية السردية.

The summary

This thesis addresses the reception of semiotics in the Arab Maghreb countries literary criticism, focusing on the achievements of some Moroccan critics such as Rashid Ben Malek, Saeed Benkrad, and Mohamed Al-Nasser Al-Adjimi. It attempts to analyze their texts to explore three issues:

- The issue of comprehension.
- The issue of terminology and its precision and definition within the context of reception.
- The issue of representing the critical arena of the Arab Maghreb countries for semiotics, especially narrative semiotics.

Le résumé

Cette thèse aborde la réception de la sémiotique dans la critique littéraire des pays du Maghreb arabe, en se concentrant sur les réalisations de certains critiques marocains tels que Rashid Ben Malek, Al-Saeed Benkrad et Mohamed Al-Nasser Al-Ajimi. Il tente d'analyser leurs textes pour explorer trois problématiques :

- La question de la compréhension,
- La question de la terminologie, de sa précision et de sa définition dans le contexte de la réception.
- La question de la représentation de l'arène critique des pays du Maghreb arabe pour la sémiotique, notamment narrative.